وزارة التربية

التربية الإسلامية

للصف العاشر

المرحلة الثانوية

الطبعة الثانية

الطبعة الثانية

١٤٣٢ - ١٤٣٣هـ

٢٠١١ - ٢٠١٢م

تأليف

د. أحمد عبد الفتاح الجمل «مشرفاً»

د. بسام خضر الشطي

أ. جاسم محمد المسباح

أ. أديبة خالد الدايل

أ. شكرية السعيدي

إهداء خاص من

Y kuwait.net

منتديات ياكويت

حقوق التأليف والطبع والنشر محفوظة لوزارة التربية بدولة الكويت

قطاع البحوث التربوية والمناهج - إدارة تطوير المناهج

التربية الإسلامية

الصف العاشر

الطبعة الثانية
١٤٣٢ - ١٤٣٣هـ
٢٠١١ - ٢٠١٢م

الطبعة الأولى: 2002 - 2003 م
2004 - 2005 م
الطبعة الثانية: 2006 - 2007 م
2008 - 2009 م
2009 - 2010 م
2010 - 2011 م
2011 - 2012 م

لجنة مواءمة الكتب المدرسية للمرحلة الثانوية

أعضاء اللجنة:

١ - خالد علي حسين القطان	رئيسا
٢ - د. محمد علي الحمادي	عضوا
٣ - د. عبد الرحمن صالح الجيران	عضوا
٤ - أ. عبد الله محمد علي هلال	عضوا
٥ - أ. عبد اللطيف أحمد العمر	عضوا
٦ - أ. جاسم محمد السباح	عضوا
٧ - أ. أحمد سعد النايفي	عضوا

تمت مواءمة الكتاب من قبل لجنة المواءمة بقرار
2004/13249

صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح

أمير دولة الكويت

سمو الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح

ولي عهد دولة الكويت

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٧
المفهوم الأول: الاعتقاد بوحدانية الله - تعالى - أساس الإسلام	٩
الدرس الأول: معرفة العقيدة الإسلامية أسمى المعارف.	١١
الدرس الثاني: التوحيد أساس العقيدة الإسلامية.	١٩
الدرس الثالث: توحيد الألوهية والعبادة.	٢٦
الدرس الرابع: توحيد الأسماء والصفات.	٣٢
الدرس الخامس: نواقض التوحيد.	٣٧
الدرس السادس: التوحيد دعوة الأنبياء والرسل جميعاً.	٤٤
المفهوم الثاني: العبادة طهارة وتهذيب للنفس	٥٥
الدرس السابع: العبادة في الإسلام	٥٩
الدرس الثامن: الصيام.	٦١
الدرس التاسع: الأحكام المتعلقة بالصيام.	٦٩
الدرس العاشر: عبادات متعلقة بشهر رمضان.	٧١
الدرس الحادي عشر: أنواع أخرى من الصيام.	٨٦
المفهوم الثالث: القرآن الكريم رسالة ومعجزة.	٩١
الدرس الثاني عشر: القرآن الكريم	
(تعريفه - نزوله - سمات وضوابط المكي والمدني).	٩٣
الدرس الثالث عشر: جمع القرآن الكريم وتدوينه.	١٠٤
الدرس الرابع عشر: القرآن الكريم المعجزة الخالدة.	١١٤
المفهوم الرابع: السُّنة النبوية ومكانتها في التشريع.	١٢٣
الدرس الخامس عشر: السُّنة النبوية الشريفة.	١٢٥
الدرس السادس عشر: تدوين السُّنة النبوية.	١٣٤

المحتوى

الموضوع	الصفحة
المفهوم الخامس: تشريع الحلال والحرام حماية لحقوق الإنسان.	١٤٥
الدرس السابع عشر: حقوق الإنسان في الإسلام.	١٤٧
الدرس الثامن عشر: الكليات الخمس وحفظها.	١٥٢
الدرس التاسع عشر: العقوبات في الإسلام حمايه للفرد والمجتمع.	١٥٩
الدرس العشرون: الاعتداء على الدين وحرمته.	١٦٨
الدرس الحادي والعشرون: الاعتداء على النفس وحرمته.	١٧٤
الدرس الثاني والعشرون: الاعتداء على المال وحرمته (السرقة - ارتزاق الغش والاحتيال).	١٨٠
الدرس الثالث والعشرون: الاعتداء على العرض وحرمته (القذف - الزنى اللواط).	١٩٦
الدرس الرابع والعشرون: الاعتداء على العقل وحرمته (الخمر - المخدرات).	٢٠٤
المفهوم السادس: الإسلام يحدد وينظم مسؤولية الأفراد في المجتمع.	٢٠٩
الدرس الخامس والعشرون: مسؤولية الحاكم المسلم.	٢١٠
الدرس السادس والعشرون: مسؤولية الفرد المسلم.	٢٢١
المفهوم السابع: توثيق الحقوق في الإسلام وواجبات المسلمين نحوها.	٢٣٢
الدرس السابع والعشرون: توثيق الحقوق في الإسلام.	٢٣٥
الدرس الثامن والعشرون: أولا - توثيق الدين (القرض) بالكتابه والاشهاد.	٢٤٥
الدرس التاسع والعشرون: ثانيا - عقد الرهن.	٢٥١
الدرس الثلاثون: ثالثا - عقد الإجارة.	٢٥٨
الدرس الحادي والثلاثون: رابعا - الوصية.	٢٦٥
٥ المراجع	٢٧٤

المقدمة

الحمد لله رب العالمين عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته، والصلاة والسلام على خير البشرية جمعاء خير من تعلم وعلم سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد

فهذا كتاب التربية الإسلامية نقدمه لمعلمي ومتعلمات الصف العاشر ليكون عونا لهم على الإيمان بالله تعالى وبلاغته، والالتزام بخلق الإسلام.

وقد اشتمل الكتاب على موضوعات متنوعة، تناولنا العقيدة الإسلامية بأسلوب يدعو المسلم إلى الاعتقاد الجازم بها، والعبادات التي هي حق الله علينا، مع تسليط الضوء على الصوم، ثم تطرقنا إلى سنة رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم، فعرضنا الحديث الشريف من حيث تدوينه وأقسامه وتدوين السنة والعناية بها.

ثم عرجنا إلى تشريع الحلال والحرام وأهميته في حماية حقوق الإنسان وحفظ الكليات الخمس وعقوبة من يعتدي عليها.

كما قمنا ببيان مسؤولية الفرد في المجتمع ودور الحاكم ومسؤولياته وبيان الأدوار الاجتماعية التي ينبغي على المسلمين القيام بها.

وأخيرا ختمنا موضوعات الكتاب بتوثيق الحقوق في الإسلام وما هو ملك من تنظيم حياة الناس وعلاقاتهم، كل ذلك وغيره كتب بأسلوب سهل وشائق مؤيدا بآيات من القرآن الكريم وبأحاديث من السنة النبوية الشريفة وبمواقف من سيرته العطرة صلى الله عليه وسلم وسيرة صحابته الكرام رضوان الله عليهم أجمعين وبأقوال الأئمة العلماء الأعلام، ندعو الله أن ينتفع به كل من يقرؤه إنه سميع قريب مجيب الدعاء.

المؤلفون

مقدمة لجنة المواءمة

إخوة المعلم - أختي المعلمة

بناء على القرار الصادر بشأن تشكيل لجنة مواءمة كتب التربية الإسلامية مع النظام التعليمي الجديد ونظام التعليم الثانوي الموحد وعملا بسياسة الوزارة الرامية إلى تطوير المناهج الدراسية للوصول إلى تحقيق الأهداف العامة التربية في دولة الكويت.

فقد درست لجنة مواءمة كتب التربية الإسلامية على مراجعة حقائق ومعلومات كل درس في كتاب المتعلم الصف العاشر وتحققت من تخريج النصوص و الأدلة الواردة في كل درس، وتم رفع التكرار وحذف بعض العبارات أو تعديلها على حسب المطلوب. وإضافة ما يلزم من كلمات وعبارات. وذلك حرصا على مصلحة المتعلم. ولتسهيل المادة العلمية عليه. وأيضا وضع تمهيد لكل درس لتسهيل الدخول إلى حقائقه ومعلوماته . كذلك وضعت عناوين جانبية لإظهار المادة العلمية. والله الموفق.

المفهوم الأول

الاعتقاد بوحدانية الله - تعالى - أساس الإسلام

الدرس الأول : معرفة العقيدة الإسلامية أسمى المعارف.

الدرس الثاني : التوحيد أساس العقيدة الإسلامية.

الدرس الثالث : توحيد الألوهية والعبادة.

الدرس الرابع : توحيد الأسماء والصفات.

الدرس الخامس : نواقض التوحيد.

الدرس السادس : التوحيد دعوة الأنبياء والرسل جميعا.

معرفة العقيدة الإسلامية أسمى المعارف

تمهيد:

إن العقيدة الصحيحة السليمة القويمة هي تلك العقيدة التي بعث الله -تعالى- بها الرسل والأنبياء منذ آدم - عليه السلام - وحتى محمد - صلى الله عليه وسلم - إلى الناس في أي مكان وزمان. وهي عقيدة واحدة لا تتعدد ولا تتجزأ لأنها منزلة من عند العليم الخبير.

● وجوب معرفة العقيدة الإسلامية:

يجب على كل مسلم وجوباً عينياً أن يتعلم العقيدة الإسلامية ليعرف معناها وما تقوم عليه، ثم يعرف ما يضادها ويبطلها حتى يتجنب الشرك الأكبر والأصغر أو ما يؤدي إليهما.

قال تعالى:

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ (١).

ولما كان الأمر كذلك، فقد اتجهت همم أهل العلم إلى تعلم أحكام العقيدة وتعليمها واعتبروا ذلك من أولويات العلوم، ووافوا فيها مؤلفات خاصة، فصنفوا فيها أحكامها وما يجب فيها، وبينوا ما يفسدها أو ينقضها من الشركيات والخرافات والبدع.

● مفهوم العقيدة الإسلامية:

العقيدة هي الإيمان الجازم الذي لا يتطرق إليه شك لدى معتقده، والإيمان بالله ربًا وإلهاً، وبملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

---

(١) سورة محمد: آية (١٩).

قال تعالى:

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ (١).

فهو إيمان ثابت وراسخ تصدق به النفوس وتطمئن إليه القلوب، وتعمل به الجوارح ولا يخالطه شك (٢).

وقال الرسول - صلى الله عليه وسلم - مجيباً سيدنا جبريل حينما سأله عن الإيمان فقال: «.. أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره...» (٣).

● أهمية العقيدة الإسلامية :

العقيدة الإسلامية جاء بها كل الرسل ودعوا إلى الالتزام بها ومحبتها والتسليم لها والانقياد لكل ما تقتضيه والابتعاد عن كل ما ينقضها ويبطلها.

قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (٤).

ومن هنا تبرز أهمية العقيدة الإسلامية لأنها:

١ - العقيدة الوحيدة التي تحقق الاستقرار والأمن في نفوس أصحابها وتزيل عنهم الخوف والحزن، وبسبب التمسك بها ينعم الله -عزّ وجلّ- على أصحابها بالنعم الكثيرة والعطايا الجزيلة. وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى:

﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (٥).

وبسببها يقبل الله -سبحانه وتعالى- من أصحابها الأعمال الصالحة التي تنفعهم في الآخرة.

---

(١) سورة البقرة: الآية (٢٨٥).

(٢) العقيدة الصحيحة للفرقة الناجية - سعد سعيد مصطفى - ص ٢٠.

(٣) رواه مسلم في كتاب الإيمان باب (بيان الإيمان والإسلام والإحسان...) ح٩

(٤) سورة النحل: الآية (٣٦).

(٥) سورة البقرة: آية (١١٢).

ويقول سبحانه:

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ (١).

٢ - سبب في رضا الله - عز وجل - عن معتنقها فيدخله الجنة. عن جابر - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة» (٢).

٣ - تطهير النفوس من الخرافات، وتحررها من الأوهام والضلالات.

قال تعالى:

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ (٣)

● أركان العقيدة الإسلامية:

تتمثل أركان العقيدة الإسلامية في الأمور التالية:

١ - الإيمان بالله.

٢ - الإيمان بالملائكة.

٣ - الإيمان بالكتب المنزلة.

٤ - الإيمان بالرسل.

٥ - الإيمان باليوم الآخر.

٦ - الإيمان بالقدر خيره وشره.

ويمكن تسميتها بأصول العقيدة أو أسس العقيدة، وقد دلت نصوص كثيرة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة على هذه الأركان الستة كما أجمعت عليها الأمة.

---

(١) سورة النساء: آية (١٢٤).

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان حديث رقم ٣٨

(٣) سورة الزمر: الآيات من (٣٦ - ٣٨).

فمما يدل على ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى:
﴿ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾.(١)

ومن السنة: حديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: بينما نحن عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، ثم قال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟ قال: «أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً». قال: صدقت. فعجبنا له يسأله ويصدقه! ثم قال: أخبرني عن الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره». قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك». قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: «ما المسؤول عنها بأعلم بها من السائل». قال: فأخبرني عن أمارتها؟ قال: «أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء، يتطاولون في البنيان». قال عمر: فلبثت ثلاثاً ثم قال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم: يا عمر هل تدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنه جبريل عليه السلام أتاكم ليعلمكم أمر دينكم»(٢). وإليك الحديث عن هذه الأركان بشيء من الإجمال:

أولاً: الإيمان بالله تعالى: ويتضمن الإيمان بوجوده والإيمان بربوبيته وألوهيته وحده لا شريك له، كما يتضمن الإيمان بأسمائه وصفاته. وسيأتي تفصيل ذلك.

ثانياً: الإيمان بالملائكة: ويتضمن الإيمان بوجودهم، وبصفاتهم الخلقية وكثرة عددهم، وقدرتهم على التشكل، وأنهم من خلقهم ووظائفهم وصلتهم بالبشر وغيرهم.

ثالثاً: الإيمان بالكتب: ويتضمن الإيمان بأن نزولها من عند الله - عز وجل - حقاً، والإيمان بما علمنا اسمه منها كالقرآن الذي نزل على محمد - صلى الله عليه وسلم - والتوراة التي أنزلت على موسى - عليه السلام - والإنجيل الذي أنزل على عيسى - عليه السلام - والزبور الذي أوتيه داود - عليه السلام - وتصديق ما صح من أخبارها كأخبار القرآن الكريم، وأخبار ما لم ينسخ منها والرضا

---

(١) سورة البقرة: آية (١٧٧).

(٢) رواه النسائي في كتاب الإيمان وشرائعه باب نعت الإسلام - حديث ٤٩٠٤.

والتسليم به، سواء أفهمنا حكمته أم لم نفهمها والاعتقاد الجازم بأن القرآن الكريم نسخ كل الكتب السماوية السابقة. وفي ذلك يقول تعالى:

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ (١).

رابعاً: الإيمان بالرسل عليهم السلام والمراد بهم من أوحي إليهم من البشر بشرع وأمروا بتبليغه وأولهم نوح - عليه السلام - وآخرهم محمد - صلى الله عليه وسلم. ويتضمن الإيمان بالرسل الإيمان بأن رسالتهم حق من الله تعالى. فمن كفر برسالة واحد منهم فقد كفر بالجميع. كما يتضمن الإيمان بمن علمنا اسمه منهم مثل: (محمد، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ونوح) عليهم الصلاة والسلام ومن لم نعرف اسمه. ويتضمن الإيمان بالرسل أيضاً تصديق ما صح عنهم من أخبارهم. كما يتضمن العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم وهو خاتمهم محمد - صلى الله عليه وسلم - المرسل إلى جميع الإنس والجن. قال الله تعالى:

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾(٢).

خامساً: الإيمان باليوم الآخر: وهو يوم القيامة الذي يبعث الناس فيه للحساب والجزاء. وسمي بذلك لأنه لا يوم بعده، حيث يستقر أهل الجنة في منازلهم وأهل النار في منازلهم. ويتضمن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالبعث وهو إحياء الموتى حين ينفخ في الصور النفخة الثانية. فيقوم الناس لرب العالمين. ويتضمن كذلك الإيمان بالحساب والجزاء فكل عبد سيحاسبه الله -عزّ وجلّ- على عمله كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝ ﴾(٣).

ويتضمن كذلك الإيمان بالجنة والنار، وأنهما الدار الأبدي للخلق.

سادساً: الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره (٤): وهو تقدير الله -تعالى- الكائنات حسبما سبق به علمه واقتضته حكمته. ويتضمن الإيمان بالقدر: بأن الله -تعالى- عالم بكل شيء جملة وتفصيلاً أزلاً وأبداً سواء كان ذلك مما يتعلق بأفعاله أو بأفعال عباده. ويتضمن أيضاً الإيمان بأن جميع الكائنات لا تكون إلا بمشيئة الله تعالى، سواء أكانت مما يتعلق بفعله أم مما يتعلق بفعل المخلوقين.

---

(١) سورة المائدة: آية (٤٨).

(٢) سورة النساء: آية (٦٥).

(٣) سورة الغاشية: الآيات (٢٥-٢٦).

(٤) انظر في العقيدة الإسلامية وأسسها للشيخ محمد بن صالح العثيمين، ص ١٣-٥٧ بتصرف.

قال الله -تعالى- عن الكائنات التي تتعلق بفعله ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ (١).

وقال فيما يتعلق بفعل المخلوقين

﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ ﴾ (٢).

ومما يتضمنه هذا الإيمان كذلك الإيمان بأن الله -عز وجل- كتب في اللوح المحفوظ كل ما كان وما سيكون إلى يوم القيامة. وفي ذلك يقول تعالى:

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (٣).

● زيادة الإيمان ونقصانه:

إن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ومما يدل على زيادته قوله تعالى:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝ ﴾ (٤).

ونأمل أن نبحث عما يزيد إيمانك دائما فتفعله حتى تكون قريباً من الرحمن سبحانه وتعالى

أهداف العقيدة الإسلامية:

العقيدة الإسلامية أهداف عدة من أهمها ما يلي:

تكوين مجتمع إنساني:

إن العقيدة الإسلامية من ضمن أهدافها تنظيم حياة البشر لمعرفة حقوقهم وواجباتهم ووضع تشريعات عادلة بينهم وربطهم بحبل الله المتين وتقواه في السر والعلن. قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝ ﴾ (٥).

---

(١) سورة القصص: آية (٦٨).

(٢) سورة النساء: آية (٩٠).

(٣) سورة الحج: آية (٧٠).

(٤) سورة الأنفال: الآيات من (٢-٤).

(٥) سورة الحجرات: الآية (١٣).

● التعاون والرحمة:

لقد دفعت العقيدة الإسلامية المجتمع الإسلامي إلى الرحمة وفعل الخير – لأنه مجتمع مرتبط بالله – سبحانه وتعالى – طلباً لرضاته وثوابه. ولو أدى إلى تحمله المشاق والأذى. فالتعاون بين أفراد المجتمع الإسلامي قائم بدافع من العقيدة الإسلامية. قال تعالى:

﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ (١)

ففي ظل المجتمع الإسلامي يساعد فيه الغني الفقير، والقوي الضعيف، والجار جاره مصداقاً لقوله – صلى الله عليه وسلم – : «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» (٢).

● آثار العقيدة الإسلامية في المجتمع:

أمر الله –عزّ وجلّ– المسلمين الالتزام بالعقيدة الإسلامية التي أرسل بها النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – لما فيها من فوائد عظيمة وأهمها:

١ – تحرير العقل من الأوهام والخرافات:

فالعقيدة الإسلامية تحرر عقل المسلم من الخرافات والأساطير التي تعطي تصوراً غير حقيقي عن الكون والإنسان. لأن هذا التصور يكون من نسيج خيال الإنسان

٢ – دعوة إلى إعمال العقل بالتفكير الكشف عن بعض أسرار هذا الكون بما فيه من قوانين وأنظمة سخرها الله –عزّ وجل– لبني الإنسان لأن الله –تعالى– يقول:

﴿ وفي الأرض آيات للموقنين ۝ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ۝ ﴾ (٣)

٣ – تحريم الاستعانة بغير الله تعالى:

وإذا كانت العقيدة تحث العقل على البحث والتحري للوصول إلى ما يفيده ويصلحه فإنها حرمت على الإنسان الاستعانة بغير الله –عز وجل– ؛ لأن الله وحده هو النافع والضار. قال –صلى الله عليه وسلم–: «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله» (٤).

٤ – إخلاص العمل لله –تعالى– وإتقانه:

كما يحرم الإسلام تصديق الكهان لأن تصديقهم من الكبائر. قال –صلى الله عليه وسلم–: «من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد» (٥).

---

(١) سورة المائدة الآية (٢).

(٢) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب حديث رقم (٦٥٨٤).

(٣) سورة الذاريات الآيتان (٢٠–٢١).

(٤) رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع حديث رقم (٢٤٤٠).

(٥) رواه ابن ماجه في كتاب الطهارة وسننها باب النهي عن إتيان الحائض حديث رقم (٦٣٩).

التقـــــويم

بعد قراءتك للدرس السابق، أجب عما يلي:

س١: قال تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ (١)

أ - دلل: وجوب معرفة العقيدة الإسلامية.

ب - بيّن موقف العلماء تجاه معرفة العقيدة الإسلامية.

س٢: أكمل الفراغ التالي:

أ - سبب ضلال البشرية عن التوحيد هو .....

ب - أول رسول بعث لتبليغ دعوة الحق هو ..... وكانت دعوة جميع الرسل ترتكز على عقيدة .....

جـ - أركان العقيدة الإسلامية هي:

١) .....

٢) .....

٣) .....

٤) .....

٥) .....

٦) .....

س٣: ضع علامة (√) مقابل العبارة الصحيحة وعلامة [×] مقابل العبارة غير الصحيحة:

١) يزيد الإيمان بالطاعات وينقص بالمعاصي. ( )

٢) الأعمال الصالحة تنجي صاحبها من النار بغض النظر عن عقيدته. ( )

٣) دعوة الرسل والكتب السماوية في العقيدة تختلف باختلاف الزمان والمكان. ( )

٤) الإيمان بالقضاء والقدر من أركان الإيمان. ( )

س٤: أجب عما يلي:

أ - للعقيدة الإسلامية أهمية عظيمة في حياة الفرد المسلم.

اكتب باختصار في هذا الموضوع.

ب - ما أثر الإيمان باليوم الآخر على الفرد المسلم؟

س٥: العقيدة الإسلامية تحرر العقل من الأوهام والخرافات: دلل على هذه الحقيقة بضرب بعض الأمثلة.

س٦: بأي شيء يكون الإيمان بالقضاء والقدر؟

---

(١) سورة محمد آية (١٩).

التوحيد أساس العقيدة الإسلامية

أولاً: توحيد الربوبية

تمهيد:

قضت حكمة الله - عز وجل - وإرادته أن يخلق آدم - عليه السلام - وأن يجعله وذريته خلفاء في الأرض، ليقوموا بعمارتها وفق منهج الله - تعالى - وشريعته فيحققوا بذلك غاية وجودهم توحيداً وعبادة وطاعة. وفي ذلك يقول - عز وجل -: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ۝﴾ (١).

فالله - عز وجل - يخبر في الآيات الكريمة أنه خلق الإنسان للعبادة فقط، أما الرزق والإطعام فعلى الله - عز وجل - ولذلك فإنه -سبحانه وتعالى- أخذ على البشر العهد والميثاق منذ كانوا ذرية في ظهر أبيهم آدم أنه ربهم الذي يجب عليهم أن يوحدوه ويؤمنوا به وفي ذلك يقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ۝﴾ (٢).

وأوجد الله -تعالى- في نفوس البشر حاجتهم الماسة إلى الدين، وأن يقيموا وجوههم لله، وأن يخلصوا له، وهذا مقتضى الفطرة التي فطرهم عليها.

ولذلك فقد التزمت البشرية الأولى قرابة عشرة قرون منذ عهد آدم - عليه السلام - إلى مبعث نوح عليه السلام بالتوحيد الخالص الذي أمرهم الله به، لكنها بعد ذلك تأثرت بأقوال الشيطان الرجيم وما زينه لهم، فبعث الله إليهم نوحاً - عليه السلام - ليدعوهم إلى عبادته وحده لا شريك له وترك عبادة

---

(١) سورة الذاريات الآيات من (٥٦-٥٨)

(٢) سورة الأعراف آية (١٧٢)

الأوثان، ثم بعث بعده النبيين. قال تعالى:

﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ﴾ (١)

وأخرج البخاري عن ابن عباس موقوفاً قال:

«كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام» (٢).

التوحيد:

معناه في الاصطلاح: هو إفراد الله -تعالى- بالربوبية والطاعة أو العبادة وهذا التعريف يشتمل على أنواع التوحيد الثلاثة:

١ - توحيد الربوبية.

٢ - توحيد الألوهية.

٣ - توحيد الأسماء والصفات.

وهذه الأنواع الثلاثة متلازمة مترابطة متكاملة لا يصح إيمان المرء ولا توحيده ما لم يأت بها كاملة.

أنواع التوحيد:

أولاً: توحيد الربوبية:

ويسمى توحيد المعرفة والإثبات، ومعناه الاعتقاد الجازم بأن الله -تعالى- رب كل شيء ولا رب غيره. وبعبارة أخرى هو الإقرار بأن الله هو الخالق لكل شيء وهو المدبر لكل أمر، قال تعالى:

﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ (٣)

---

(١) سورة البقرة آية (٢١٣)

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري باب «قول الله -تعالى-: ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه ﴾

(٣) سورة السجدة الآية (٥).

معنى الرب:

الرب يأتي عند العرب بثلاثة معان:

١ – الرب بمعنى المربي:

من التربية والتعهد والإصلاح.

٢ – بمعنى المالك:

مثل قول عبد المطلب «أنا رب هذه الإبل، وللبيت رب يحميه».

٣ – بمعنى السيد أو الحاكم:

كقول يوسف – عليه السلام – للرسول الذي جاءه بالسجن:

﴿ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ (١)

ولا يطلق الرب بالألف واللام إلا على الله – عزّ وجلّ – فيجوز أن تقول رب الدار، ولكن لا يجوز أن تقول الرب بإطلاق.

وهذه المعاني الثلاثة في لغة العرب بالنسبة لله – عزّ وجلّ – كلها حق. وثابتة له – عزّ وجلّ – فهو رب الناس، أي المربي لهم بنعمه، وهو المالك، وهو السيد والحاكم.

الأدلة على وجود الرب تبارك وتعالى:

الكون كله، صامته وناطقه، ومتحركه وساكنه، مقر ومصدق ومعترف ومؤمن بوجود الله تعالى، إلا زنادقة الأمم وملاحدة الشعوب. قال جلّ وعلا:

﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ (٢).

---

(١) سورة يوسف: آية (٥٠).

(٢) سورة إبراهيم الآيتان (١١-١٢).

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض كلامه في الرد على الملاحدة: كيف يطلب الدليل على من هو دليل على كل شيء؟. وكان كثيراً ما يتمثل بهذا البيت:

ولـيس يصـح في الأفهـام شـــيء ●●●●● إذا احتـاج النهـار إلـى دليل

● ومما يدل على وجود الرب تبارك وتعالى الفطرة والعقل والحس والشرع.

١ - دلالة الفطرة

هناك شعور فطري فطر الله -تعالى- الناس عليه، يتمثل في إحساس الإنسان بأن هناك قوة عليا مدبرة لهذا الكون ومهيمنة عليه. فنجد أن كل مخلوق قد فطر على الإيمان بالخالق من غير سبق تفكير أو تعلم، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها. قال الله عز وجل: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝﴾ (١)

فالناس كانوا على التوحيد الخالص ثم اجتالتهم الشياطين فأثرت على عقيدتهم الصافية التي كانوا يدينون بها. قال -صلى الله عليه وسلم-: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» (٢). ولم يقل أو يسلمانه لأنه مسلم فقر بالتوحيد بفطرته.

٢ - دلالة العقل

لا يوجد دين كالإسلام حث العقل على النظر والتأمل في الكون آيات واضحات ودلالات بينات تهدي العقل إلى الصواب، فالسماء مرفوعة كالسقف المرفوع، والأرض مبسوطة كالبساط، والجبال منصوبة كالمصابيح، وهواء وماء وجبال وتلال وطيور تحلق في السماء وأسماك تعيش في قاع الماء، وسحاب يمطر فتتشقق الأرض بالخضرة والنبات لتكوّن الطعم والملابس والمشرب... كل ذلك وغيره فيه دلالة واضحة على أن العالم مخلوق بتدبير وتقدير ونظام وأن له صانعاً حكيماً تام القدرة بالغ الحكمة. قال تعالى:

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۝ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝﴾ (٣).

---

(١) سورة الروم، الآيتان (٣٠-٣١).

(٢) رواه البخاري في كتاب الجنائز - حديث رقم ١٢٩٠.

(٣) سورة ق، الآيات من (٦-١٠).

وقد سئل أعرابي: ما الدليل على وجود الرب تعالى؟ فقال: يا سبحان الله! إن البعرة تدل على البعير، وإن أثر الأقدام يدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير. ولذلك أمرنا ربنا سبحانه وتعالى بالتفكر فقال عز وجل:

﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾.(١)

وذم الله - سبحانه وتعالى - الإعراض والغفلة عن النظر والتفكر فقال سبحانه:

﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾.(٢)

أما دلائل الحس فهي كثيرة مدونة في العالم كله ويكفي قول القائل:

وفي كل شيء له آية ••••• تدل على أنه الواحد

٣ - دلالة الشرع:

جاء في الكتب السماوية كلها ما يثبت وحدانية الله - عز وجل - قال تعالى:

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٣).

وقال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (٤).

والمخاطبة بـ «يا أيها الناس» دليل على مخاطبة جميع البشر.

ومن أدلة الشرع كذلك أن ما جاءت به الكتب السماوية من الأحكام التضمنة لمصالح الخلق دليل على أنها من رب حكيم عليم بمصالح خلقه. وما جاءت به من الأخبار الكونية التي شهد الواقع بصدقها دليل أيضاً على أنها من رب قادر على إيجاد ما أخبر به.

---

(١) سورة الذاريات: الآيات (٢٠-٢١).

(٢) سورة يوسف: آية (١٠٥).

(٣) سورة الأعراف: آية (٥٤).

(٤) سورة البقرة: الآيات (٢١-٢٢).

● مناظرة ومحاورة:

حدثت مناظرات كثيرة بين مؤمنين وملحدين حاضرين. ومن ذلك تلك المحاورة:

قال الملحد للمؤمن ما معناه: أنت مؤمن بوجود الله؟ قال المؤمن: نعم ولا شك ولا ريب. قال: هل رأيته؟ وهل سمعته؟ قال المؤمن: لا. قال الملحد: هل شممته او لمسته؟ قال المؤمن: لا. قال الملحد فكيف تؤمن به؟ قال المؤمن الفقيه للملحد ما معناه: أنت عاقل؟ قال الملحد: نعم. قال: هل رأيت عقلك؟ قال لا. قال: هل سمعته؟ قال: لا. قال هل شممته او لمسته؟ قال لا. قال كيف تزعم انك عاقل؟ (١).

﴿... فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ (٢).

● ما يتطلبه الإيمان بربوبية الله عز وجل:

يستلزم توحيد الربوبية من الفرد المسلم ما يلي:

١ – الإيمان بأن الله – عزّ وجلّ – الخالق لكل شيء وهو خالق العباد ورازقهم، وهو محييهم ومميتهم، وهو – سبحانه – النافع الضار، المتفرد بإجابة دعاء المضطر، والمتصرف بالأمر كله.

٢ – التأمل في الكون.

٣ – الاستعداد للحياة الآخرة.

٤ – الخوف من عذاب الله.

٥ – الاستعانة بالله وحده.

٦ – الاعتبار بما يجري في الكون من آيات كونية.

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ ۚ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ (٣).

---

(١) أورد هذه المناظرة الشيخ/ صالح البليهي في كتابه عقيدة المسلمين، ص (٢٦، ٢٧/ ١)

(٢) سورة البقرة: آية ٢٥٨.

(٣) سورة يونس: الآيات من (٣١ - ٣٦)

التقـــــويم

بعد دراستك للدرس السابق أجب عما يلي :

س١: التوحيد أساس العقيدة الإسلامية ، فما المعنى الاصطلاحي له ؟

س٢: أكمل الفراغ التالي:

- أنواع التوحيد هي:

١ - ..... ٢ - ..... ٣ - .....

- الرب في اللغة عند العرب يأتي بثلاثة معاني هي:

١ - ..... ٢ - ..... ٣ - .....

س٣: قال تعالى على لسان يوسف - عليه السلام - ﴿ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ ، فما معنى كلمة الرب كما تفهمه في هذه الآية الكريمة؟

س٤: هناك أدلة كثيرة على وجود الله سبحانه وتعالى. تكلم عن دليل الفطرة كدليل من أدلة الإيمان بوجود الله تعالى.

س٥: عرف مايلي:

- توحيد الربوبية.

س٦: ضع علامة (√) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (×) مقابل العبارة غير الصحيحة فيما يلي:

- أخذ الله - عز وجل - العهد والميثاق من بني آدم للإيمان . ( )

- لم يؤمن كفار قريش بأن الخالق والإماتة والتدبير بيد الله سبحانه وتعالى . ( )

- بعد عهد آدم - عليه السلام - والشرك منتشر بين البشرية . ( )

س٧: علل مايلي:

١ - انتظام الكون دليل على أن الله واحد.

٢ - قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾ ولم يقل سبحانه (أيها المسلمون)

س٨: حدثت مناظرات ومحاورات كثيرة بين مسلمين وملحدين على مر العصور لإثبات وحدانية الله سبحانه وتعالى. اكتب تقريرا قصيرا عن أحد كتب العقيدة عن واحدة من هذه المحاورات.

التوحيد أساس العقيدة

ثانياً: توحيد الألوهية والعبادة

المقصود بتوحيد الألوهية والعبادة: الاعتقاد الجازم بأن الله - عز وجل - وحده هو الإله المستحق لجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة مثل الدعاء والخوف والتوكل والصلاة وغيرها.

والإله هو المعبود بالمحبة والخشية والتعظيم وجميع أنواع العبادة. قال الله تعالى:

﴿.. فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (١).

وقال سبحانه:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (٢)

ومن أجل هذا التوحيد خُلقت الخليقة، وأرسلت الرسل، وأنزلت الكتب داعية الناس إليه؛ لكن الناس افترقوا إلى مؤمنين وكافرين، فالمؤمنون وعدهم الله بالجنة، والكفار توعدهم الله بالنار، والتوحيد هو أول واجب على المكلف، وأول ما يدخل به إلى الإسلام وآخر ما يخرج به من الدنيا.

عن عبادة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل» (٣).

---

(١) سورة هود: آية (١٢٣).

(٢) سورة البقرة: الآيات من (٢١-٢٤).

(٣) متفق عليه رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب ٤٤٩ ح ٣٤٣٥.

● ما يتطلبه توحيد الألوهية:

يتطلب توحيد الألوهية من المسلم عدة أمور منها:

١ - المحبة: وتشتمل على كمال المحبة لله عز وجل

٢ - الرجاء: ويشتمل على حسن الظن بالله - عزّ وجلّ - ورجاء ثوابه وجنته

٣ - الخوف: ويشتمل على الخوف من أليم عقابه وناره

٤ - الطاعة لله - عزّ وجلّ - وتتحقق بفعل الواجبات والمندوبات من صلاة وزكاة وحج وصيام وذبح ونذر وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، والدعاء، وقراءة القرآن، والإحسان إلى الأيتام والمساكين وابن السبيل، والذكر وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود وغيرها. فيجب صرف العبادة بجميع أنواعها الظاهرة والباطنة لله وحده لا شريك له كما قال تعالى:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١).

٥ - ترك المحرمات والمكروهات كالشرك بالله، وعقوق الوالدين، وترك الصلاة، وقتل النفس التي حرم الله، والإسراف، وأكل الحرام، والتعامل بالربا، وشرب الخمر والمخدرات، والزنى والفواحش، وحرمة أكل مال اليتيم وغير ذلك. فيجب ترك المحرمات والمكروهات اللفظية والعملية السرية والجهرية. قال تعالى:

﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ۝ ﴾ (٢).

وقال سبحانه: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ ﴾ (٣).

فتوحيد الألوهية يتطلب من المسلمين إفراد الله - عزّ وجلّ - في اعتقاداتهم وفي ضمائرهم وشعائرهم والاعتقاد بأنه لا حاكم إلا الله ولا مشرع إلا الله، ولا منظم لحياة البشر إلا الله سبحانه وتعالى.

● كلمة التوحيد «لا إله إلا الله»:

يقوم الإسلام على عقيدة التوحيد النقية التي تمثلها هذه الشهادة، التي شهد الله - تعالى - بها لنفسه، كما شهد له بها الملائكة، وأولو العلم

---

(١) سورة الأنعام: الآيتان (١٦٢ - ١٦٣).

(٢) سورة الإسراء: آية (٣٨).

(٣) سورة الأعراف: آية (٣٣).

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١).

هذه الكلمة التي تنطق بها ملايين الألسنة في كل صباح ومساء ويفترض أن يعملوا بمقتضاها. تعلن الخضوع لله تعالى. هذه الكلمة التي قامت بها الأرض والسماوات، خلقت لأجلها جميع المخلوقات وبها أرسل الله - تعالى - رسله، وأنزل كتبه، وشرع شرائعه، ولأجلها نصبت الموازين وبها انقسمت الخليقة إلى المؤمنين والكفار، والأبرار والفجار.

وعليها يقع الثواب والعقاب، وعليها نصبت القبلة، وهي حق الله على جميع العباد. فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن أعرابياً أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة. قال «تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان». قال والذي نفسي بيده، لا أزيد على هذا شيئاً ولا أنقص منه. فلما ولى قال النبي - صلى الله عليه وسلم - «من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا» (٢).

فكلمة «لا إله إلا الله» كلمة عظيمة فهي أول واجب على كل شخص وآخر واجب فيجب على المسلم تعلمها والعمل بمقتضاها كما قال - صلى الله عليه وسلم - «من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة» (٣).

ومعناها أنه لا معبود بحق إلا الله وحده. فهي تنفي الألوهية عما سوى الله تبارك وتعالى، وتثبتها كلها لله وحده لا شريك له. فالله - عز وجل - هو المعبود الحق الذي تعبده القلوب محبة وإجلالاً وتعظيماً وذلاً وخضوعاً وخوفاً وتوكلاً عليه، ودعاءً له.

هذا وقد تحمل المؤمنون عناءً شديداً في الثبات على هذه الكلمة ومثال ذلك: ماشطة ابنة فرعون فقد روى ابن ماجه في سننه عن أبي بن كعب عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه لما أسري به وجد ريحاً طيبة، فقال: يا جبريل ما هذه الريح الطيبة؟ قال: هذه ريح قبر الماشطة وابنيها وزوجها. قال: وكان بدء ذلك أن الخضر كان من أشراف بني إسرائيل وكان معه راهب في صومعته فيطلع عليه الراهب فيعلمه الإسلام. فلما بلغ الخضر زوجه أبوه امرأة فعلمها الخضر وأخذ عليها أن لا تعلمه أحداً. وكان لا يعرب النساء فطلقها، ثم زوجه أبوه أخرى فعلمها وأخذ عليها أن لا تعلمه أحداً فكتمت إحداهما وأفشت عليه الأخرى. فانطلق هارباً حتى أتى جزيرة في البحر فأقبل رجلان يدحنطان فرأياه فكتم أحدهما وأفشى الآخر. وقال: قد رأيت الخضر فقيل ومن رأى معك قال فلان فسئل فكتم وكان في دينهم أن من كذب قتل، فتزوج المرأة الكاتمة فبينما هي تمشط ابنة فرعون إذ سقط المشط فقالت تعس فرعون، فأخبرت أباها وكان للمرأة ابنان وزوج فأرسل إليهم فراود المرأة وزوجها أن يرجعا عن دينهما فأبيا فقال: إني فاتلكما فقالا إحداناً منك إلينا إن فتلتنا أن تدعنا في بيت فافعل فلما أسري بالنبي - صلى الله عليه وسلم - وجد ريحاً طيبة فسأل جبريل فأخبره ﴾ (٤).

---

(١) سورة آل عمران: آية (١٨).

(٢) متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب الزكاة باب وجوب الزكاة حديث (١٣٩٦) إلى هنا لتنبيه أن فريضة الحج لم تكن قد فرضت عند سؤال هذا الرجل.

(٣) رواه أحمد في مسند - العشرة المبشرين بالجنة - حديث (١٤٣٤).

﴿ إن ماشطة ابنة فرعون امرأة صالحة وموحدة لله، تمشط بالمال والزوج والحياة من أجل أن تبقى موحدة لله - عز وجل - لأنها تريد الجنة، فجعل في المشط الأذى في الأخير، فسقط المشط من فرعون الذي ادعى الألوهية والاستعباد لغير المعبود الحقيقي وهو الله عز وجل، فذلك وجد رسولنا الرائحة الطيبة، وسأل فوجد الجواب أنها ماشطة ابنة فرعون.

(٤) رواه ابن ماجه في كتاب الفتن - حديث (٤٠٢٠).

● أركان لا إله إلا الله:

لهذه الكلمة العظيمة ركنان هما النفي والإثبات.

فالركن الأول: «لا إله» وهو نفي الألوهية غير الله - عزّ وجلّ - وإبطال الشرك ووجوب الكفر بكل ما يعبد من دون الله.

والركن الثاني: «إلا الله» وهو إثبات العبادة لله وحده، وإفراده سبحانه بجميع أنواع العبادة، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِاللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ (١).

فقوله ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّٰغُوتِ ﴾ هو معنى الركن الأول «لا إله»، وقوله ﴿ وَيُؤْمِنۢ بِاللَّهِ ﴾ هو معنى الركن الثاني «إلا الله».

● شروط «لا إله إلا الله»:

استنبط العلماء -رحمهم الله تعالى- شروطاً لابد من توافرها حتى تكون كلمة «لا إله إلا الله» مفتاحاً للجنة، وهذه الشروط في أسنان المفتاح، ولابد من أخذها مجتمعة، حتى تنفع هذه الكلمة قائلها عند ربه فإن فُقد شرطٌ منها فلا تتحقق المنفعة، وتتمثل هذه الشروط فيما يلي:

١ - **العلم بمعناها:** فينبغي على المسلم أن يعلم معنى كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» علماً منافياً للجهل بها، وفي ذلك يقول تعالى ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ (٢).

٢ - **اليقين المنافي للشك:** ومعنى ذلك أن تستيقن بقلبك يقيناً جازماً بمدلول كلمة التوحيد، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ (٣).

٣ - **القبول لما اقتضته هذه الكلمة:** القلب واللسان، وعدم رفضها أو الاستكبار عليها لأن الله -تعالى- بيّن في القرآن الكريم أنه عذب الرافضين لها والمستكبرين عليها في الأمم السابقة، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ (٤).

---

(١) سورة البقرة: آية (٢٥٦).

(٢) سورة محمد: آية (١٩).

(٣) سورة الحجرات: آية (١٥).

(٤) سورة الصافات: الآيات من (٣٥ - ٤٠).

وبيّن أيضاً أنه ينجي الذين قبلوها وعملوا بمقتضاها فقال تعالى:

﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١)

٤ - **الانقياد**: دلت عليه هذه الكلمة انقياداً كاملاً. ولذلك قال تعالى:

﴿ وَمَن يُسْلِمْ (٢) وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ (٣) فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ..(٤)﴾ (٥).

٥ - **الصدق**: وذلك بأن يقولها صادقاً من قلبه قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝ ﴾ (٦).

فهم كاذبون في قولهم لأنهم يبطنون غير ما يعلنون، وفي الصحيحين قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم:

«ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله إلا حرّمه الله على النار» (٧).

٦ - **المحبة**: فيجب على المؤمن أن يحب هذه الكلمة، ويعمل بمقتضاها، ويحب قائلها العاملين بها، ومن أحب شيئاً من دون الله فقد جعله لله نداً. قال تعالى:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ (٨).

ولذلك يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم -: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار» (٩)

فإن حبّ كلمة التوحيد حين تملأ القلب يجعل المؤمن يجد حلاوتها في قلبه وفي كل جارحة فيه.

٧ - **الإخلاص**: ومعناه صدق التوجه إلى الله تعالى، وتصفية العمل بصالح النية عن كل شائبة من

---

(١) سورة يونس آية (١٠٣).

(٢) يسلم: يخلص.

(٣) محسن: موحد.

(٤) العروة الوثقى: كلمة لا إله إلا الله.

(٥) سورة لقمان آية (٢٢).

(٦) سورة البقرة الآيتان (٨ - ٩).

(٧) رواه مسلم في كتاب الإيمان حديث رقم ٤٧.

(٨) سورة البقرة آية (١٦٥).

(٩) رواه البخاري في كتاب الإيمان باب حلاوة الإيمان حديث رقم ١٦.

شوائب الشرك، وآلوانه. وهذا شرط مهم لقبول الأعمال عند الله تعالى. كما قال سبحانه وتعالى:

﴿ وَمَا أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ (١)

وقد جمع الشروط السابقة الشيخ الحافظ الحكمي - رحمه الله تعالى - فقال:

العلم واليقين والقبول ●● والانقياد فاقرأ الأصول

والصدق والإخلاص والمحبة ●● ووفقك الله لما أحبه

● فضائل «لا إله إلا الله»:

هي كلمة الشهادة التي هي سبيل الفوز ومفتاح طريق الهداية، ودار السعادة. وكلمة الحق والتقوى قال تعالى:

﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ (٢)

وهي أفضل الذكر وأثقل شيء في الميزان وأعلى شعب الإيمان كما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

«الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله. وأدناها إماطة الأذى عن الطريق» (٣).

وهي أفضل ما قاله الرسل جميعاً صلوات الله عليهم أجمعين. قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم

«أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له» (٤).

---

(١) سورة البينة: آية (٥).

(٢) سورة النحل: آية (٢).

(٣) رواه مسلم في كتاب «الإيمان» باب «شعب الإيمان» حديث ٥٨.

(٤) رواه الإمام مالك في كتاب «النداء للصلاة» حديث ٤٤٩ - باب «ما جاء في الدعاء».

أجب عن الأسئلة التالية:

س١: أكمل الفراغ التالي:

أ - توحيد الألوهية هو .....

ب - أول واجبات الإنسان المكلف هو .....

جـ - من متطلبات التوحيد:

١ - .....

٢ - .....

٣ - .....

س٢: علل ما يلي:

أ - إرسال الله - تعالى - الرسل إلى البشر.

ب - اعتبار الإخلاص من شروط كلمة «لا إله إلا الله».

جـ - إحجام الكفار عن النطق بكلمة التوحيد مع أن ذلك يسير عليهم.

د - اعتبار كلمة التوحيد مفتاح الجنة.

س٣: أجب عما يلي:

أ - ما حق الله -تعالى- على العباد؟

ب - ما الكلمة التي يجب على كل من يريد الدخول في الإسلام أن يقولها؟

س٤: كلمة «لا إله إلا الله» كلمة عظيمة لها ركنان هما النفي والإثبات. اشرح هذين الركنين في ضوء ما درسته في الدرس السابق.

س٥: «لا إله إلا الله» شروط لابد من توافرها حتى تكون هذه الكلمة مفتاحاً للجنة. اذكرها.

س٦: «لا إله إلا الله» كلمة عظيمة لها فضائل كثيرة على المتلفظين بها. وضح ذلك.

التوحيد أساس العقيدة الإسلامية

ثالثاً: توحيد الأسماء والصفات

بعد أن تحدثنا عن توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وعن أنواع التوحيد نتحدث عن أسماء الرب -سبحانه وتعالى- وصفاته العظمى عن طريق القرآن العظيم والسنة الثابتة عن رسولنا الكريم - صلى الله عليه وسلم - لأن الله -سبحانه وتعالى- أعلم بنفسه من خلقه وأصدق قيلاً. وكذلك رسوله الكريم أعلمه الله عن نفسه ما لا يعلمه غيره.

توحيد الأسماء والصفات: هو إقرار المسلم بأن الله سبحانه وتعالى قد سمى نفسه بأحسن الصفات، ووصف ذاته العلية بأكمل الصفات.

سبب تسمية أسماء الله بالحسنى: وسميت أسماء الله - عز وجل - حسنى لدلالتها على أحسن مسمى وأشرف مدلول. قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ (١).

عدد أسماء الله الحسنى لله -سبحانه وتعالى- أسماء كثيرة بلغت الغاية من الحسن والكمال منها ما أخبر عنها النبي - صلى الله عليه وسلم - دبشراً من يحصيها بدخول الجنة إذا دعا بها وآمن بها فقال عليه الصلاة والسلام: «إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة» (٢).

معاني بعض أسماء الله سبحانه وتعالى:

- **الرحمن:** صيغة مبالغة من الرحمة.
- **الملك:** أي المتصرف في ملكه كيف يشاء.
- **القدوس:** هو المنزه عن العيوب والنقائص.
- **المهيمن:** المسيطر.
- **العزيز:** الغالب الذي لا يعجزه شيء.
- **المتكبر:** المتعالي على صفات الخلق.

---

(١) سورة الإسراء: آية (١١٠).

(٢) رواه البخاري في كتاب «التوحيد» - باب إن لله مائة اسم إلا واحداً - حديث رقم ٦٨٤٣.

قال الله سبحانه وتعالى:

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ۝ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝﴾ (١).

● **اسم الله الأعظم:**

لله - سبحانه وتعالى - اسم أعظم إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى، وقد اختلف العلماء في تعيين هذا الاسم الأعظم، فمنهم من قال هو «الحي القيوم»، ومنهم من قال إنه «الله»، والراجح من أقوالهم أنه دعاء مؤلف من عدة أسماء من أسمائه - سبحانه وتعالى - إذا دعا به الإنسان مع توفر شروط الدعاء المطلوبة شرعاً استجاب الله له، ومن ذلك حديث بريدة - رضي الله عنه - قال: «سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - رجلاً يدعو وهو يقول: اللهم إسألك بأني أشهد أنك الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، قال: فقال الرسول - صلى الله عليه وسلم: «لقد سأل الله باسمه الأعظم، الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب» (٢).

● **مقتضى هذا التوحيد**

توحيد الله تعالى بأسمائه الحسنى يقتضي الإيمان بكل اسم سمى الله به نفسه أو سماه به رسوله - صلى الله عليه وسلم - وبما دل عليه هذا الاسم من معنى، فالأسماء دعاء ثناء وعبادة، ودعاء طلب ومسألة فإذا قال العبد: يا رحمن ارحمني، ويا غفور اغفر لي، ويا رزاق ارزقني، ويا لطيف الطف بي، ويا تواب تب علي، ويا قوي انصرني وهكذا فهو من باب دعاء طلب ومسألة يحبها الله - عزّ وجلّ - من عباده.

وإذا أوى إلى فراشه قال: «باسمك اللهم أموت وأحيا، وإذا قام قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور» (٣) فهذا من باب الثناء والعبادة.

● **الإيمان بصفات الله - عزّ وجلّ**

يجب علينا أن نؤمن بصفات الله - عزّ وجلّ - كما جاءت في القرآن العظيم وفي سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - إيماناً يليق بالله سبحانه وتعالى، وعلى ما أراده الله - تعالى - دون تحريف

---

(١) سورة الحشر: الآيات من (٢٢ - ٢٤).

(٢) رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة والرواية لابن ماجة في كتاب «الدعاء» باب اسم الله الأعظم حديث رقم ٥٨١٩.

(٣) رواه البخاري في كتاب «الدعوات» باب ما يقول إذا نام حديث رقم ٥٨٣١.

ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ولا تأويل مع تنزيهه – سبحانه وتعالى – عن أن يُشبه شيءٌ من صفاته شيئاً من صفات المخلوقين. وهذا الأصل يدل عليه قوله تعالى:

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ (١)

مع قطع الأطماع عن إدراك كيفية صفات الله – عزَّ وجلَّ – لأن العقل البشري يعجز عن ادراك هذه الكيفية

فصفة العلم: أن الله له كمال العلم في كل شيء فيما نراه الآن وما لا نراه، وما لا نعلمه وما لا نسمعه وعلمه محيط بجميع الأشياء من الكليات والجزئيات

﴿ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾ ﴾ (٢).

صفة القدرة: فالله – عزَّ وجلَّ – هو الخالق للأشياء، المالك لها المتصرف فيها، القادر عليها، فالجميع ملكه وتحت تصرفه وقدرته وفي مشيئته. قال تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ (٣).

وصفة الإرادة: من شأنها تخصيص الممكنات ببعض ما يجوز عليها من وجود وعدم وتكيف، بقطع النظر عن أي مؤثر خارجي. قال تعالى عن اتصافه بهذه الصفة: ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ (٤).

ثمرة الإيمان بأسماء الله – عزَّ وجلَّ – وصفاته:

إن الإيمان بأسماء الله – عزَّ وجلَّ – وصفاته تزيد محبة العبد لربه، وتزيده طمأنينة وراحة وتزيل عنه الخوف والقلق من المستقبل والمجهول، وتزيد العبد إيماناً ويقيناً وثقة بربه.

فإذا علم المسلم أن الله سميع بصير لم يتجرأ على اقتراف المعاصي لأن الله مطّلع عليه.

وإذا علم أن الله غفور رحيم التجأ وتاب وأناب وتودد إليه بطلب رحمته وعفوه. وكذلك إذا علم أن الله قوي عزيز لا يقهره أحد التجأ إليه في الرخاء والشدة، ودعاه بصدق وإخلاص، وهكذا يعيش يومه ووقته في البحث عما يرضي ربه حتى يتقرب إليه.

---

(١) سورة الشورى: آية (١١).

(٢) سورة التغابن: آية (٤).

(٣) سورة الكهف: آية (٤٥).

(٤) سورة البروج: آية (١٦).

أجب عن الأسئلة التالية :

س ١: أكمل الفراغ التالي:

١ - توحيد الأسماء والصفات هو: .....

٢ - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «إن لله تسعة وتسعين اسماً .....»

٣ - معنى «القدوس»: .....

س ٢: أجب عما يلي:

١ - ما اسم الله الأعظم؟

٢ - كيف يكون الإيمان الصحيح بصفات الله عزّ وجلّ؟

س ٣: علل ما يلي:

أ - وجوب قطع الطمع عن إدراك كيفية صفات الله عزّ وجلّ.

ب - ضرورة تحرير العقل من الأوهام والخرافات.

جـ - كون الثناء على الله بأسمائه الحسنى من أفضل أنواع الذكر.

د - وصف أسماء الله تعالى بالحسنى.

س ٤: ما ثمرة الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته؟

نواقض التوحيد

التمهيد:

يحتاج المسلم إلى معرفة أصول التوحيد ليتجنب سبل الضلال ويدعو المسلمين إلى تركها. ومن ذلك نواقض التوحيد وأهم هذه النواقض:

أولاً: الشرك بالله تعالى

وهو أعظمها لأنه أعظم الذنوب التي يقترفها البشر في حق ربهم سبحانه وتعالى:

﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (١).

والشرك نوعان:

أ - الشرك الأكبر:

وهو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله سبحانه وتعالى. كدعاء غير الله - عز وجل - أو التقرب بالذبائح والنذور لغير الله - عز وجل - وعبادة غير الله كالذين عبدوا العجل والكواكب والأصنام. قال تعالى:

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ (٢).

ومن أنواع الشرك الأكبر ما يلي:

١ - الاستعانة بغير الله:

والاستعانة هي طلب العون من الله على سبيل التعبد لله - عز وجل - قال تعالى:

﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (٣).

---

(١) سورة لقمان: آية (١٣).

(٢) سورة يونس: آية (١٨).

(٣) سورة الزمر: آية (٣٨).

وقال الله - تعالى - منددا بالمشركين بسبب استعانتهم بغير الله - عزّ وجلّ -:

﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ (١)

والرسول - صلى الله عليه وسلم - أمرنا بالاستعانة بالله فقط، وبين أن النافع والضار هو الله عزّ وجلّ فقال في وصيته الجامعة لابن عباس - رضي الله عنه -:

«يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف» (٢).

من هذا فإن الدعاء لله، والاستعانة به أصل من أصول العقيدة الإسلامية أما دعاء غير الله - عزّ وجلّ - والاستعانة به سواء كان المدعو به حياً أو ميتاً، نبياً أو صالحاً يعتبر نوعاً من الشرك ويتنافى مع توحيد الله - عزّ وجلّ - وإخلاص العبودية له.

٢ - الطيرة والتطير:

- المقصود بهذا هو التشاؤم من بعض الأشياء مثل التشاؤم من بعض الطيور والحيوانات كالغراب، أو البومة أو القط الأسود.

- التشاؤم من بعض الأرقام والأيام والأشهر.

- التشاؤم من بعض الأشخاص، والتشاؤم عند رؤية العين اليسرى وغير ذلك.

- والطيرة والتطير منهي عنهما في الإسلام لأنهما تؤثران في الشخص من ناحيتين:

١ - الرجوع عما كان عازماً عليه تطيراً وتأثراً بما رأى أو سمع فيعلق قلبه بذلك المكروه فيؤثر ذلك على إيمانه ويخل بتوحيده وتوكله على الله عزّ وجلّ.

---

(١) سورة فاطر الآيتان: (١٣-١٤).

(٢) رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع في باب ما جاء في أواني الحوض - حديث رقم (٢٤٤٠) رفعت الأقلام: كناية عن الفراغ من كتابة المقادير.

٣ - لا يرجع عما عزم عليه ولكن يبقى في قلبه أثر ذلك التطير من الحزن والألم والهم والوساوس والضعف.

والأصل في المسلم أن يستعين بالله ويتوكل عليه، ويقول كما علمنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك» (١).

ويقول - صلى الله عليه وسلم -

«اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك» (٢).

ومن هنا تعلم أن الطيرة سوء ظن بالله - عز وجل - وتوقع البلاء، وفي التفاؤل حسن ظن بالله وانتظار الخيرات، فلا تكن متحيراً ولا تكن متطيراً واستعن بالله - عز وجل - وتوكل عليه ولا تعجز.

ثانياً: السحر

السحر عبارة عما خفي ولطف سببه، وسمي سحراً لأنه يحصل بأمور خفية لا تدرك بالأبصار، وهو عمل شيطاني عبارة عن كلام يتكلم به وأدوية ورقى، ومنه ما يؤثر في القلوب والأبدان فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه، وتأثيره بإذن الله -تعالى- كوني قدري، وهو عمل شيطاني.

● لماذا كان السحر كفراً؟

كان السحر كفراً لما فيه من استخدام الساحر للشياطين والتعلق بهم، والتقرب إليهم بما يحبونه، ليقوموا بخدمته بأقوال أو أفعال كفرية وشركية.

قال تعالى:

﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣)

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الطب باب في الطيرة - حديث (٣٩١٨).

(٢) رواه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة - حديث ٦٧٤٨.

(٣) سورة البقرة: آية (١٠٢).

ولذلك فمن الواجب على المسلم تجنب السحر لأنه يؤدي بصاحبه إلى الهلاك.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: «اجتنبوا السبع الموبقات. قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات» (١).

● الوقاية من السحر:

يستطيع المسلم أن يقي نفسه من خطر السحر قبل وقوعه وذلك بالتحصن بالأذكار الشرعية والدعوات والتعويذات المأثورة، ومن ذلك قراءة آية الكرسي وقراءة سورة الإخلاص ﴿قل هو الله أحد﴾ وسورة الفلق ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ وسورة الناس ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ خلف كل صلاة مكتوبة وبعد الأذكار المشروعة وقراءة السور الثلاث ثلاث مرات في أول النهار بعد صلاة الفجر وفي أول الليل بعد صلاة المغرب. ومن ذلك قراءة الآيتين من آخر سورة البقرة في أول الليل لحديث النبي -صلى الله عليه وسلم- لأبي هريرة -رضي الله عنه- قال:

(إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي لن يزال معك من الله حافظ ولا يقربك الشيطان حتى تصبح) (٢)

وصح عنه -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه (٣) والمعنى والله أعلم كفتاه من كل سوء.

ومن ذلك الإكثار من التعوذ بقولك (أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق) في الليل والنهار ومن ذلك أن يقول المسلم في أول النهار وأول الليل ثلاث مرات:

(بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شئ في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم) (٤).

ومما يدخل في السحر:

● الكهانة والعرافة

هي ادعاء علم الغيب كالإخبار بما سيقع في الأرض. والكاهن والعراف سواء، وهو الذي يدعي معرفة الغيوب الماضية أو المستقبلة ويدعي ما تكنه الصدور. سواء كان ذلك عن طريق الاتصال بالجن، أو النظر في النجوم.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الحدود - حديث ٦٨٥٧.

(٢) رواه البخاري في كتاب «فضائل القرآن» باب فضل سورة البقرة حديث رقم ٤٦٢٤.

(٣) رواه البخاري في كتاب «فضائل القرآن» باب فضل سورة البقرة حديث رقم ٥٠١٦.

(٤) حكم السحر والكهانة لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله - ص ٥٠٠٤.

● حكم الكهانة

هي شرك من جهة دعوى مشاركة الله في علمه الذي اختص به ،ومن جهة التقرب إلى غير الله عز وجل. والدليل قول النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:

(من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة) (١).

فلا أحد من الملائكة ولا من الأنبياء ولا من الجن ولا من البشر يعلم الغيب، ولذلك فإن الله -عز وجل- أمر نبيه -صلى الله عليه وسلم- أن يعلن عن نفسه عدم معرفته للغيب وذلك في قوله سبحانه وتعالى:

﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ (٢).

وبين سبحانه أن الجن لا يعلمون الغيب وذلك في قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ (٣).

فلقد مات نبي الله سليمان وهو جالس على كرسيه، ومتكئ على عصاه والجن المسخرة له تعمل وتعمل. ولم تعلم بموته إلا حين تأكلت عصاه فوقع على الأرض.

٣ - الذبح لغير الله عز وجل

طالب الله -عز وجل- من رسوله والمسلمين أن يذكروا اسم الله -تعالى- عند ذبح الأنعام اعترافاً بفضله عليهم في هذه النعمة وشكراً على نذايا لها ثم قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ﴾ (٤).

● حكم الذبح لغير الله تعالى

هناك بعض الناس يتقربون إلى معبوداتهم بالذبح لها. فنهاهم الله عز وجل عن ذلك وحذرهم منه ونهى المسلمين عن الأكل من هذه الذبوحات لأنه لم يذكر عليها اسم الله -عز وجل- فهي حرام.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ (٥).

فما ذكر عليه غير اسم الله كالصنم أو الصليب أو عيسى أو موسى عليهما السلام، أو غير ذلك من الأسماء، لا يأكل منه المسلم لما رواه الإمام مسلم عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: حدثني رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بأربع كلمات فقال:

---

(١) رواه مسلم في كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان - حديث رقم ٤١٣.

(٢) سورة الأعراف آية (١٨٨).

(٣) سورة سبأ آية (١٤).

(٤) سورة الحج آية (٣٦).

(٥) سورة الأنعام آية (١٢١).

(لعن الله من لعن والده . ولعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثا، ولعن الله من غير منار الأرض)(١).

■ سبب تحريم الذبح لغير الله

حماية للتوحيد ،وتطهيرا للعقائد ،ومحاربة للشرك والوثنية. فالذي يذبح الذبيحة ويذكر غير اسم الله -تعالى- عليها فقد تعدى حدود الله وخالف أمره واستحق أن يحرم من ذبيحته وأن تحرم عليه وعلى غيره من المسلمين الموحدين.

٤ - لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه:

ومن نواقض التوحيد تعليق حدوة الفرس على الأبواب أو وضع خيط أو نحوهما لجلب الخير ودفع العين ؛لأن هذه الأمور من فعل الجاهلية وهي من الشرك.

■ التنجيم

خلق الله- تبارك وتعالى- النجوم لثلاثة أمور: زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها. فمن اعتقد أن النجوم فاعلة مختارة لها تأثير في هبوب الرياح ومجيء المطر وظهور الحر والبرد أو حدوث الأمراض أو الوفيات أو السعود والنحوس فقد كفر بإجماع المسلمين لأنه اعتقاد بأن هناك خالقاً غير الله، والبعض يستدل بمسير الكواكب واجتماعها وافتراقها على ادعاء علم الغيب فقال -صلى الله عليه وسلم-:

(من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد) (٢).

ومن التنجيم ما يروجه الدجالون في بعض الصحف والمجلات من ذكر حسابات الأبراج والنجوم ويصدقهم بعض الناس ويفتتون بهم.

● ومن الشرك الظاهر

■ التبرك بالأشجار والحجارة والآبار

التبرك هو طلب البركة والزيادة في الخير والأجر بسبب ذات مباركة أو زمان مبارك ويكون لها دليل في كتاب الله أو سنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-.

ومن التبرك المحرم ما يفعله العامة من تقبيل أعتاب القبور والأضرحة والاستعانة بها والطواف حولها وتعظيمها. وقد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) (٣) ولقد قطع عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- الشجرة التي بويع تحتها رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

---

(١) رواه مسلم في كتاب «الأضاحي» - باب من ذبح لغير الله - حديث رقم ٣٦٥٧.

(٢) رواه أبو داود بسند صحيح في كتاب «الطب» - باب في النجوم - حديث رقم ٣٤٠٦.

(٣) صحيح البخاري مع الفتح ١٣/ ٢٩٢، ١٣/ ٢٧٦.

ب – الشرك الأصغر

وهو على قسمين:

القسم الأول من الشرك الأصغر

١ – الشرك الظاهر

في الألفاظ كالحلف بغير الله -عز وجل- قال -صلى الله عليه وسلم-:

(من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك).(١)

وأما شرك الأفعال فمثل لبس الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه وهذا شركٌ أصغر. لأن الله لم يجعل هذه أسباباً. وأما من اعتقد أنها تدفع البلاء بنفسها فهذا شرك أكبر لأنه تعلق بغير الله تعالى. قال تعالى:

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢)

٢ – الشرك الخفي

القسم الثاني من الشرك الأصغر

وهو الشرك الخفي ويكون في الإرادات والنيات، كالرياء والسمعة، كأن يعمل الإنسان عملاً مما يتقرب به إلى الله عز وجل يريد به ثناء الناس عليه كأن يحسن صلاته أو يتصدق لأجل أن يُمدح ويُثنى عليه أو يتلفظ بالذكر ويحسن صوته بالتلاوة لأجل أن يسمع الناس فيثنوا عليه ويمدحوه. والرياء إذا خالط العمل أبطله. قال تعالى:

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (٣)

وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-:

(أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر) قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: (الرياء) (٤).

---

(١) رواه الترمذي في كتاب "النذور والأيمان" باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله – حديث رقم (١٤٤٥).

(٢) سورة الأنعام آية (١٧).

(٣) سورة الكهف آية (١١٠).

(٤) رواه أحمد في باقي مسند الأنصار – حديث رقم (٢٢٥٢٣).

■ الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر وآثاره

أوجه الفرق	الشرك الأكبر	الشرك الأصغر
- العقيدة	يخرج من ملة الإسلام	لا يخرج من ملة الإسلام، ولكن يأثم صاحبه ويعد وسيلة للشرك الأكبر
- قبول العمل	يحبط جميع الأعمال	لا يحبط جميع الأعمال وإنما يحبط العمل الذي يقارنه
- العقوبة	يبيح دمه وماله ويخلد صاحبه في النار	لا يبيح دمه وماله ولا يخلد صاحبه في النار ولكن يعزر حتى يتوب ويرجع

■ الشرك أعظم الذنوب وذلك لأمور منها:

١ - إخبار الله - تعالى - أنه لا يغفره لمن لم يتب منه، قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾(١)

٢ - إخبار الله - تعالى - أنه حرم الجنة على المشرك وأنه خالد مخلد في نار جهنم.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾(٢)

٣ - إن الشرك يحبط جميع الأعمال - قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٣).

٤ - إن الشرك أكبر الكبائر قال - صلى الله عليه وسلم -:

(ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً، قالوا بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين) (٤).

---

(١) سورة النساء آية (٤٨).

(٢) سورة المائدة آية (٧٢).

(٣) سورة الأنعام آية (٨٨).

(٤) رواه البخاري في كتاب «الشهادات» - باب (ما قيل في شهادة الزور) حديث رقم ٢٤٦٠.

أجب عن الأسئلة التالية :

س١:

أ - ما معنى الشرك؟

ب - لماذا يعتبر الشرك أعظم الذنوب؟

س٢: عرّف ما يلي:

التطيّر، السحر، الكهانة، والعرافة.

س٣: أكمل الفراغ في الجمل التالية:

أ - الشرك نوعان :الأكبر يخرج صاحبه من ..... وبيع ..... و.....

ب - الشرك الأكبر هو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله تعالى مثل ..... و.....

ج - الشرك الأصغر نوعان وهما: الشرك ..... وهو شرك ألفاظ وأفعال وشرك ..... وهو الشرك في الإرادات والنيات كالرياء والسمعة.

س٤: علل ما يلي:

أ - عدم جواز الاستعاذة بغير الله عز وجل.

ب - اعتبار التطير من الشرك.

ج - تحريم الذبائح التي ذكر عليها اسم الله تعالى عليها.

س٥: بيّن نوع الشرك في هذه الأقوال والأفعال:

أ - الحلف بغير الله سبحانه وتعالى.

ب - النذر لغير الله سبحانه وتعالى.

ج - تعليق التمائم.

د - من يحسن صلاته ليثني عليه الناس.

س٦: وضّح موقف الإسلام من هذه المواقف.

أ - شخص رفض الخروج من البيت حين شاهد قطاً أسود أول النهار.

ب - مرض شخص فذهب لشخص آخر فطلب إليه تعليق بعض التمائم للشفاء.

ج - طالب ذهب إلى الساحر ليفك عنه السحر.

د - تعليق حدوة الفرس على مدخل البيت للجلب مع ودفع ضر.

س٧: بم تنصح من اعتاد الذبح عند قبور الأولياء؟

وما الذي تقترحه للقضاء على مثل هذه الأعمال التي تسمى الشرك؟

التوحيد دعوة الأنبياء والرسل جميعاً

التمهيد:

لا تستقيم حياة البشرية ولا تنتظم إلا ببعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام، فالرسالة ضرورية للعباد، ولابد لهم منها، وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء، فهي روح العالم ونور وحياته، فأي صلاح للعالم إذا انعدمت الروح والحياة والنور؟

والإنسان لا يستغني عن الروح ولا عن النور؛ لأن الروح سبب الحياة، والنور سبب الهداية ولذلك بعث الله تعالى الرسل، فما من أمة إلا وقد بعث الله - عزّ وجلّ - فيها نذيراً يقطع العذر ويقيم الحجة. قال تعالى:

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ (١).

وهؤلاء الرسل هم الذين يحملون العقائد والشرائع والأخلاق للناس، ويبلغونها ويوضحونها لهم حتى يعرّفوا الناس بربهم معرفة صحيحة صادقة، فيضبطون حركتهم الفكرية والعلمية بضوابط الوحي الإلهي

● عدد الرسل الكرام

أما عن عدد الرسل فجاء في حديث أبي ذر - رضي الله عنه - قال: قلت: يا رسول الله كم النبيون؟ قال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي». قلت: يا رسول الله كم المرسلون منهم؟ قال: «ثلاثمائة وثلاثة عشر جمّاً غفيراً» (٢).

والرسل هم القدوة الصالحة التي تتأسى بهم البشرية وهم سبب كل خير.

● التوحيد أساس دعوة الرسل

ولقد كانت أولى كلمات الأنبياء والرسل إلى أقوامهم ﴿اعبدوا الله﴾ قال عزّ وجلّ:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (٣).

---

(١) سورة فاطر: آية (٢٤).

(٢) رواه أحمد في مسنده ٥/ ١٧٨ - ١٧٩، والحاكم: ٢/ ٥٩٧ كتاب التاريخ باب بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، واللفظ له.

(٣) سورة الأنبياء: آية (٢٥).

● مظاهر التوحيد في العبادات

يستطيع المسلم أن يكون في توحيد مستمر لله - عز وجل - إذا أدى العبادات التي كُلف بها من قبل ربه بإخلاص ووفق هدي النبي - صلى الله عليه وسلم - فالصلاة التي فرضها الله - عز وجل - على المسلم خمس مرات في اليوم والليلة إذا أداها المكلف في خشوع وخضوع لربه كان في توحيد مستمر لله تبارك وتعالى. قال - عز وجل:

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾ (١)

والصوم الذي فرضه الله -سبحانه وتعالى- على المسلمين شهراً مخصوصاً من العام طاعة لله - عز وجل - في كل مكان على اختلاف لغاتهم وألوانهم وتباعد أماكنهم وتباين الأوقات، ولا يطلع على صحة صيامهم إلا الله سبحانه وتعالى.

والزكاة المفروضة على المسلم إذا أداها بعد بلوغ ماله النصاب وحال الحول عليه كان في توحيد مستمر لله. قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (٢)

وفي ذلك طهر للنفس من الشح والبخل وطهر للمال من الحرام.

والحج الذي يؤدي المسلمون شعائره على صعيد واحد غنيهم وفقيرهم، الرجل والمرأة بروية ونظام وحسن تعامل يرفعون فيه كف الضراعة لربهم - عز وجل - ويتنقلون من تلبية إلى طواف، وسعي، ثم إلى منى ثم إلى عرفات ومبيت بمزدلفة وإلى رمي الجمرات، ثم إلى الذبح والنحر وحلق الشعر أو تقصيره ثم طواف الركن.. بإخلاص لله سبحانه وتعالى، وطمعاً في جنته وخوفاً من ناره. قال تعالى: ﴿ ... وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ ... ﴾ (٣)

كل هذه الأمور إذا أداها المسلم كان في توحيد مستمر لله تبارك وتعالى.

● بأي شيء يتحقق التوحيد ؟

التوحيد يتحقق بثلاثة أمور:

الأمر الأول: العبودية الخالصة لله وحده.

الأمر الثاني: اجتناب الطواغيت والكفر بها، والبراءة ممن يعبدونها.

الأمر الثالث: البعد عن الشرك وأسبابه.

---

(١) سورة البينة آية (٥).

(٢) سورة الشورى آية (٣٨).

(٣) سورة البقرة آية (١٩٦).

وإليك الحديث عن هذه الأمور الثلاثة بشيء من الإجمال:

أولاً: العبودية الخالصة لله

وهي إعطاء الألوهية ما تستحقه من الإجلال والتعظيم، والمحبة والطاعة والتفويض المطلق في كل الأمور، ويتحقق ذلك بأمور ثلاثة:

١ - عدم اتخاذ الإنسان رباً غير الله يجلُّه ويعظمه ويقدسه، قال تعالى:

﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ (١).

٢ - ألا يوالي الإنسان أحداً غير الله جلَّ وعلا بمقتضى حبه ورضاه، قال تعالى:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ (٢).

فالذين يتخذون أنداداً من دون الله - عزَّ وجلَّ - يحبونهم ويعظمونهم، ويخافونهم كخوفهم من الله تعالى، بل أشد خوفاً، قد هدموا ركناً مهماً من أركان التوحيد، أما المؤمنون فهم أشد حباً لله.

٣ - ألا يرضى بغير الله - عزَّ وجلَّ - حكماً يطيعه ويلتزم أمره، قال تعالى:

﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ... ﴾ (٣).

لأن الله - عزَّ وجلَّ - هو الذي خلق الإنسان وهو أعلم بما يفسده وما يصلحه، وقد نهاه عما يفسده، وأمره بما يصلحه، ووضح له الطريقين، وبيَّن السبيلين، قال تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ (٤).

ثانياً: اجتناب الطواغيت

الطاغوت: كلمة مشتقة من الطغيان، وهو مجاوزة الحد، ومعناه في كل ما يُعبد من دون الله تعالى، وهؤلاء الطواغيت يأمرون الناس بالكفر والإلحاد، تارة بالإكراه على ضلالهم، وتارة بالإغراءات لأتباعهم، قال تعالى:

﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ﴾ (٥).

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم:

«من قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله حرُم ماله ودمه وحسابه على الله» (٦).

---

(١) سورة الأنعام: آية (١٦٤).

(٢) سورة البقرة: آية (١٦٥).

(٣) سورة الأنعام: آية (١١٤).

(٤) سورة البلد: آية (١٠).

(٥) سورة البقرة: آية (٢٥٦).

(٦) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، حديث رقم ٣٤.

المفهوم الثاني

العبادة طهارة وتهذيب للنفس

الـــدرس الـــسابـــع : العبادة في الإسلام

الـــدرس الـــثـامـــن : الصيام

الـــدرس الـــتـاسـع : الأحكام المتعلقة بالصيام

الـــدرس الـــعـاشـر : عبادات متعلقة بشهر رمضان

الدرس الحادي عشر : أنواع أخرى من الصيام

أركان العبادة:

أركانها قائمة على: المحبة، والرجاء، والخوف.

١ - محبة الله تبارك وتعالى:

من إنعام الله -تعالى- على العبد أن هداه لحبه وعرّفه مذاق هذا الحب الجميل الفريد. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ (١).

وحب الله تعالى ليس مجرد ادعاء باللسان فقط، بل لابد فيه من السير على هدى النبي -صلى الله عليه وسلم- وتحقيق منهجه في الحياة. فعن أنس -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار» (٢).

٢- الرجاء:

ومحبة العبد لله تعالى تحمله على أن يرجو ما عند الله تعالى في الدار الآخرة من الأجر والثواب والرحمة، فالعبد يرجو ثواب الله، ومغفرته وعفوه، ويطمع في مزيد إحسانه، فيرتقي رجاء العبد على الاجتهاد بالعبادة وتصفو فيه الهمة وتستقيم نفسه بلزوم العمل. قال تعالى:

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ۝﴾ (٣)

عن جابر رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قبل وفاته بثلاث يقول: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل» (٤).

---

(١) سورة مريم آية (٩٦).

(٢) رواه البخاري في كتاب «الإيمان» باب (حلاوة الإيمان) - حديث رقم (١٥).

(٣) سورة الإسراء آية (٥٧).

(٤) رواه مسلم في كتاب الجنة ونعيمها وأهلها - باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت، حديث رقم ٢٨٧٤.

٣ – الخوف:

المسلم يوازن بين الخوف والرجاء، فيعبد ربه –تعالى– حباً له ورجاءً لثوابه وطمعاً في جنته، وخوفاً من عقابه وحذراً من ناره، دون أن يدفعه هذا الخوف إلى شيء من اليأس والقنوط.

﴿ ... إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾(١).

والمسلم في الوقت نفسه ينزع عنه عوامل الخوف من الخلق على الرزق، أو الخوف من الأذى أو النتائج المجهولة.

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ﴾ (٢)

أهمية العبادة في تهذيب النفس وتقويم سلوك الفرد والمجتمع

للعبادة أثرها في الفرد والمجتمع، بإعلائها القيم الفاضلة وتكوينها لدى المسلم ذاتية تحمله على مراجعة نفسه، وهذه المراجعة تكون موصولة بمراقبة الله –عز وجل– فهي سياج الأمان للفرد والمجتمع، ووقاية من الانحرافات والآفات المهلكة التي تصيب الأمم وتؤذن بزوالها، ومن حكمة الله –سبحانه وتعالى– أن شرع العبادة متنوعة كي لا يمل الإنسان، فالسعي في مصلحة الغير عبادة، وإعانة المحتاج عبادة، وإماطة الأذى عبادة، وأي عمل يقوم به الإنسان فيه خير ونفع له ولغيره وللأمة الإسلامية عبادة، إذا نوى بعمله طاعة الله –سبحانه وتعالى– ورضاه.

---

(١) سورة يوسف آية (٨٧).

(٢) سورة يونس آية (٣١).

التقـــــويم

اجب عن الأسئلة التالية:

س١:

أ - ماذا نعني بالعبادة؟

ب - ما أهمية العبادة في الإسلام؟

ج - ما شروط العبادة الصحيحة؟

س٢: أكمل الفراغات في الجمل التالية:

أ - تنقسم العبادة إلى ثلاثة أقسام هي:

عبادة ..... وعبادة ..... وعبادة.....

ب - الخوف من الله تعالى أن يجد الإنسان ربه حيثما له ..... و..... و.....

ج - تنقسم العبادة حسب ممارستها إلى ثلاثة أقسام هي: عبادة ..... وعبادة ..... وعبادة .....

س٣: ضع علامة (√) مقابل العبارة الصحيحة وعلامة (×) مقابل العبارة غير الصحيحة:

- العبادة هي مجموعة الفرائض التي افترضها الله تعالى على الإنسان دون غيرها. ( )
- تعتبر الأضحية من العبادات البدنية. ( )
- النية الخالصة هي أساس قبول العمل من الإنسان. ( )

س٤: علل ما يلي:

- تنوع العبادة في الإسلام.

س٥: للعبادة أثرها في سلوك الفرد وتصرفاته وضح هذه الآثار لكل من:

- المعلم

- الموظف

- العامل

- البائع

الصيام

التمهيد:

الصيام يعلم الإنسان الصبر ويقوي عزيمته ويصقل إرادته ويهذب نفسه، فيرتفع عن الأمور الدنيوية، ويرتقي بأخلاقه ويهذبها فيدع قول الزور والفحش والسباب، ويحاول أن يرتقي إلى عالم النقاء والصفاء وقوة الإيمان. ولا يبلغ الصوم إلى ثمرته التي أرادها الله -سبحانه وتعالى- منه وهي التقوى إلا إذا صدقت نية الفرد وقويت عزيمته واحتسب صيامه لربه طلباً للمغفرة وطمعاً في الثواب ورهبة من عقاب الله -سبحانه وتعالى-. كما أن الصوم يربي في المسلم الإخلاص، لأن الصيام عبادة بين العبد وربه لا يطلع عليها أحد فهو يخلص لله وحده.

■ مفهوم الصيام

الصيام لغة: الإمساك أو الترك

الصيام شرعاً: الإمساك عن المفطرات والشهوات يوماً كاملاً من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بنية التعبد لله.

حكم الصيام: صيام رمضان فرض عين على كل مسلم بالغ عاقل قادر عليه. وأدلة مشروعيته من القرآن الكريم قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ (١)

ومن السنة قوله -صلى الله عليه وسلم-: (ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً) (٢)

---

(١) سورة البقرة آية (١٨٣).

(٢) رواه مسلم في كتاب "الصيام" باب "فضل الصوم في سبيل الله" حديث ١٩٤٨.

٣ - الإجماع:

حيث اتفقت الأمة الإسلامية على فرضية الصيام وأنه ركن من أركان الإسلام ولم يخالف في ذلك أحد من المسلمين.

أولاً صيام الفرض:

■ فضل شهر رمضان وفضل العمل فيه:

كرّم الله -عز وجل- شهر رمضان المبارك بفضائل عدة من أهمها ما يلي:

١ - أنزل سبحانه وتعالى القرآن العظيم فيه إلى السماء الدنيا.

٢ - جعله الله عز وجل شهر رحمة ومغفرة، وعتق من النار، كما قال -صلى الله عليه وسلم-: «شهر تصفد فيه الشياطين وتغلق فيه أبواب النار وتفتح أبواب الجنة» (١).

٣ - فرض الله -تعالى- فيه فريضة الصيام - التي هي سر بين العبد وربه - ليزداد المؤمن تقوى وورعاً كما قال سبحانه وتعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ (٢)

وليغفر الله -عز وجل- الصائم ما تقدم من ذنبه وليدخله يوم القيامة الجنة من باب يقال له الريان.

---

(١) رواه مسلم في كتاب الصيام باب: (فضل الصوم في سبيل الله) حديث ١٩٤٨.

(٢) سورة البقرة الآيات من (١٨٣-١٨٦).

أحد - سبحانه وتعالى - للصائمين فقط وعن ذلك يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الحديث الذي رواه الإمام البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»(١).

الدليل على فرضيته:

أ - في الكتاب، قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾(٢)

وقوله عز وجل:

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾(٣)

ب - وفي السنة:

قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج وصوم رمضان»(٤).

جـ - في الإجماع:

فقد أجمعت الأمة الإسلامية على وجوب صوم رمضان، وأنه أحد أركان الإسلام، التي علمت من الدين بالضرورة، ومنكره كافر مرتد عن الإسلام.

بم يثبت شهر رمضان؟

يثبت شهر رمضان بأحد أمرين:

١ - رؤية الهلال ولو من واحد عدل.

٢ - إكمال عدة شعبان ثلاثين يوماً.

---

(١) رواه البخاري في كتاب «الإيمان» - باب ٢٨ - حديث رقم ٣٨.

(٢) سورة البقرة آية (١٨٣).

(٣) سورة البقرة آية (١٨٥).

(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب «الإيمان» باب (دعاؤكم إيمانكم) - حديث رقم ٨.

عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: «إذا رأيتموه فصوموا، وإذا رأيتموه فأفطروا، فإن غُمّ عليكم فاقدروا له». (١).

■ على من يجب الصيام؟

صيام رمضان فرض عين على كل مسلم، بالغ عاقل، قادر على الصوم فلا يجب على من لا يطيقه حساً كالمريض الذي لا يرجى شفاؤه ولا على من لا يطيقه شرعاً كالحائض والنفساء.

وقد فرض في السنة الثانية الهجرة النبي – صلى الله عليه وسلم.

■ أركان الصيام:

للصيام ركنان تتركب منهما حقيقته يجب على المسلم التقيد بهما والمحافظة عليهما لعدم صحة الصيام إلا بهما وهذان الركنان هما:

١ - النية.

فلا يصح الصوم إلا بالنية لقول الله تعالى:

﴿ وَمَا أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ (٢)

ولقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – «إنما الأعمال بالنيات» (٣) ومحل النية القلب ولا يشترط التلفظ بها ولابد أن تكون قبل الفجر من كل ليلة من ليالي رمضان لحديث حفصة – رضي الله عنها – قالت: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له». (٤).

٢ - الإمساك عن المفطرات:

فيجب على الصائم الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس لقوله تعالى:

﴿ ... وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِ ﴾ (٥)

– المراد بالخيط الأبيض، والخيط الأسود بياض النهار وسواد الليل.

---

(١) رواه البخاري في كتاب «الصوم» باب (هل يقال: رمضان أو شهر رمضان) حديث رقم ١٩٦٧.

(٢) سورة البينة آية: (٥).

(٣) رواه البخاري في كتاب «بدء الوحي» باب / ١ حديث رقم ١.

(٤) رواه الترمذي في كتاب «الصوم» باب (لا صيام لمن لم يعزم من الليل) حديث رقم ٩٩٢.

(٥) سورة البقرة آية (١٨٧).

■ سنن الصيام وآدابه:

١ - السحور:

والسحور (بفتح السين) ما يؤكل وقت السحر. وهو آخر الليل. وقد أجمعت الأمة على استحبابه، وذلك ليقوي المسلم على العبادة وينشط له ويهون عليه الصيام. فعن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «تسحروا فإن في السحور بركة» (١).

- ويستحب للمسلم أن يقرأ القرآن الكريم في السحر، ويكثر من الاستغفار لقوله تعالى ﴿ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (٢)

٢ - تعجيل الفطر:

يستحب الصائم أن يعجل الفطر بمجرد سماع أذان المغرب حتى يصيب سنة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - فعن سهل بن سعد - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «لايزال الناس بخير، ما عجلوا الفطر» (٣) ويستحب أن يكون إفطاره على رطبات وتراً فإن لم يجد فعلى الماء.

٣ - الدعاء عند الإفطار وفي أثناء الصيام:

قال - صلى الله عليه وسلم -: «إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد» (٤) فيستحب للصائم أن يدعو لنفسه وللمسلمين عند الإفطار. ومن المأثور عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه كان إذا أفطر قال: «ذهب الظمأ وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله» (٥).

٤ - كف الجوارح عن الآثام: الصيام عبادة تهذيب وتربية، ومن أهم ما ينبغي أن ينزع عنه الصائم ويحذره، جميع ما يحبط صومه، من المعاصي الظاهرة والباطنة.

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «قال الله - عزّ وجلّ -: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام

---

(١) رواه البخاري في كتاب «الصوم» باب (بركة السحور من غير إيجاب) حديث رقم ١٩٢٣.

(٢) سورة الذاريات آية (١٨).

(٣) رواه البخاري في كتاب «الصوم» باب (تعجيل الإفطار) حديث رقم ١٩٥٧.

(٤) رواه ابن ماجه في كتاب «الصوم» باب (في الصائم لاترد دعوته) حديث رقم ١٧٥٣.

(٥) رواه أبو داود في كتاب «الصوم» باب (القول عند الإفطار) حديث رقم ٢٠١٠.

فإنه لي وأنا أجزي به والصيام جُنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث يومئذ ولا يصخب، فإن سابّه أحد أو قاتله، فليقل إني امرؤ صائم» (١).

٥ - الجود ومدارسة القرآن:

المسلم الحق يجب أن يكون جواداً سخياً على الفقراء والمساكين في كل الأوقات، ويضاعف من جوده وكرمه وسخائه في رمضان اقتداءً بالنبي - صلى الله عليه وسلم - لحديث ابن عباس - رضي الله عنهما - «كان النبي - صلى الله عليه وسلم - أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - القرآن، فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة» (٢).

٦ - الاجتهاد في العبادة:

ينبغي أن يكثر المسلم من تأدية العبادات في رمضان، خاصة في العشر الأواخر منه فيلتزم بالفرائض ويكثر من السنن وفعل الطاعات كالاعتكاف وغير ذلك.

فقد روى البخاري ومسلم عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله وجدّ، وشد المئزر» (٣).

٧ - العمرة في رمضان:

العمرة هي زيارة البيت الحرام على وجه الخصوص، وهي سنة مؤكدة عن النبي - صلى الله عليه وسلم -.

■ الترهيب من الإفطار في رمضان عمداً:

شهر رمضان شهر عظيم، له هيبته ومنزلته، فيجب على المسلم أن يراعي حرمته، فيصومه كما

---

(١) رواه مسلم في كتاب «الصيام» باب (فضل الصيام) حديث رقم ١٩٤١.

(٢) رواه البخاري في كتاب «الصوم» باب أجود ما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - حديث رقم ١٩٦٩.

(٣) رواه مسلم في كتاب «الاعتكاف» باب (الاجتهاد في العشر الأواخر من رمضان) حديث رقم ٢٠٠٨.

ينبغي وكما يريد الله - عزّ وجلّ - إلا إذا كان من أصحاب الأعذار كمرض أو سفر أو حيض أو نفاس أو ولادة فإنه يباح له الفطر .ولكنه لا يجاهر بالإفطار بل يجب عليه إخفاء إفطاره - خاصة وأنه في بلد مسلم - لأن ذلك أدعى لرد الشبهة والظن عنه، وحتى لا يشجع غيره على انتهاك حرمة هذا الشهر العظيم. وفي دولة الكويت - والحمد لله - يراعي أولي الأمر هذه المسألة، فيعزّرون كل من يضبط مجاهراً بالفطر وذلك احتراماً لمشاعر المسلمين في هذا الشهر المبارك.

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «من أفطر يوماً من رمضان في غير رخصة رخّصها الله له لم يقض عنه صيام الدهر كله وإن صامه» (١).

■ أثر الصيام على الفرد والمجتمع:

للصيام فوائد كثيرة وأسرار وحكم سامية، فهو يعمل على تطهير النفس وتزكيتها، ووسيلة لشكر النعم التي أنعمها الله - سبحانه وتعالى - على عباده . وطريقة لقهر وسوسة الشيطان وسد المنافذ عليه، وإراحة المعدة من العمل المتواصل، وصحة وتقوية للجسد . وإحساس الصائم بمعاناة الفقير إلى آخر ذلك من الفوائد، كما يؤدي إلى الترابط والتعاون ونشر البر والخير والإحسان بين الناس جميعاً.

* * *

(١) رواه أبو داود في كتاب «الصوم» باب «التغليظ في من أفطر عمداً» حديث رقم ٢٠٤٢.

التقـــــويم

اجب عن الأسئلة التالية :

س١: قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾

هذه الآية الكريمة تضمن حكماً معيناً موجوداً في الرسالات السابقة. فما هو؟

س٢: أي الأوقات يستحب أداء العمرة فيها؟ ولماذا؟

س٣: أكمل الفراغات التالية:

أ - الصيام شرعاً هو .....

ب - أركان الصيام هي .....

١-

٢-

س٤: ضع علامة (√) مقابل العبارة الصحيحة. وعلامة (×) مقابل العبارة غير الصحيحة:

١ - الصيام يجمع جميع وسائل تربية النفس البشرية. ( )

٢ - لم يشرع الصيام إلا في الدين الإسلامي. ( )

٣ - لا يصح الصيام إلا باستحضار النية. ( )

٤ - تأخير الإفطار دليل على زيادة التقوى ( )

٥ - يستحب الإكثار من الصدقة في رمضان ( )

س٥: علل ما يلي:

أ - استحباب دعاء الصائم عند الإفطار.

ب - استحباب تناول السحور.

ج - استحباب تعجيل الفطر.

س٦: الصيام من أكثر العبادات تهذيباً للنفس وتعويداً لها على الأمانة والتقوى.. وضح ذلك في تقرير قصير.

س٧: في أي شهر بدأ نزول القرآن الكريم على سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم؟

س٨: بم يثبت شهر رمضان؟

الدرس التاسع

الأحكام المتعلقة بالصيام

الصيام أحكام كثيرة منها ما يباح للصائم فعله، ومنها ما يرخص له بسببه الفطر، ومنها ما يبطل الصوم بسببه.

أولاً: مباحات الصيام:

هناك أمور أبيحت للصائم ولا تخل بصيامه وهي:

أ - النزول في الماء والاغتسال فيه:

يجوز للصائم النزول في الماء والاغتسال فيه، وإن دخل الماء في جوفه من غير قصد فصومه صحيح.

ب - الاكتحال والقطرة ونحوهما:

فيباح للصائم الاكتحال والتقطير في العين في نهار رمضان، لأن العين ليست منفذاً إلى الجوف. لكن إذا نفذ الحلق فيجب عليه اجتناب ابتلاعه.

جـ - السواك: لا يرى الفقهاء بأساً من الاستياك للصائم.

د - المضمضة والاستنشاق: إلا أنه يكره المبالغة فيهما.

هـ - يباح للصائم أن يصبح جنباً، ثم يغتسل ويتم الصيام لما ورد عن عائشة وأم سلمة - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «كان يدركه الفجر وهو جنب من أهله ثم يغتسل ويصوم» (١).

و - الحائض والنفساء إذا انقطع الدم من الليل عنهما جاز لهما تأخير الغسل إلى الصبح وأصبحتا إن أرادتا الصيام وتصبحا صائمتين ثم عليهما أن تتطهرا للصلاة.

ز - القيء الذي يغلب الإنسان.

ح - الحجامة للصائم.

ط - الدمقنة مطلقاً.

---

(١) رواه البخاري في كتاب «الصيام» باب (الصائم يصبح جنباً) حديث رقم ١٧٩١.

ثانيا: من يرخص لهم الفطر وتجب عليهم الفدية

شرع الله - عزّ وجلّ - فريضة الصيام التي رخّص الله - عزّ وجلّ - فيها لاصحاب الاعذار بالفطر، وعليهم ان يطعموا عن كل يوم مسكيناً، وقدر ذلك بنحو صاع (١) أو نصف صاع، أو مُدّ على خلاف في ذلك.

١ - المريض الذي لا يرجى شفاؤه ويجهد صاحبه الصوم، فقد أجمع الفقهاء على إباحة الفطر له، ويطعم عن كل يوم مسكيناً، إن كان في مقدوره ذلك.

٢ - الشيخ الكبير، والمرأة المسنة اللذان لا يقدران على الصوم ويشق عليهما مشقة شديدة، قال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ (٢).

ثالثا: أ-من يرخص لهم الفطر ويجب عليهم القضاء:

١ - الجوع والعطش:

فمن أرهقه جوع مفرط، أو عطش شديد مثل اصحاب المهن الشاقة يفطر ويقضي ما عليه من ايام.

٢ - المريض مرضا شديدا:

ويزيد هذا المرض بالصوم او يخشى تاخر شفائه.

٣ - الحامل والمرضع:

اتفق الفقهاء على أن الحامل والمرضع ان تفطرا في رمضان، بشرط خوف كل منهما على نفسها أو على أولادها الرض أو الضرر، وأن يقرر ذلك طبيب عدل مسلم. فعن انس بن مالك الكعبي - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال:

«ان الله تعالى وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة، وعن الحامل والمرضع الصوم أو الصيام» (٣).

٤ - السفر:

يباح للمسافر الإفطار في السفر الذي تقصر فيه الصلاة، سواء كان فيه مشقة أم لا اخذاً بالرخصة

---

(١) الصاع: قدح وثلث.

(٢) سورة البقرة آية (١٨٤)

(٣) رواه الترمذي في كتاب الصوم، باب (ما جاء في الرخصة في الإفطار للحامل والمرضع) حديث رقم ٦٤٩.

قال تعالى:

﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ (١)

ب – من يجب عليه الفطر وعليه القضاء:

الحائض والنفساء: اتفق العلماء على وجوب الفطر الحائض والنفساء ويحرم عليهما الصيام، وإن صامتا لا يصح صومهما ويقع باطلاً وعليهما قضاء ما فاتهما، والدليل على ذلك ما روته عائشة – رضي الله عنها – قالت: «كنا نحيض عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ثم نطهر فيأمرنا بقضاء الصيام، ولا يأمرنا بقضاء الصلاة» (٢).

رابعاً: مبطلات الصيام

ما يبطل الصيام نوعان هما:

– ما يبطله ويوجب القضاء.

– ما يبطله ويوجب القضاء والكفارة.

أ – فأما ما يبطله ويوجب القضاء فهو:

١ – ٢: الأكل أو الشرب عمداً: فكل من يتعمد الأكل أو الشرب في نهار رمضان يبطل صيامه، وخصص ذلك بالعمد لأن من أكل أو شرب ناسياً أو مخطئاً فلا شيء عليه، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: «قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «إذا نسي فأكل وشرب فليتم صومه، فإنما أطعمه الله وسقاه» (٣).

٣ – القيء عمداً: لأن من غلبه القيء فلا قضاء عليه ولا كفارة ويتم صيامه ويقع صحيحاً.

٤ – ٥: الحيض والنفاس: فإذا حاضت المرأة أو نفست في جزء من النهار حتى لو كان في اللحظة الأخيرة قبل غروب الشمس أفطرت وقضت فإن صامت لم يجزئها.

٦ – من نوى الفطر: وهو صائم، يبطل صومه، وإن لم يتناول مفطراً.

ب – ما يبطله ويوجب القضاء والكفارة:

١ – الجماع: فمن جامع في نهار رمضان بطل صومه ووجب عليه القضاء والكفارة.

---

(١) سورة البقرة آية (١٨٤).

(٢) رواه الترمذي في كتاب «الصوم» باب ٦٨ ما جاء في قضاء الحائض الصيام دون الصلاة حديث رقم ٧٨٧.

(٣) رواه البخاري في كتاب «الصوم» باب «الصائم إذا أكل أو شرب ناسياً» حديث رقم ١٧٩٧.

خامساً: الكفارة ودليلها:

كفارة الجماع في نهار رمضان هي: عتق رقبة مؤمنة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، ومعنى التتابع التوالي أي: فصيام شهرين متواليين فإن أفطر يوماً من الشهرين ولو الأخير بعذر من مرض أو سفر انقطع التتابع، ووجب عليه أن يستأنفها لزوال التتابع وهو قادر عليه عادة، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً. لما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - قال:

«بينما نحن جلوس عند النبي - صلى الله عليه وسلم - إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله هلكت، قال: ما لك؟ قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: هل تجد رقبة تعتقها؟ قال: لا. فقال: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا. فقال: فهل تجد إطعام ستين مسكينا؟ قال: لا. فمكث النبي - صلى الله عليه وسلم - فبينما نحن على ذلك أتي النبي - صلى الله عليه وسلم - بعرق فيها تمر - والعرق المكتل - قال: أين السائل؟ فقال: أنا. قال: خذها فتصدق به، فقال الرجل: أعلى أفقر مني يارسول الله؟ فوالله ما بين لابتيها - يريد الحرتين - أهلُ بيت أفقرَ من أهل بيتي فضحك النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى بدت أنيابه، ثم قال: اطعمه أهلك» (١).

* * *

(١) رواه البخاري في كتاب «الصوم» باب (إذا جامع في رمضان ولم يكن له شيء) حديث رقم ١٨٠٠

أجب عن الأسئلة التالية :

س ١: للصيام أحكام شرعية كباقي العبادات المفروضة... فما واجبك كمسلم تجاه هذه الأحكام؟

س ٢: علل ما يلي:

- تشريع الله سبحانه وتعالى الرُّخص في العبادات.

س ٣: بيِّن حكم الشرع فيما يلي:

أ - شخص أكل ناسياً في نهار رمضان ثم أكمل صيامه حين تنبه لذلك.

ب - شخص نوى الإفطار في نهار رمضان.

جـ - صائم غلبه القيء وهو صائم.

د - نوعاً شخص وهو صائم ماء إلى جوفه في أثناء المضمضة.

هـ - صائم أفطر في رمضان بعذر شرعي.

س ٤: من المقصود بقوله تعالى: ﴿... وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾؟ (١)

س ٥: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «من أكل أو شرب ناسياً فلا يفطر فإنما هو رزق رزقه الله» (٢).

ما الحكم الشرعي المستخلص من هذا الحديث؟

س ٦: امرأة صامت ثم فاجأها الحيض قبل الغروب بخمس دقائق.. فما حكم صومها هذا اليوم؟ وما الذي يترتب عليه؟

س ٧: لرمضان أثر في تماسك المجتمع وترابطه.. دلّل على ذلك.

س ٨: رأيت مسلماً يفطر في رمضان فما واجبك نحوه؟

---

(١) سورة البقرة آية رقم [١٨٤]

(٢) رواه الترمذي في كتاب الصوم باب «ما جاء في الصائم يأكل أو يشرب ناسياً» حديث رقم ٧٢١

عبادات متعلقة بشهر رمضان

التمهيد:

شهر رمضان هو شهر البركة. أوله رحمة. واوسطه مغفرة. وآخره عتق من النار. وبه يكون المؤمن اكثر اتصالاً بربه، واكثر تقرباً إليه بالطاعات والعبادات وقراءة القرآن والدعاء.. ولا أدل على ذلك من العبادات التي ارتبطت بهذا الشهر الفضيل والتي يؤديها المسلم مثل صلاة التراويح والاعتكاف وإحياء ليلة القدر.

أولا: صلاة التراويح

- صلاة التراويح أو قيام الليل، من الشعائر المميزة لشهر رمضان الكريم.

- وهي عبادة تقرب العبد من ربه وتربطه به. كما أنها مدعاة الرحمة والمغفرة. وثوابها عظيم عند الله سبحانه وتعالى.

المعنى اللغوي لصلاة التراويح: التراويح جمع ترويحة، أي ترويحة النفس واستراحة.

المعنى الاصطلاحي:

هي قيام ليالي شهر رمضان، مثنى مثنى.

مشروعيتها:

سنة عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - فقد صلى النبي - صلى الله عليه وسلم - بأصحابه صلاة التراويح في بعض الليالي، ولم يواظب عليها خشية أن تكتب عليهم فيعجزوا عنها.

فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: إن النبي - صلى الله عليه وسلم - خرج ليلة من جوف الليل فصلى في المسجد وصلى رجال بصلاته فأصبح الناس فتحدثوا، فاجتمع اكثر منهم فصلى فصلوا معه فأصبح الناس فتحدثوا فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة، فخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فصلى فصلوا بصلاته، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله حتى خرج لصلاة

الصبح. فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد، ثم قال: «أما بعد، فإنه لم يخف علي مكانكم، ولكني خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها». فتوفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والأمر على ذلك» (١).

عدد ركعاتها:

المأثور عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - أنه صلاها إحدى عشرة ركعة بالوتر، ولو زاد المسلم على ذلك فلا بأس به.

وقتها:

من بعد صلاة العشاء إلى طلوع الفجر.

صلاتها في جماعة:

قيام رمضان يجوز أن تصلى جماعة، كما يجوز أن تصلى على انفراد، ولكن صلاته جماعة في المسجد أفضل عند الجمهور، فعن عبد الرحمن القاري - رضي الله عنه - قال: «خرجت مع عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع (٢) متفرقون يصلي الرجل لنفسه، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط، فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب، ثم خرجت معه ليلة أخرى، والناس يصلون بصلاة قارئهم، قال عمر: نعم البدعة هذه، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون - يريد آخر الليل - وكان الناس يقومون أوله» (٣).

حضور النساء لصلاة التراويح: يجوز للنساء حضور صلاة التراويح في المساجد لقول النبي - صلى الله عليه وسلم - «إذا استأذنت امرأة أحدكم إلى المسجد فلا يمنعها» (٤) ويجب على المرأة أن تذهب إلى المسجد متسترة غير متبرجة ولا متطيبة ولا رافعة صوتها ولا مبدية زينتها لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ (٥).

---

(١) رواه البخاري في كتاب «صلاة التراويح» باب (فضل من قام رمضان) حديث رقم ١٨٧٣.

(٢) أوزاع: جماعة متفرقون.

(٣) رواه البخاري في كتاب «صلاة التراويح» باب (فضل من قام رمضان) حديث رقم ١٨٧٤.

(٤) رواه البخاري في كتاب «النكاح» باب (استئذان المرأة زوجها في الخروج إلى المسجد وغيره) حديث رقم ٤٨٣٧.

(٥) سورة النور آية (٣١).

ولقوله – صلى الله عليه وسلم – «إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تمس طيباً» (١).

ثانياً: الاعتكاف

الاعتكاف من العبادات والقربات المستحبة وخاصة في العشر الأواخر من رمضان التماساً لليلة القدر، وقد شرعه الله – تعالى – تزكية للنفوس وتطهيراً للقلوب.

تعريف الاعتكاف:

- **الاعتكاف في اللغة هو:** اللبث والحبس.

- **والاعتكاف اصطلاحاً:** هو اللبث في المسجد والإقامة فيه والتفرغ للعبادة بنية التقرب إلى الله عز وجل.

مشروعيته:

أجمع العلماء على أنه مشروع، والدليل على مشروعيته من القرآن الكريم:

﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ (٢).

ومن السنة: عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: «إن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله، ثم اعتكف أزواجه من بعده» (٣).

- **ومن الإجماع:** أجمع العلماء على مشروعية الاعتكاف لفعل النبي – صلى الله عليه وسلم.

- **أركان الاعتكاف:** الاعتكاف ركنان يقوم عليهما وهما:

١ – النية.

٢ – اللبث في المسجد.

- **شروط الاعتكاف:** لابد للاعتكاف من شروط وهي: الإسلام – الطهارة من الجنابة والحيض والنفاس – العقل.

- **زمن الاعتكاف:** الاعتكاف مشروع في كل وقت من أوقات السنة، لأنه قربة وعبادة، ولكن أفضل أوقاته العشر الأواخر من رمضان؛ لأنها مظنة ليلة القدر.

آداب الاعتكاف:

ينبغي على المعتكف الاشتغال بطاعة الله تعالى، فيكثر فيها من صلاة النفل وقراءة القرآن الكريم

---

(١) رواه مسلم في كتاب «الصلاة» (باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنة) حديث رقم ٦٧٤.

(٢) سورة البقرة آية (١٨٧).

(٣) رواه البخاري في كتاب «الاعتكاف» باب (الاعتكاف في العشر الأواخر)، حديث رقم ١٨٨٦.

والحديث النبوي الشريف، وكتب العلم، كما يكثر من الذكر والتسبيح، والا يتكلم إلا بالخير فلا يشتم ولا ينطق بلغو الكلام، وأن يبتعد عن الأمور الدنيوية التي تلهيه عن طاعة الله سبحانه وتعالى، ويحاول في كل ذلك أن يكون مقتدياً بالرسول - صلى الله عليه وسلم.

ثالثاً: إحياء ليلة القدر

إن ليلة القدر ليلة مباركة، لأنها شهدت نزول القرآن الكريم، كما في قوله سبحانه:

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ۝٥ ﴾ (١).

ماذا يعني اسمها؟

يعني التقدير والقضاء، أو الشرف والتعظيم.

والقدر أيضاً يعني التفصيل لأنه يفصل في اللوح المحفوظ إلى الكتبة ما هو كائن من أمر الله -سبحانه وتعالى- في تلك السنة من الأرزاق والآجال، والخير والشر وغير ذلك من كل أمر حكيم، لقوله تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ (٢).

فضلها:

أ - هي ليلة العمل الصالح فيها من صلاة وذكر وغير ذلك خير من العمل في ألف شهر، وسبب فضلها: نزول القرآن الكريم فيها.

ب - تُنزل الملائكة فيها بأمر الله السلام والخير والبركة والرحمة.

جـ - إن من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

تعيين ليلة القدر:

أرجح الأقوال أنها في العشر الأواخر من رمضان، لحديث ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «التمسوها في العشر الأواخر - يعني ليلة القدر - فإن ضعف أحدكم أو عجز فلا يغلبن على السبع البواقي» (٣).

---

(١) سورة القدر كاملة.

(٢) سورة الدخان الآيتان (٤ - ٥).

(٣) رواه مسلم في كتاب «الصيام» باب «فضل ليلة القدر والحث على طلبها» - حديث رقم ١٩٨٩.

والمشهور انها في ليلة سبع وعشرين والله اعلم.

امارتها:

طلوع الشمس في صبيحة يومها بيضاء لاشعاع فيها.

الحكمة من إخفائها:

لإخفاء ليلة القدر حكمة كبيرة وهي أن يُحيي طالبها الليالي الكثيرة، حرصاً على إصابة وقتها فيزداد خيراً وثواباً، ولو أنها كانت محددة الوقت، لأحياها الناس وحدها وتركوا غيرها.

كيف تحييها؟

كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يحيي العشر الأواخر من شهر رمضان تحسباً لليلة القدر وكان يحييها بالصلاة، والدعاء. فعن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت للنبي - صلى الله عليه وسلم -: «يا رسول الله، أرأيت إن وافقت ليلة القدر، ما أدعو؟ قال: تقولين: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني» (١).

رابعاً: زكاة الفطر

حكمها:

زكاة الفطر واجبة على كل فرد مستطيع وهي حق من حقوق الله -تعالى- يؤديها المسلم لأخيه الفقير وهو يعلم أنها واجبة عليه.

وقد فرضها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأمر من الله - عزّ وجلّ - صاعاً من تمر أو شعير أو أقط أو زبيب أو غالب قوت البلد.

قال عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما -:

«إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فرض زكاة الفطر صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير، على العبد والحر والذكر والأنثى والصغير والكبير من المسلمين وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة» (٢).

سبب إضافتها إلى الفطر:

وأضيفت هذه الزكاة إلى الفطر لأنها تجب بالفطر من رمضان ويراد بها الصدقة عن البدن والنفس،

---

(١) رواه ابن ماجة في كتاب «الدعاء» باب «الدعاء بالعفو والعافية» حديث رقم ٣٨٤٠.

(٢) رواه البخاري في كتاب «الزكاة» باب «فرض صدقة الفطر» حديث رقم ١٤٠٧.

والشكر لله -تعالى- على نعمة التوفيق في صيام شهر رمضان الكريم.

على من تجب زكاة الفطر:

تجب زكاة الفطر على الصغير والكبير، والذكر والانثى، والحر والعبد من المسلمين كما ورد في الحديث السابق.

شروطها:

أ - الإسلام: فلا زكاة فطر على كافر لقوله - صلى الله عليه وسلم - «من المسلمين».

ب - الحرية. (صدقة الفطر الواجبة على العبد يخرجها عنه سيده).

جـ - وجوب الفضل عن قوته وقوت عياله في يوم العيد وليلته.

د - غروب الشمس من آخر يوم من رمضان.

مقدارها:

صاعٌ من غالب قوت البلد عن كل نفس لحديث عبد الله بن عمر السابق.

وقتها:

تجب زكاة الفطر بغروب شمس آخر يوم من شهر رمضان إلى ما قبل صلاة العيد، فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: «إن النبي - صلى الله عليه وسلم - أمر بزكاة الفطر قبل خروج الناس إلى الصلاة» (١).

ويجوز إخراجها قبل العيد بيوم أو يومين لقول ابن عمر - رضي الله عنهما - «وكانوا يعطون قبل الفطر بيوم أو يومين» (٢).

- ويحرم تأخيرها عن صلاة العيد بلا عذر، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات.

حكمتها:

من حكمة إخراج صدقة الفطر قبل صلاة العيد:

أ - أن الناس غالباً تمتنع عن الكسب في العيد، ولا يجد الفقير من يعطيه فيأتيه من صدقة الفطر كفايته. قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «أغنوهم عن الطواف في هذا اليوم» (٣).

---

(١) رواه البخاري في كتاب «الزكاة» باب (الصدقة قبل العيد) حديث رقم ١٤١٣.

(٢) رواه البخاري في كتاب «الزكاة» باب (صدقة الفطر على الحر والمملوك) ح ١٥١١.

(٣) جمع الجوامع ٣٦٦٧ - الشرح الكبير لابن قدامة مجلد رقم ١ ص ٦٨٥.

ب – وحتى يشارك الفقراء الأغنياء فرحهم وسرورهم في يوم العيد.

حـ – وهي طهارة الصائم من اللغو والرفث، وامتحان لكرمه وجوده بعد الصوم ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ (١)

د – وفيها تعويد المسلم على البذل والعطاء، وتدريبه على الإنفاق ولو كان فقيراً، وإشعاره بكرامته.

وفيها تطهير النفس من الأحقاد، وزيادة في الترابط والتضامن.

• • •

(١) سورة التوبة آية (١٠٣).

التقـــــويم

أجب عن الأسئلة التالية :

س١ :

أ - متى يستحب الإعتكاف؟

ب - ما شروط الاعتكاف؟

جـ - ما الدين اللغوي للقدر؟ ولماذا كانت ليلة القدر خيراً من ألف شهر؟

س٢ : علل ما يلي:

أ - لم يواظب الرسول - صلى الله عليه وسلم - على الخروج لصلاة القيام في الليلة الرابعة.

ب - إخفاء ليلة القدر.

س٣ : ما المشهور عن عدد ركعات صلاة التراويح؟ أيد ما تقول.

س٤ : وضح هدي النبي - صلى الله عليه وسلم - في صلاة التراويح.

س٥ : ما حكم الاعتكاف؟ وما أدلة مشروعيته؟ وما آدابه؟

س٦ : ما الدعاء الذي أمر الرسول - صلى الله عليه وسلم - بقوله في ليلة القدر؟

س٧ : ما واجبك كمسلم في ليالي رمضان المبارك؟

س٨ : اذكر الحكم في المسائل التالية:

أ - شخص اعتكف في المسجد بغرض الاجتماع بأصحابه وتبادل المنافع.

ب - اعتكفت امرأة في بيتها.

جـ - شخص أخرج زكاة الفطر بعد صلاة العيد.

د - شخص أخرج زكاة الفطر صاعاً من غالب قوت البلد الذي يعيش فيه.

س٩ : ضع علامة (√) مقابل العبارة الصحيحة وعلامة (×) مقابل العبارة غير الصحيحة:

أ - أول من جمع الناس على صلاة التراويح هو عمر بن الخطاب - رضي الله عنه . ( )

ب - كان من هدي النبي - صلى الله عليه وسلم - عدم الإطالة في صلاة التراويح . ( )

ج - إحياء ليلة القدر بالذكر والصلاة والدعاء أفضل من العمل ألف شهر . ( )

د - يبدأ وقت صلاة التراويح من بعد صلاة المغرب. ( )

هـ - الاعتكاف لا يكون إلا في رمضان. ( )

أنواع أخرى من الصيام

تمهيد:

إذا كان الله - عزّ وجلّ - قد فرض على المسلمين صوم رمضان فإنه أوجب عليهم أنواعاً أخرى من الصيام هي صوم الكفارات، وصوم النذر، والصوم بسبب وقوع محظورات في الحج، ومنها صيام ستة أيام من شوال

أولاً: صيام الواجب:

أ- صوم الكفارات:

من رحمة الله بعباده أن شرع لهم بعض الكفارات جبراً لتقصيرهم في بعض العبادات، حتى تكتمل للعبد أعماله .ففيها تربية للإنسان حيث إنها تعتبر تكفيراً عن ذنب ارتكبه ليس فيه حد أو رادع حتى لا يقع في أخطاء ومعاص ثانية، أو زيادة الأجر وتواباً للمؤمن، وتقوية لإرادته..

تعريف الكفارة:

الكفارة هي الفعلة التي من شأنها أن تكفر الخطيئة وتسترها، والمراد بالستر المحو، لأن المحو لا يرى كالستر (١).

أنواع الكفارات:

والكفارات أنواع منها:

كفارة الحنث باليمين المعقودة، وكفارة الظهار، وكفارة القتل، وكفارة الجماع في نهار رمضان.

واليك عزيزي المتعلم الحديث عن هذه الكفارات بشيء من الإجمال

- كفارة الحنث في اليمين المعقودة:

اليمين المعقودة، هي التي يعقد عليها القلب، ويكون وراءها قصد ونية فإذا نكث فيما عقد من الأيمان .أو إذا حنث فيها فعليه كفارة. أما يمين اللغو فهو الذي ينطلق به اللسان دون أن يعقد عليه القلب بالنية والقصد كاليمين الذي يسبق إليه اللسان من غير نية. أو أن يحلف على أمر مضى يظنه كذلك .فإن علمهُ على خلافه فاليمين غموس (٢).

وقد حض الإسلام على عدم ابتذال الأيمان بالإكثار من اللغو بها إذ ينبغي أن تكون اليمين بالله عزتها ووقارها

---

(١) روح المعاني للألوسي (١٠/ ٧).

(٢) المرجع السابق (٩/ ٧) واليمين الغموس وتسمى أيضا الصابرة هي اليمين الكاذبة التي تهضم بها الحقوق، أو التي يقصد بها الفسق والفجور، وسميت غموساً لأنها تغمس صاحبها في نار جهنم.

قال تعالى ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١).

ما يجب في كفارة اليمين:

يجب في كفارة اليمين إطعام عشرة مساكين، أو كسوتهم، أو تحرير رقبة مؤمنة. فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام

كفارة الظهار:

والظهار هو: قول الرجل لزوجته أنت علي كظهر أمي، فيحرمها على نفسه كأمه قال تعالى ﴿ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ۝ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٢).

وكفارته هي عتق رقبة مؤمنة .فمن لم يجد الرقبة التي يعتقها وجب عليه صيام شهرين متتابعين فإن لم يستطع الصيام لكبر سن أو مرض فعليه إطعام ستين مسكيناً ما يشبعهم

كفارة الجماع في نهار رمضان:

إذا جامع الرجل زوجته في نهار رمضان وجب عليه الكفارة وهي عتق رقبة ، فإن عدم فصيام شهرين متتابعين ، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً .وذلك لما جاء عند أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: جاء رجل إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: هلكت يا رسول الله، قال: وما أهلكك؟ قال: وقعت على امرأتي في نهار رمضان. قال: هل تجد ما تعتق به رقبة. قال: لا. قال: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا. قال: فهل تجد ما تطعم ستين مسكيناً ؟ قال: لا. قال: ثم جلس فأتي النبي – صلى الله عليه وسلم – بعرق فيه تمر. فقال: تصدق بهذا. قال: أفقر منا ؟ فما بين لابتيها أحوج إليه منا، فضحك النبي – صلى الله عليه وسلم – حتى بدت أنيابه ثم قال: اذهب فأطعمه أهلك (٣).

---

(١) سورة المائدة الآية (٨٩)

(٢) سورة المجادلة الآيات من (٢ – ٤).

(٣) رواه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب «الصيام» باب (تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان على الصائم... حديث رقم ١٨٦٤ ومعنى عرق: مكتل يسع ١٥ صاعاً أما لابتيها: فجمع لابة وهي الأرض التي فيها حجارة سوداء

كفارة القتل الخطأ:

قال تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (١)

ويجب في هذه الكفارة ما يجب في كفارة الظهار.

ب- صوم النذر

إذا نذر شخص أن يصوم لله يوماً أو عدة أيام لزمه صيام تلك الأيام التي نذرها لقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «من نذر أن يطيع الله فليطعه» (٢).

جـ - الصوم بسبب وقوع محظورات في الحج

حظر الشارع على المحرم الحج أشياء ونهاه عن فعلها. لكن من كان له عذر واحتاج إلى ارتكاب محظور من محظورات الإحرام غير الوطء، كحلق الشعر بسبب إصابته بالهوام، أو الصيد وهو محرم، ونحو ذلك، لزمه أن يذبح شاة، أو يطعم ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع، أو يصوم ثلاثة أيام.

قال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ (٣)

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لكعب بن عجرة:

«فاحلق وصم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين أو انسك نسيكة» (٤).

ومن أراد التمتع بالعمرة إلى الحج فعليه هدي أقله شاة، فمن لم يجد هدياً فليصم عشرة أيام ثلاثة في الحج وسبعة إذا رجع لأهله قال تعالى:

﴿ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ (٥)

---

(١) سورة النساء آية (٩٢).

(٢) رواه البخاري في كتاب «الأيمان والنذور» باب «النذر في الطاعة» حديث رقم ٦٦٩٦.

(٣) سورة البقرة آية (١٩٦).

(٤) رواه البخاري في كتاب «المحصر» حديث رقم ١٨١٤.

(٥) سورة البقرة آية (١٩٦).

- جزاء قتل المحرم للصيد: من قتل وهو محرم صيداً سواء كان عامداً أو ناسياً أو دل عليه من قتله فعليه الجزاء. والجزاء قيمة الصيد أي مماثلة في القيمة يحكم بكونه مماثلاً ذوا عدل. إما كائناً من النعم حال كونه هدياً بالغ الكعبة. وإما أن يشتري بقيمته طعاماً ويتصدق به على المساكين (١).

أو أنه يصوم مكان إطعام كل مسكين يوماً، وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ ﴾ (٢).

ثانيا - صيام التطوع:

من أهم الطاعات التي تقوّم النفس وتطهرها الصوم: لأنه يعوّدها الصبر على الشهوات وتحمل الكاره، وفيه جبر لنقص الفرائض وتطهير من الذنوب والمعاصي. ولذا يحسن المسلم الإكثار منه حتى تطهر نفسه وتنتصر على شهواتها وتصبح شخصية سامية سوية تعمل على سلامة المجتمع والمحافظة عليه. وحتى ينال الثواب العظيم الذي أعده الله للمتطوعين بالصيام لوارد في قوله - صلى الله عليه وسلم: «ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً» (٣).

ومن الأيام التي رغّب الرسول - صلى الله عليه وسلم - الصيام فيها ما يلي:

١ - صيام ستة أيام من شوال:

روى الإمام مسلم عن أبي أيوب الأنصاري - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «من صام رمضان، ثم اتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر» (٤)

وتؤدى هذه الأيام متتابعة، وغير متتابعة، ولا فضل لأحدهما على الآخر.

٢ - صوم عشر ذي الحجة:

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام - يعني العشر - قالوا: يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد في سبيل الله. إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع

---

(١) الفقه الميسر (٢٦٣/ ١).

(٢) سورة المائدة الآية (٩٥).

(٣) رواه البخاري في كتاب «الصيام» باب (فضل الصوم في سبيل الله) حديث رقم ٢٨٤.

(٤) رواه مسلم في كتاب «الصيام» باب (استحباب صيام ستة أيام من شوال) حديث رقم ١١٦٤.

من ذلك بشيء» (١).

ومن البدهي أن يوم عيد النحر، وهو العاشر من ذي الحجة لا يحل صومه.

٣ - صوم يوم عرفة:

يوم عرفة هو يوم التاسع من ذي الحجة ويستحب صيامه لغير الحاج. ومما يدل على ذلك ما رواه الترمذي بسنده عن أبي قتادة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «صيام يوم عرفة إني احتسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده» (٢)

أي يمحو سنة ماضية وسنة آتية ويصير كفارة لهما. والمراد بالذنوب الصغائر دون الكبائر. لأن الكبائر لابد لها من التوبة أو يغفرها الله من عنده. والسبب في منع الحاج من صيام هذا اليوم أن الصيام يضعفه عن القيام بأعمال الحج وكثرة الذكر والتلبية والدعاء. وأيضاً لأن الحاج يكون في سفر. وليس من البر الصوم في السفر

٤ - صيام المحرم وتأكيد عاشوراء:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل» (٣).

ويسن صوم عاشوراء وهو عاشر المحرم، وتاسوعاء وهو تاسع المحرم لقوله - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه ابن عباس رضي الله عنهما: «لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع» (٤)

يقضي من يوم عاشوراء وينبغي صيام يوم التاسع والعاشر، أو يوم العاشر والحادي عشر حتى نخالف اليهود.

عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: «كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصومه، فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه، فلما فرض رمضان ترك يوم عاشوراء، فمن شاء صامه، ومن شاء تركه» (٥).

٥ - صيام أكثر شعبان:

كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصوم أكثر شعبان. قالت عائشة - رضي الله عنها -: «ما رأيت النبي - صلى الله عليه وسلم - في شهر أكثر صياماً منه في شعبان» (٦).

---

(١) رواه ابن ماجه في كتاب «الصيام» باب (٣٩ صيام العشر) حديث رقم ١٧٢٧.

(٢) رواه الترمذي في باب ٤٦ (ما جاء في فضل صيام يوم عرفة) حديث رقم ٧٤٩.

(٣) رواه مسلم في كتاب «الصيام» باب (فضل صوم المحرم) حديث رقم ١١٦٣.

(٤) رواه مسلم في كتاب «الصوم» باب (أي يوم يصام في عاشوراء) حديث رقم ١١٣٤.

(٥) رواه البخاري في كتاب «الصيام» باب (صوم يوم عاشوراء) حديث رقم ٢٠٠٢.

(٦) رواه الترمذي في كتاب «الصوم» باب (ما جاء في وصال شعبان برمضان) حديث رقم ٧٣٩.

٦ - صوم يومي الاثنين والخميس من كل اسبوع:

عن أبي هريرة - رضي الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم» (١)

فالرسول - صلى الله عليه وسلم - يحب أن تعرض أعماله وهو صائم زيادة في حرصه - صلى الله عليه وسلم - على نيل أعظم الأجر والثواب.

٧ - صيام ثلاثة أيام من كل شهر:

عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «يا أبا ذر إذا صمت من الشهر ثلاثة أيام، فصم ثلاث عشرة وأربع عشرة، وخمس عشرة» (٢)

وتسمى هذه الأيام بالأيام البيض، وذلك لأن القمر فيها يكون مبيضاً.

٨ - صيام يوم وفطر يوم:

قال - صلى الله عليه وسلم -: «أحب الصيام إلى الله صيام داود، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً» (٣).

وإنما كان هذا الصيام أحب إلى الله تعالى، لأنه مع كثرة الصوم لا ينهك الجسم ولا يضعف مقدرة الفرد على العبادة والعمل.

وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ألم أخبر أنك تصوم ولا تفطر، وتصلي ولا تنام؟ فصم وأفطر وقم ونم، فإن لعينيك عليك حظاً، وإن لنفسك وأهلك عليك حظاً، قال: إني لأقوى لذلك: قال: فصم صيام داود عليه السلام، قال: وكيف؟ قال: كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يفر إذا لاقى» (٤).

والمسلم يستحب له أن يحرص على صوم هذه النوافل، إن لم يشق عليه الصوم، لأن هذا الصيام يكفر الخطايا ويزيد الأجر والثواب ويهذب المسلم ويربيه على تقوى الله - عز وجل - وطاعته.

---

(١) رواه الترمذي في كتاب «الصوم» باب (ما جاء في صوم الاثنين والخميس) حديث رقم ٧٤٧

(٢) رواه الترمذي في كتاب الصوم باب (ما جاء في صوم ثلاثة أيام من كل شهر) حديث رقم ٧٩٢.

(٣) رواه البخاري في كتاب «أحاديث الأنبياء» باب ٣٨ حديث رقم ٣٤٢٠

(٤) رواه البخاري في كتاب الصوم باب حق الأهل في الصوم، حديث رقم ١٩٧٧

ثالثاً – الأيام التي يكره الصيام فيها:

هناك أيام يكره الصيام فيها لعلل بيّنها الرسول – صلى الله عليه وسلم – وهي:

١ – إفراد يوم الجمعة بالصيام:

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «لا يصوم أحدكم يوم الجمعة إلا أن يصوم قبله، أو يصوم بعده» (١).

وذلك لأن يوم الجمعة عيد أسبوعي للمسلمين ولذلك نهى الشارع عن صيامه، إلا إذا صام المسلم يوماً قبله أو يوماً بعده، أو وافق عادة له، أو كان يوم عرفة، أو عاشوراء، فإنه حينئذ لا يكره إفراده بالصيام.

٢ – إفراد يوم السبت بصيام:

كره النبي – صلى الله عليه وسلم – إفراد يوم السبت بصيام، لأنه يوم تعظمه اليهود، فعن الصماء – رضي الله عنها – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «لا تصوموا يوم السبت إلا فيما افترض الله عليكم، وإن لم يجد أحدكم إلا لحاء (٢) عنبة أو عود شجرة فليمضغه» (٣).

٣ – صوم يوم الشك:

يوم الشك وهو اليوم الذي يسبق شهر رمضان ويكره صيام هذا اليوم تطوعاً بلا سبب لقول عمار بن ياسر – رضي الله عنهما – «من صام اليوم الذي يشك فيه الناس فقد عصى أبا القاسم» (٤). ويستثنى من هذه الكراهة إذا وافق يوم الشك ما يعتاد صومه تطوعاً، بأن يواصل الصوم، أو يصوم يوماً معيناً كالاثنين والخميس، أو يصوم يوماً ويفطر يوماً لحديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «لا يتقدمن أحدكم رمضان بصوم يوم أو يومين إلا أن يكون رجل كان يصوم صومه فليصم ذلك اليوم» (٥).

٤ – صيام يوم عرفة للحاج:

نهى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الحاج عن صيام يوم عرفة، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: «نهى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن صوم يوم عرفات بعرفات» (٦).

ولقد ذكر العلماء أنه نهي استحباب لا نهي تحريم.

---

(١) رواه الترمذي في كتاب «الصوم» باب ٤٢ (في صوم يوم الجمعة وحده) حديث رقم ٧٤٣.

(٢) اللحاء: أي القشر.

(٣) رواه الترمذي في كتاب «الصوم» باب ٤٣ (ما جاء في صوم يوم السبت) حديث رقم ٧٤٤.

(٤) رواه الترمذي في كتاب «الصوم» حديث رقم ٦٨٦.

(٥) رواه البخاري ومسلم والرواية للبخاري في كتاب «الصوم» باب ١٤ حديث رقم ١٩١٤.

(٦) رواه أحمد في «مسند المكيين» حديث رقم ١٥٠٣١ و ١٥٧٦٠ – طبعة مؤسسة الرسالة – بيروت – ط الأولى.

رابعا - الأيام التي يحرم الصيام فيها:

هناك أيام حرم الشارع الحنيف على المسلم صيامها وهذه الأيام هي:

١ - يوم الفطر والنحر:

أجمع العلماء على تحريم الصوم يومي العيدين سواء كان الصوم واجباً أو تطوعاً. لحديث عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - والذي يقول فيه: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ينهى عن صيام هذين اليومين» (١).

ولحديث الذي رواه الترمذي عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أنه قال: نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن صيامين يوم الأضحى ويوم الفطر» (٢).

٢ - أيام التشريق:

أيام التشريق هي الثلاثة أيام التي تلي يوم النحر. فلا يجوز صيام هذه الأيام، ودليل ذلك ما رواه الترمذي بسنده عن عقبة بن عامر - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: «يوم عرفة ويوم النحر، وأيام التشريق، عيدنا أهل الإسلام، وهي أيام أكل وشرب» (٣).

٣ - الوصال في الصوم:

الوصال في الصيام هو وصل الصوم ومتابعة بعضه ليلاً ونهاراً، دون إفطار أو سحور. والحكمة في النهي عنه: دفع الضعف والملل عن المواظبة على بقية العبادات. عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إياكم والوصال» قالوا: فإنك تواصل يا رسول الله؟ قال: إنكم لستم في ذلك مثلي، إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني، فاكلفوا من الأعمال ما تطيقون» (٤). وقد حمل الفقهاء النهي في الحديث على الكراهة.

٤ - صيام الدهر:

نهى الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن صيام الدهر (٥): إذا فإنه يحرم صيام السنة كلها بما فيها الأيام التي نهى الشارع عن صيامها لقول الرسول - صلى الله عليه وسلم: «لا صام، من صام الأبد» مرتين (٦). أي لا يحصل له أجر الصوم لمخالفته هدي النبي - صلى الله عليه وسلم.

---

(١) رواه الترمذي في كتاب «الصوم» باب (ما جاء في كراهية الصوم يوم الفطر والنحر) حديث رقم ٧٧١.

(٢) رواه الترمذي في كتاب «الصوم» باب (ما جاء في كراهية الصوم) حديث رقم ٧٧٢.

(٣) رواه الترمذي في كتاب «الصوم» باب (ما جاء في كراهية الصوم في أيام التشريق) حديث رقم ٧٧٣.

(٤) رواه مسلم في كتاب «الصيام» باب النهي عن الوصال، حديث رقم ١١٠٣.

(٥) الدهر: سنة كاملة.

(٦) رواه البخاري في كتاب «الصوم» باب (حق الأهل في الصوم) حديث رقم ١٩٧٧.

التقـــــويم

اجب عن الأسئلة التالية :

س١:

أ - ما المقصود بالكفارة؟

ب - ما اليمين التي تُكفّر عنها؟

س٢: رتّب كفارة الظهار هي:

- صيام شهرين متتابعين.

- عتق رقبة مسلمة.

- إطعام ستين مسكيناً.

س٣: ما كفارة القتل الخطأ؟

س٤: قال - صلى الله عليه وسلم: «لا يصوم أحدكم يوم الجمعة إلا أن يصوم قبله أو يصوم بعده».

أ - ما الحكم الشرعي الذي نستخلصه من الحديث الشريف؟

س٥: علل ما يلي: نهى النبي - صلى الله عليه وسلم - عن صيام

- يوم الجمعة منفرداً.

- يوم السبت منفرداً.

- أيام التشريق.

- صيام يوم عرفة للحاج.

س٦: متى يباح للمسلم صيام يومي الجمعة والسبت منفردين؟

س٧: ما المقصود بـ:

- يوم الشك؟

- أيام التشريق؟

- الرخصة في الصوم؟

س٨: قال - صلى الله عليه وسلم: «لا صام من صام الأبد» استخرج شرح الحديث الشريف من أحد كتب الحديث ومدونه في كراستك.

س٩: ما الحكم الشرعي فيما يلي:

- شخص صام آخر يوم في شعبان تطوعاً.

- صام شخص يوم الجمعة ثم صام يوم السبت من بعده.

القرآن الكريم رسالة ومعجزة

الدرس الثاني عشر : القرآن الكريم (تعريفه - نزوله - سمات وضوابط المكي والمدني)

الدرس الثالث عشر : جمع القرآن الكريم وتدوينه.

الدرس الرابع عشر : القرآن الكريم المعجزة الخالدة.

القرآن الكريم

(تعريفه - نزوله - سمات وضوابط المكي والمدني)

تمهيد:

قضى الناس فترة من الزمن حيارى ضالين مضلين، عاثوا الظلم الواناً، والظلمات اشكالاً وأصنافاً، أراد الله - تعالى - أن يغير لهم حياتهم، ويبعث فيهم نبض السعادة الحقيقية، فأرسل لهم الرسول الكريم محمداً - صلى الله عليه وسلم - خاتماً للأنبياء، ومتمماً للرسالات، يهدي الناس بأمر ربه إلى الطريق المستقيم وأنزل معه كتاباً كريماً، جعله الله - تعالى - نوراً يبدد به ظلمات الناس، وروحاً يحيي به قلوباً ميتة، وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى:

﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ﴾ (١)

ويقول عز وجل:

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ (٢).

كما جعله سبحانه وتعالى آية تدل على صدق نبيه - صلى الله عليه وسلم - فيما أخبر به قومه من أمر النبوة والرسالة، ومعجزة تجعل أمته تتبعه على هدى وبصيرة شأنه في هذا شأن جميع الأنبياء، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: «ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحى الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة» (٣).

تعريف القرآن الكريم:

القرآن الكريم هو كلام الله - عز وجل - المنزل على النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - بلفظه

---

(١) سورة التغابن، الآية (٨)

(٢) سورة الشورى آية (٥٢)

(٣) رواه البخاري في كتاب «فضائل القرآن الكريم» باب (كيف نزل الوحي) حديث رقم ٤٩٨١، ومسلم في كتاب «الإيمان» باب (وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم) حديث رقم ٢١٧.

ومعناه: المنقول إلينا بالتواتر، المعجز بأقصر سورة منه، المتعبد بتلاوته، المكتوب في المصحف، من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس.

سبب تسمية القرآن الكريم بإسمه:

ذكر بعض العلماء أن كتاب الله – عزّ وجلّ – المُنزّل على سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – سمي قرآناً من بين كتب الله – عزّ وجلّ – لكونه جامعاً لثمرة الكتب السماوية السابقة، بل ولجوهر ثمرة العلوم، وإلى ذلك يشير الله – عزّ وجلّ – بقوله:

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ (١).

وبقوله:

﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ (٢)

نزول القرآن الكريم:

يجدر بنا قبل الحديث عن نزول القرآن الكريم أن نتكلم أولاً بشيء من الإجمال عن الوحي حتى يسهل تصور نزول الكتاب العزيز.

معنى الوحي في اللغة:

هو الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجه إليه بحيث يخفى على غيره.

معنى الوحي في الاصطلاح:

هو إعلام الله – تعالى – لمن اصطفاه من عباده بما يريده الله – تعالى – له ولأمته بطريقة خاصة خفية وسريعة لا يدركها إلا النبي وحده.

تنزلات القرآن الكريم:

للقرآن الكريم تنزلات ثلاثة نجملها فيما يأتي:

أولها:

إنزال الله – عزّ وجلّ – القرآن الكريم إلى اللوح المحفوظ ودليل ذلك قوله سبحانه وتعالى:

﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝٢٢ ﴾ (٣).

---

(١) سورة النحل آية (٨٩).

(٢) سورة الأنعام آية (٣٨).

(٣) سورة البروج الآيات (٢١ – ٢٢) واللوح المحفوظ هو الكتاب الكوني الذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨٠ ﴾ من الآيات (٧٧ – ٨٠). وإن كل ما قضاه الله – تعالى – هو في هذا اللوح الذي لا يدرك إلا برطبته لأنه من أمر الغيب الذي تفرد الله – تعالى – بعلمه.

وكان هذا الوجود في اللوح المحفوظ بطريقة وفي وقت لا يعلمهما إلا الله -تعالى- ومن اطلعه على غيبه، وكان جملة لا مفرقاً لأنه الظاهر من اللفظ عند الإطلاق، ولا صارف عنه، ولأن أسرار تنجيم القرآن على النبي - صلى الله عليه وسلم - لا يعقل تحققها في هذا التنزل.

الحكمة من نزول القرآن إلى اللوح المحفوظ:

حكمة نزول القرآن الكريم إلى اللوح المحفوظ ترجع إلى الحكمة العامة من وجود اللوح نفسه، وإقامته سجلاً جامعاً لكل ما قضى الله وقدر، وكل ما كان وما يكون من عوالم الإيجاد والتكوين فهو شاهد ناطق، ومظهر من أروع المظاهر الدالة على عظمة الله تعالى، وعلمه وإرادته وحكمه وواسع سلطانه وقدرته، وقد بيّن الله -تعالى- حكمة وجوده في قوله:

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾.(١)

ثانيها: تنزل القرآن الكريم إلى بيت العزة

أنزل الله - عزّ وجلّ - القرآن الكريم إلى السماء الدنيا في مكان يسمى «بيت العزة» جملة واحدة بعد بعثة سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - وكان ذلك في ليلة القدر من شهر رمضان، ودليل ذلك من القرآن قوله تعالى:

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ (٣).

ومن السنة ما أخرجه الحاكم وغيره عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال:

«أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا ليلة القدر» (٤).

وأخرج الحاكم أيضاً بسنده عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: «فصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة في السماء الدنيا فجعل جبريل ينزل به على النبي - صلى الله عليه وسلم» (٥).

---

(١) سورة الحديد الآيتان (٢٢ - ٢٣).

(٢) سورة الدخان آية (٣).

(٣) سورة القدر آية (١).

(٤) رواه الحاكم في مستدركه ٢/ ٢٢٢ كتاب «التفسير» باب «إنزال القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا»، وقال صحيح على شرطهما ولم يخرجاه.

(٥) رواه الحاكم في مستدركه ج٢ ص ٢٢٢ كتاب «التفسير» باب «الجدال في القرآن الكريم». والمراد بالذكر: محل الذكر وهو اللوح المحفوظ.

الحكمة من هذا النزول:

الحكمة من نزول القرآن الكريم إلى بيت العزة في تفخيم أمره، وأمر من نزل عليه بإعلام سكان السماوات السبع أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل وتأكيد الثقة فيه، ومبالغة في نفي الشك عنه.

ثانيا: نزول القرآن الكريم على النبي - صلى الله عليه وسلم - منجماً (١)

أذن الله - عزّ وجلّ - لجبريل -عليه السلام- أن ينزل بما يأمره به -سبحانه وتعالى- من القرآن الكريم على قلب النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - مفرقاً حسب الوقائع والحوادث، ومقتضيات الأحوال خمس آيات وعشر آيات، وأكثر وأقل، وقد صح نزول عشر الآيات في قصة الإفك جملة، وصح نزول قوله تعالى: ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ (٢)

وحدها وهي بعض آية بمفردها.

وعن نزوله منجماً يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ (٣)

ويقول -سبحانه وتعالى-:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ (٤)

وسبب نزول هاتين الآيتين أن اليهود والمشركين عابوا على النبي - صلى الله عليه وسلم - نزول القرآن مفرقاً، واقترحوا عليه أن ينزل جملة، فأنزل الله -تعالى- هاتين الآيتين رداً عليهم (٥).

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «أنزل القرآن الكريم جملة واحدة إلى سماء الدنيا، وكان بمواقع النجوم، وكان الله - عزّ وجلّ - ينزله على رسوله - صلى الله عليه وسلم - بعضه في إثر بعض» (٦).

---

(١) يسمي العلماء القطعة التي نزلت دفعة واحدة نجماً، كأنهم يريدون القرآن من بعد التفضيل والتحريق، ويشبهون آياته بالنجوم من حيث إن كل نجم له استقلاله وإضاءته في الوقت الذي فيه جزء من مجموعة الكواكب.

(٢) سورة النساء الآية (٩٥).

(٣) سورة الإسراء الآية (١٠٦).

(٤) سورة الفرقان الآيتان (٣٢ - ٣٣).

(٥) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٨/١٣ ط إحياء التراث العربي - بيروت.

(٦) رواه الحاكم والبيهقي وحسن تخريجه.

الحكمة من نزول القرآن الكريم منجماً:

لتنجيم القرآن الكريم حكم كثيرة من أهمها ما يأتي

١ – تثبيت قلب النبي – صلى الله عليه وسلم – وتسليته على أذى قومه. ففي تجديد الوحي وتكرار نزول الملك عليه تقوية لقلبه، وشداً لأزره. وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ (١)

٢ – تيسير حفظ القرآن الكريم على النبي – صلى الله عليه وسلم – وعلى أمته، وتيسير فهمه. قال تعالى:

﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ ﴾ (٢)

٣ – التدرج بالأمة في تخليهم عن الرذائل، وتحليهم بالفضائل، والترقي بهم في التشريعات، فلو أنهم أمروا بكل الواجبات ونهوا عن جميع المنكرات دفعة واحدة لشق عليهم، ولضعفت الهمم الصغيرة عن التجاوب والمسايرة. تماماً كالطبيب الذي يعطي المريض دواءه على جرعات، ولو أعطاه له مرة واحدة لتحقق أحد أمرين: إما رفض المريض الدواء والصد عنه، وإما القضاء عليه. ومن هنا كان من الحكمة نزول القرآن الكريم على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – منجماً لكي لا ينفر الناس من تعاليمه.

٤ – مسايرة الحوادث، أو رداً على سؤال وهذه أمور متجددة. فكلما حدث حادث أو طرأ طارئ أو سأل سائلٌ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن شيء أنزل الله – عزّ وجلّ – على الرسول – صلى الله عليه وسلم – الحكم على هذا الحادث أو الطارئ أو الرد على سؤال السائل فيرتاح في النفوس ويتجاوب معه، فقد كانت الآيات تنزل أحياناً عن سؤال صريح كما في قوله تعالى:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾ (٣)

وأحياناً تنزل خاصة بواقعة وحادثة معينة كحادثة الإفك، وأحياناً تنزل للتوجيه إلى ما ينبغي أن يكون، كآية أسرى بدر:

﴿ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ (٤) وغير ذلك.

---

(١) سورة الفرقان آية (٣٢).

(٢) سورة الإسراء آية (١٠٦).

(٣) سورة الكهف آية (٨٣).

(٤) سورة الأنفال آية (٦٧).

٥ - لإشارة إلى مصدر القرآن الكريم، وأنه كلام الله -تعالى- وحده، فإن القرآن الكريم رغم أنه نزل مفرقاً إلا أنه مترابط أقوى ترابط، كأنه عقد تم نظمه بدقة وإحكام تفوق قوى البشر (١).

٦ - تربية الأمة الإسلامية على المنهج المؤثر المبني على الدائي والتدرج لمعالجة النفوس بالحكمة، والله - عزّ وجلّ - يقول:

﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ ﴾ (٢).

والقوم عايشوا عقائد ضالة، وتقاليد بالية، وانتزاع هذه العقائد وإبطال هذه التقاليد يستوجب الرفق ليقتنعوا بأن ما هم عليه هو الباطل.

٧ - إثبات أن القرآن الكريم معجز، وذلك لا يتأتى إلا بنزوله مفرقاً، والقرآن الكريم يطالبهم - ما داموا قد أنكروه - أن يأتوا بمثله فإن عجزوا فليأتوا بمثل سور منه، فإن عجزوا فليأتوا بمثل سورة واحدة منه، ولو نزل القرآن الكريم جملة واحدة وطالبهم الله سبحانه وتعالى بمعارضته لقالوا كيف؟ ولو أنه نزل مفرقاً لما عجزنا عن الإتيان بمثله، فقطع الله - عزّ وجلّ - عليهم معاذيرهم.

أول ما نزل من القرآن الكريم وآخر ما نزل منه:

العلماء في أول ما نزل من القرآن الكريم على الإطلاق، وآخر ما نزل، كذلك أقوال عدة، أصحها ما يأتي:

أول ما نزل:

أصح الأقوال في أول ما نزل من القرآن الكريم على الإطلاق هو قوله تعالى:

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ (٣).

ودليل ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: «أول ما بدئ به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق (٤) الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث (٥) فيه الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ. قلت: ما أنا

---

(١) الآلوسي الحسامي للدكتور موسى شاهين، ص (١٦ - ١٧).

(٢) سورة الإسراء آية (١٠٦).

(٣) سورة العلق الآيات من (١ - ٥).

(٤) ضوؤه وإشراقه.

(٥) يتحنث: أي يتعبد.

بقارئ. قال: فاخذني فغطني (١) حتى بلغ مني الجهد (٢). ثم ارسلني فقال: اقرأ. فقلت: ما انا بقارئ. فاخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد. ثم ارسلني. فقال: اقرأ. قلت: ما انا بقارئ. فاخذني فغطني الثالثة ثم ارسلني فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾. وفي بعض الروايات حتى بلغ ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ فرجع بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد. الحديث (٣).

آخر ما نزل:

ارجح الاقوال في آخر ما نزل من القرآن الكريم على الإطلاق هو قول الله تعالى:

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٤)

ودليل ذلك ما رواه ابن مردويه من حديث المسعودي عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: آخر شيء نزل من القرآن

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

وقال ايضا آخر اية نزلت ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ فكان بين نزولها وموت النبي - صلى الله عليه وسلم - واحد وثلاثون يوماً. وقال ابن جريج: يقولون: إن النبي - صلى الله عليه وسلم - عاش بعدها تسع ليال، وبدئ يوم السبت ومات يوم الاثنين. وعن سعيد بن جبير - رضي الله عنه - قال: آخر ما نزل من القرآن كله

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ وعاش النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد نزول هذه الآية تسع ليال ثم مات يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول» (٥)

وسبب ترجيح هذا الرأي تحديد اصحابه وقت نزول الآية. ولما تحمله من الإشارة إلى ختام الوحي. وما تنوه به من الرجوع إلى الله -تعالى- لاستيفاء الجزاء العادل.

---

(١) فغطني: أي: ضمني ضماً شديداً.

(٢) الجهد: بالفتح: المشقة.

(٣) رواه البخاري في صحيحه. كتاب بدء الوحي، باب ٣ - حديث ٣.

(٤) سورة البقرة اية (٢٨١).

(٥) رواه ابن أبي حاتم. انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/٣٣٣ والإتقان.

المكي والمدني من القرآن الكريم:

استمر نزول القرآن الكريم ترابة ثلاث وعشرين سنة، وقد وقع خلال هذه المدة حادث عظيم لعله أعظم الأحداث في حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد البعثة، هذا الحادث هو الهجرة إلى المدينة المنورة، وكانت الهجرة حداً فاصلاً بين عهدين، هما العهد المكي، والعهد المدني فكان من الطبيعي أن يكون لكل من العهدين ضوابط وخصائص ومميزات، وذلك لأن القرآن الكريم كان يتنزل في مكة على النبي - صلى الله عليه وسلم - ليواجه به مجتمع الجاهلية العنيد، وليوجه أصحابه الكرام الذين آمنوا به واتبعوه واهتدوا إلى طريق الحق والخير.

ولكنه في المدينة كان يواجه مجتمعاً قائماً على أساس الإيمان والانقياد لتعاليم هذا الدين، فكان من الطبيعي أن يكون هناك اختلاف بين موضوعات كل من المرحلتين، ويتبع هذا الاختلاف في الموضوع الاختلاف في خصائص الأسلوب.

لذلك فإن العلماء الأفاضل قد استنتجوا من القرآن الكريم خصائص وسمات موضوعية لكل من القرآن المكي والمدني، ولا عجب في ذلك فإنه مما يكاد يأخذ بالألباب هذه العناية الفائقة التي أولاها هذا الكتاب الكريم من العلماء الأفذاذ، فقد اهتموا بكل ما يتعلق بالقرآن الكريم اهتماماً بالغاً، فذكروا مثلاً تاريخ نزول آياته، حتى إننا نستطيع القول إنه ليست هناك آية إلا وقد ورد ما يدل على تاريخ نزولها، بل إننا لنجد أكثر من ذلك دلالة على العناية بالكتاب الكريم، فلقد ذكر المؤلفون في علوم القرآن الحضري منه والسفري والليلي منه والنهاري، والصيفي والشتائي وغير ذلك، مما يؤكد هذه العناية التي لم يعرفها تاريخ الفكر الإنساني بالنسبة إلى كتاب آخر سماوي أو أرضي.

تعريف المكي والمدني:

القول الصحيح والراجح في تعريف المكي والمدني هو:

أن المكي: ما نزل من القرآن الكريم قبل الهجرة.

والمدني: ما نزل منه بعد الهجرة.

الضوابط والسمات الموضوعية لكل من القرآن المكي والمدني:

استنبط العلماء عن طريق الاستقراء والتتبع ضوابط وسمات وخصائص عامة يعرف بها المكي والمدني من سور القرآن الكريم، ونحن نجملها هنا فيما يلي:

أولا – الضوابط:

ضوابط القرآن المكي	ضوابط القرآن المدني
١ – كل سورة فيها «كلا» فهي مكية، لأن أهل مكة كانوا جبابرة يحتاجون التهديد والتعنيف والإنكار عليهم.	١ – كل سورة فيها ذكر للمنافقين سوى «العنكبوت» فهي مدنية.
٢ – كل سورة فيها «سجدة» فهي مكية، وذلك لأن المكيين كانوا يسجدون للأصنام فأراد الله – عز وجل – أن يعوّدهم على السجود له – سبحانه وتعالى – وترك السجود لغيره عز وجل.	٢ – كل سورة فيها مجادلة أهل الكتاب فهي مدنية.
٣ – كل سورة افتتحت بحروف التهجي فهي مكية سوى سورتي «البقرة» و«آل عمران» فهما مدنيتان بالإجماع، وفي سورة «الرعد» خلاف بين العلماء، فمنهم قال بمكيتها، وآخرون قالوا بمدنيتها.	٣ – كل سورة فيها فريضة أو حد فهي مدنية.
٤ – كل سورة تناولت قصة آدم وإبليس فهي مكية سوى «البقرة».	٤ – كل سورة تناولت الجهاد وأحكامه، أو الدعوة له أو تناولت الصلح والعقود فهي مدنية.
٥ – كل سورة تناولت قصص الأنبياء والأمم السابقة فهي مكية، وفي سورة البقرة.	
٦ – كل سورة فيها «يا بني آدم» وليس فيها «يا أيها الذين آمنوا» فهي مكية، سوى سورة «الحج».	

سمات القرآن المكي	سمات القرآن المدني
١ - الدعوة إلى التوحيد وعبادة الله وحده وإثبات الرسالة والبعث والجزاء وذكر القيامة وأهوالها وعذابها والجنة ونعيمها ومجادلة المشركين بالبراهين العقلية والآيات الكونية. ٢ - وضع الأسس العامة للتشريع والفضائل الأخلاقية ومحاربة العادات القبيحة وفضح جرائم المشركين مثل وأد البنات وسفك الدماء وأكل مال اليتامى ظلماً. ٣ - بيان أحوال الأمم السابقة وذكر قصص الأنبياء رعيراً لهم حتى يعتبروا بمصير المكذبين وأنهم وتسلية للرسول - صلى الله عليه وسلم - حتى يصبر على أذاهم. ٤ - قصر الآيات والسور لأن أهل مكة كانوا على درجة كبيرة من العناد والجحود والكفر فكان من المناسب لهم أن يقرع القرآن أسماعهم بالمواعظ الزاجرة والكلمات المؤثرة في آيات وسور موجزة	١ - بيان التشريعات العملية، والأحكام التفصيلية التي كان المجتمع الإسلامي الجديد في أمس الحاجة إليها من عبادات ومعاملات وحدود وتنظيم شؤون الزواج والطلاق والميراث وغير ذلك. ٢ - الأمر بالجهاد وإعلاء كلمة الله تعالى وما يتصل بذلك من أساليب الترغيب فيه والحث عليه وغير ذلك. ٣ - مخاطبة أهل الكتاب من اليهود والنصارى ودعوتهم إلى الإسلام وبيان تحريفهم لكتاب الله وغير ذلك. ٤ - الكشف عن سلوك المنافقين وفضحهم وإظهار خباياهم حتى يحذرهم المسلمون ويتقوا شرهم. ٥ - طول الآيات والسور في أسلوب يقرر الشريعة ويوضح أهدافها ومراميها.

* * *

التقـــــويم

أجب عن الأسئلة التالية :

س١ : عرف القرآن الكريم شرعاً ، وبين سبب تسمية القرآن الكريم بهذا الاسم .

س٢ : ما معنى الوحي لغة؟ وما الذي يتناوله هذا المعنى؟

س٣ : بين معنى الوحي شرعاً واصطلاحاً .

س٤ : ما المراد بنزول القرآن الكريم ؟

س٥ : تنزلات القرآن الكريم ثلاثة . اذكرها إجمالاً . ثم بين الحكمة من نزول القرآن الكريم في كل منها .

س٦ : اختر التكملة الصحيحة من بين الاختيارات في العبارات التالية :

أ - نزل القرآن الكريم من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في بيت العزة في

ليلة القدر .

ليلة الإسراء .

ليلة الهجرة .

ب - أول ما نزل من القرآن الكريم :

أول سورة الفاتحة .

أول سورة العلق .

أول سورة القدر .

ج - آخر ما نزل من القرآن الكريم آية موجودة في سورة

آل عمران

النساء

البقرة

س٧ : ما معنى نزول القرآن الكريم منجماً؟

س٨ : كيف كان نزول القرآن الكريم تحدياً للمشركين وإثباتاً للإعجاز؟

س٩ : ما معنى المكي والمدني من القرآن الكريم؟

س١٠ : وضح ضوابط وسمات القرآن المكي والمدني .

الدرس الثالث عشر

جمع القرآن الكريم وتدوينه

تمهيد:

لم تعرف البشرية طوال تاريخها الطويل كتاباً لقي من العناية والاهتمام والحفاظ عليه وحفظه مثل ما لقي القرآن الكريم.

فعلى الرغم من أن الله - عزّ وجلّ - قد ضمن له البقاء والحفاظ عليه وصيانته من التحريف والضياع والنسيان كما ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (١)

تقول رغم وعد الله عزّ وجلّ هذا بحفظه فإننا نجد الرسول - صلى الله عليه وسلم - اهتم به اهتماماً بالغاً سواء أثناء تلقيه له من جبريل - عليه السلام -، أو عرضه بكل ما فيه، أو تبليغه الصحابة كما أنزل عليه دون أن يكتم منه شيئاً أو يغير منه حرفاً مع حثه للصحابة على الاعتناء به وتبليغهم إياه غيرهم. فتنافس الصحابة في تعلمه وتعليمه ومدارسته والعمل بما فيه. كما اهتموا أيضاً والرسول - صلى الله عليه وسلم - قبلهم بكتابته كي تُظاهر الكتابة الحفظ. وحتى يحفظ القرآن من التحريف الذي أصاب الكتب السماوية السابقة.

ومع هذه العناية الفائقة التي لقيها القرآن الكريم من الرسول - صلى الله عليه وسلم - ومن صحابته الكرام - رضي الله عنهم - فإن جبريل - عليه السلام - كان يعارض الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالقرآن الكريم في شهر رمضان من كل عام، حتى إذا كان العام الذي توفي فيه الرسول - صلى الله عليه وسلم - عارضه جبريل بالقرآن فيه مرتين.

روى الإمام مسلم عن السيدة فاطمة - رضي الله عنها - قالت: «حدثني - أي النبي - صلى الله عليه وسلم - أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل عام مرة، وإنه عارضه به في العام مرتين ولا أراني إلا قد حضر أجلي» (٢).

والآن هيا بنا أيها التلميذ النجيب نتعرف معاً مدى اهتمام الرسول - صلى الله عليه وسلم - وصحابته الكرام بالقرآن الكريم حفظاً وكتابة.

---

(١) سورة الحجر آية (٩).

(٢) انظر صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضائل فاطمة رضي الله عنها ج ٤ ص ١٨٨٨.

جمع القرآن الكريم:

يطلق جمع القرآن الكريم تارة بمعنى حفظه واستظهاره، وتارة أخرى بمعنى تدوينه وكتابته كله. هذا جمع في الصحائف والسطور، وذاك جمع في القلوب والصدور، ولقد وجد الجمع بمعنى الحفظ والكتابة معاً منذ نزوله على الرسول - صلى الله عليه وسلم - وسيبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وقد تم جمعه في الصدر الأول ثلاث مرات، مرة في عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - ومرة أخرى في عهد أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - ومرة ثالثة في عهد عثمان بن عفان - رضي الله عنه - وفي هذه المرة الأخيرة وحدها نسخت المصاحف وأرسلت إلى الآفاق.

جمع القرآن في عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم:

جمع القرآن الكريم بالمعنيين: أي بمعنى حفظه في الصدور، وبمعنى كتابته في الصحائف والسطور في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فهيا بنا لنتعرف هذين الجمعين.

أولاً: جمع القرآن بمعنى حفظه في الصدور:

جمع القرآن الكريم بمعنى حفظه واستظهاره في الصدور في عصر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومازال هذا الجمع متواتراً إلى عصرنا هذا.

حفظ الرسول - صلى الله عليه وسلم - القرآن الكريم واستظهاره له:

كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شديد الحرص على حفظ القرآن؛ ولذلك فحينما كان جبريل - عليه السلام - ينزل بآيات القرآن الكريم على سيد الخلق محمد - صلى الله عليه وسلم - كان يتلقفها - عليه الصلاة والسلام - في شوق ولهفة ويعيها قلبه وسمعه وكيانه كله. ولقد بلغ من حب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للوحي النازل من القرآن وحرصه على حفظه أنه كان يحرك لسانه بقراءته وراء جبريل - عليه السلام - خوفاً من تفلت شيء منه، فنهاه الله عن ذلك ووعده بتحفيظه له بقوله سبحانه ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ (١) أي جمعه في صدرك وقراءته بعد ذلك بلسانك ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ (٢) أي استمع له وانصت ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ (٣) إنا أن نكل عليك فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع فإذا انطلق جبريل قرأه النبي - صلى الله عليه وسلم - كما قرأه (٤).

فقد روى البخاري بسنده عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يعالج من التنزيل شدة، وكان مما يحرك به شفتيه - فأنزل الله تعالى:

﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾

---

(١) سورة القيامة الآيتان (١٦ - ١٧).

(٢ - ٣) سورة القيامة الآيتان (١٨ - ١٩).

(٤) انظر تفسير الوسيط للواحدي النيسابوري ٤/٣٩٣ بتصرف.

قال: فاستمع له وانصت ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ ثم إن علينا أن نقرأه. فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع. فإذا انطلق جبريل قرأه النبي - صلى الله عليه وسلم - كما قرأه (١). أي جبريل. وهذا تحقيق وعد الله تعالى لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - الوارد في قوله سبحانه ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ ﴾(٢). وبالفعل حفظ الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - القرآن الكريم حفظاً كما أنزل عليه.

ثم بعد ذلك كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يبلغ ما أنزل عليه للناس.

حفظ الصحابة القرآن الكريم:

أما موقف الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - من القرآن حفظاً وتلاوة فيوضحه الشيخ الزرقاني بقوله (٣): «وأما الصحابة -رضوان الله عليهم- فقد كان كتاب الله في المحل الأول من عنايتهم يتنافسون في استظهاره وحفظه ويتسابقون إلى مدارسته وتفهمه ويتقاضون فيما بينهم على مقدار ما يحفظون منه وربما كانت قرة عين السيدة منهم أن يكون مهرها في زواجها سورة من القرآن يعلمها إياها زوجها وكانوا يهجرون لذة النوم وراحة الهجود، وإيثاراً للذة القيام به في الليل والتلاوة له في الأسحار. والصلاة به والناس نيام. حتى لقد كان الذي يمر ببيوت الصحابة -رضوان الله عليهم- في غسق الدجى يسمع فيها دوياً كدوي النحل بالقرآن العظيم. وكان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يذكي فيهم روح هذه العناية بالتنزيل، يبلغهم ما أنزل إليه من ربه. ويبعث إلى من كان بعيد الدار منهم من يعلمهم ويقرئهم القرآن الكريم، كما بعث مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم -رضي الله عنهما- إلى المدينة قبل هجرته، يعلمانهم الإسلام ويقرئانهم القرآن الكريم.

قال عبادة بن الصامت - رضي الله عنه: «كان الرجل إذا هاجر دفعه النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى رجل منا يعلمه القرآن، وكان يسمع لمسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ضجة بتلاوة القرآن حتى أمرهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا».

ومن هنا كان حفاظ القرآن الكريم في حياة الرسول - صلى الله عليه وسلم - جماً غفيراً.

ثانياً: جمع القرآن الكريم في عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - بمعنى كتابته:

نزل القرآن الكريم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - شيئاً فشيئاً. الآية وجزء الآية، والآيتين والأكثر، والسورة والأكثر. وكان كلما نزل شيء بادر - صلى الله عليه وسلم - بتبليغه لأصحابه، وكان مع هذا يملي على أصحابه الكتبة ما ينزل عليه من القرآن. ولقد كُتب القرآن كله في حضرته بأمر

---

(١) رواه البخاري في كتاب «بدء الوحي» حديث رقم ٤.

(٢) سورة الأعلى آية (٦).

(٣) شامل العرفان ٢٤١/ ١ - ٢٤٢.

منه وبرعايته – عليه الصلاة والسلام – (١)، منذ بداية الوحي إلى نهاية نزول القرآن الكريم

ومن الأحاديث الدالة على أن القرآن الكريم كان يكتب في حضرته – عليه الصلاة والسلام – ما رواه الإمام أحمد، والحاكم عن زيد بن ثابت – رضي الله عنه – قال: «**كنا عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم – نؤلف القرآن من الرقاع إذ قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم: طوبى للشام. فقلنا: لأي شيء ذلك؟ قال: لأن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليهم**» (٢).

وغير ذلك من الأحاديث وأقوال العلماء الدالة على أن القرآن الكريم قد كتب بين يدي النبي – صلى الله عليه وسلم – وبأمره، وما نزل شيء من القرآن – آية وسورة – إلا وضع موضعه بتوقيفه وإعلام الصحابة بذلك (٣).

كُتّاب الوحي لرسول الله – صلى الله عليه وسلم:

استلزمت كتابة الرسول – صلى الله عليه وسلم – للقرآن الكريم أن اتخذ كُتّاباً يكتبون له هذا الكتاب العظيم أُطلق عليهم «كتّاب الوحي»، لأنه – عليه الصلاة والسلام – لم يكن يقرأ ولا يكتب، ولذلك كان إذا انتهى الوحي من تلاوته على الرسول – صلى الله عليه وسلم – ما أمره الله – عز وجل – بتبليغه إياه تلا – صلى الله عليه وسلم – الآيات التي أنزلت وأمر كتبة الوحي بكتابتها بين يديه فيكتبونها.

وكتّاب الوحي لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – عديدون أحصى أسماءهم عدد من العلماء وأوصلوهم إلى ثلاثة وأربعين كاتباً، من أشهرهم الخلفاء الأربعة ومعاوية بن أبي سفيان، وزيد بن ثابت، وأبيّ بن كعب رضوان الله تعالى عليهم.

وبهذا فلم يقبض رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلا والقرآن الكريم محفوظ في الصدور، ومكتوب في الصحف.

ثانياً: جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق – رضي الله عنه:

لما توفي النبي – صلى الله عليه وسلم – في العام العاشر الهجري آلت الخلافة قيادتها إلى أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – وواجهته في خلافته أحداثٌ جِسام ومشاكل صعاب كان من أهمها موقعة اليمامة سنة الثنتي عشرة للهجرة، ففي تلك الموقعة دارت الحرب بين المسلمين وأهل الردة من أتباع مسيلمة الكذاب، وكانت معركة حامية الوطيس استشهد فيها كثير من قراء الصحابة وحفظتهم للقرآن

---

(١) علوم القرآن الدكتور محمد أحمد القاسم، والدكتور مبيع عبد الحكيم محمود ص ٢٧، ط أولى ١٩٨٥ – دار المزاحة المحمدية – مصر.

(٢) الفتح الرباني على مسند الإمام أحمد (٢٠/ ١٨) والمستدرك (٢٢٩/ ٢ – ٦١١) وقال عنه: صحيح على شرط الشيخين، وصححه الذهبي.

(٣) علوم القرآن ص ٢٨.

الكريم، ينتهي عددهم إلى السبعين. وأدناه بعضهم إلى خمسمائة (١)، وآخرون إلى سبعمائة (٢)، فهال ذلك عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وأشار على أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - بجمع القرآن الكريم خوفاً من ضياع شيء منه بموت الكثير من القراء والحفاظ في الحروب، وقد يكون عند أحدهم شيء من القرآن الكريم المكتوب فيضيع بموته. وفي ذلك يروي البخاري في صحيحه أن زيد بن ثابت - رضي الله عنه - قال: أرسل إليّ أبو بكر بعد مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده. قال أبو بكر - رضي الله عنه - إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر - أي اشتد - يوم اليمامة بقرّاء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن. قلت لعمر: كيف تفعل ما لم يفعله رسول الله - صلى الله عليه وسلم؟ قال: هو والله خير؟ فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك رأي عمر. قال زيد: قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فتتبع القرآن فاجمعه. فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن! قلت: كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله - صلى الله عليه وسلم؟ قال: هو والله خير؟ فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. فتتبعت القرآن أجمعه من العسب والأكتاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري، لم أجدها مع أحد غيره: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ... ﴾ حتى خاتمة براءة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر في حياته، ثم عند حفصة بنت عمر (٣).

هذا ودل الروايات العديدة أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ساعد زيداً - رضي الله عنه - مساعدة تامة في هذا الموضوع. ولا عجب في ذلك. فإنه صاحب الفكرة، وهو الذي اقترحها على أبي بكر - رضي الله عنهما - جاء في كتاب المصاحف (٤) لابن أبي داود أن أبا بكر قال لعمر وزيد: اقعدا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه. والشاهدان يشهدان على أن ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان غرضهم من ذلك ألا يكتب إلا من عين ما كتب بين يدي النبي - صلى الله عليه وسلم - لا من مجرد الحفظ (٥).

ويدل هذا على الزيادة في التحري، والمبالغة في الاحتياط. فزيد حافظ القرآن وقد أوتي حظاً كبيراً

---

(١) فضائل القرآن الكريم لابن كثير (ص ٢١).

(٢) مدخل لدراسة القرآن الكريم (ص ٢٤٣).

(٣) رواه البخاري في كتاب «فضائل القرآن» الباب الثالث والرابع حديث ٤٦٠٣ وكتاب «الأحكام» الباب ٣٧، وأحمد الإمام أحمد: ١/٣١.

(٤) كتاب «المصاحف» ص٦ لابن أبي داود.

(٥) «الإتقان في علوم القرآن» للسيوطي: ١/٥٨.

من المعرفة بكتاب الله، ومع ذلك فلم يكن يكتفي بأن يوافق حفظ غيره حفظه، بل كان يطلب مع ذلك شيئاً مكتوباً، ويطلب من يشهد له على أن هذه الكتابة كانت بين يدي النبي - صلى الله عليه وسلم - أي لم يكن يكتفي بمجرد وجدانه مكتوباً حتى يشهد به من تلقاه سماعاً (١).

وبعد أن انتهى زيد - رضي الله عنه - من عملية الجمع التي استغرقت سنة واحدة تقريباً، سلم ما جمعه إلى الخليفة أبي بكر الذي احتفظ به إلى أن توفي فآلت هذه الصحف إلى الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ثم قام عمر بتسليمها إلى ابنته حفصة أم المؤمنين في آخر حياته (٢) فبقيت عندها - رضي الله عنها - إلى أن طلبها منها الخليفة عثمان بن عفان فنسخ منها مصحفه، ثم ردها إليها ثانية.

وبعد، فما فعله أبو بكر - رضي الله عنه - من جمع للقرآن يعتبر من الأعمال العظيمة الخالدة على مدى التاريخ، ومهما حاولنا أن نعبر عن عظم هذا العمل فلن نجد ما يعطي أبا بكر - رضي الله عنه - حقه في هذا المضمار إلا قول علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - الذي قاله في حق أبي بكر الصديق حيث قال: أعظم الناس في المصاحف أجراً أبو بكر - رحمة الله على أبي بكر هو أول من جمع كتاب الله (٣).

رابعاً: جمع القرآن في عهد عثمان - رضي الله عنه:

اتسعت الفتوحات الإسلامية في زمن سيدنا عثمان بن عفان - رضي الله عنه - ودخل الإسلام كثيرٌ من الأقطار وزادت الرقعة التي تقرأ القرآن الكريم، واختلط الناس بعضهم ببعض، وفيهم من الناشيء الجديد ما يخفى عليهم كثير من الحقائق الدينية، لاسيما الذين نشأوا في بلاد العجم، وكان كثير من الصحابة رضوان الله عليهم قد تفرقوا فيما فتحوا من البلاد وقاموا بتحفيظ أهل تلك البلاد القرآن الكريم فصار أهل كل مصر يقرؤون بقراءة من نزل بينهم من الصحابة الكرام، ولا يعرف أكثرهم أن القرآن الكريم أنزل على سبعة أحرف، فنشأ عن ذلك اختلاف في حروف الأداء ووجوه القراءة بطريقة فتحت باب الشقاق والنزاع في قراءة القرآن، واستفحل هذا الداء حتى كفّر بعضهم بعضاً وكادت أن تكون فتنة في الأرض وفساد كبير، وانتشر هذا الداء في جميع البلاد الإسلامية، وأصاب الصغار والكبار على السواء.

ويدل على ذلك ما رواه ابن أبي داود من طريق يزيد بن معاوية النخعي قال: إني لفي المسجد زمن الوليد بن عقبة في حلقة فيها حذيفة، فسمع رجلاً يقول: قراءة عبد الله بن مسعود، وسمع آخر يقول: قراءة أبي موسى الأشعري، فغضب ثم قام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: هكذا كان من قبلكم اختلفوا، والله لأركبنّ إلى أمير المؤمنين.. (٤)، لذلك ركب حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - على الفور إلى عثمان بن عفان - رضي الله عنه - وأخبره الخبر.

---

(١) المصاحف لابن أبي داود: ص ٥.

(٢) مدخل إلى القرآن د. محمد عبد الله دراز: ص ٣٧.

(٣) كتاب فضائل القرآن لابن كثير ص ٨ ملحق في تفسيره، وقال ابن كثير عن إسناده: هذا إسناد صحيح.

(٤) فتح الباري ٩/ ١٩ والجامع لأحكام القرآن ١/ ٥٦، ٢. والمصاحف (١١ - ١٢).

وروى البخاري بسنده عن انس بن مالك أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فافزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين ادرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فارسل عثمان إلى حفصة أن ارسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فارسلت بها حفصة إلى عثمان، فامر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة - اي الأخيرين -: إذا اختلفتم انتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة (١)، وأرسل إلى كل افق بمصحف مما نسخوا وامر بما سواه من القرآن في كل صحيفة او مصحف أن يحرق (٢).

راي الصحابة في صنيع عثمان:

إن ما قام به عثمان بن عفان - رضي الله عنه - من جمع القرآن الكريم يُعد منقبة من مناقبه الجليلة، وحسنة من حسناته العظيمة التي يستحق عليها الثناء، لذلك فإن الصحابة الكرام اثنوا عليه - رضي الله عنه - ثناءً جزيلاً فهذا علي بن ابي طالب - رضي الله عنه - يقول: «لا تقولوا في عثمان إلا خيراً، فو الله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا قال عثمان: ما تقولون في هذه القراءة فقد بلغني أن بعضهم يقول إن قراءتي خير من قراءتك، وهذا يكاد يكون كفراً، فقلنا: فما ترى؟ قال: أرى أن يجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا اختلاف، قلنا: فنعم ما رأيت» (٣)

ويقول ايضاً: «ايها الناس إياكم والغلو في عثمان تقولون: حرق المصاحف والله ما حرقها إلا عن ملأ من أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - ولو وليت مثلما ولي لفعلت مثل الذي فعل» (٤).

روى الطبري عن علي قوله: «لا تسموا عثمان شقّاق المصاحف، فوالله ما شقها إلا عن ملأ منا - أصحاب محمد - ولو وليتها لفعلت مثل الذي عمل» (٥).

من كتاب الوحي:

زيد بن ثابت

اسمه ونسبه: هو الصحابي الجليل زيد بن ثابت بن الضحاك بن لوذان بن عمرو (٦) بن عدي مناف - أو عوف - بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي (٧).

---

(١) رواه البخاري في كتاب «فضائل القرآن» حديث رقم ٤٦٠٤.

(٢) رواه البخاري في كتاب «فضائل القرآن» باب (جمع القرآن) حديث رقم ٤٦٠٤.

(٣) المصاحف (ص ٦٢).

(٤) «البداية والنهاية» ٧/٢١٨ والقنع ص٨.

(٥) تاريخ الطبري ٦/١١٤.

(٦) دائرة المعارف الإسلامية «عمر».

(٧) «التهذيب» و«دائرة المعارف الإسلامية».

كنيته: أبو سعيد على الأشهر، وقيل أبو ثابت، وقيل أبو عبد الرحمن، وقيل أبو خارجة (١).

أسرته: هي النوار بنت مالك بن صرامة من مالك بن عدي بن عامر (٢).

مولده: ولد قبل الهجرة بإحدى عشرة سنة.

نشأته: نشأ في المدينة يتيماً، لأن والده قتل يوم بعاث قبل الهجرة بخمس سنين وكان زيد في السادسة من عمره (٣).

إسلامه: أسلم زيد وهو صغير، ولعل أمه كانت سبباً في إسلامه مبكراً، لأنها أسلمت قبله، وبايعت النبي - صلى الله عليه وسلم - قبل هجرته - عليه الصلاة والسلام - ولذلك عندما قدم الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة كان زيد يكتب الوحي، ويحفظ ويجيد سبع عشرة سورة من القرآن الكريم (٤).

ذكاؤه: كان زيد بن ثابت - رضي الله عنه - ذكياً متميزاً بين أقرانه حتى قال عنه الذهبي: كان زيد أحد الأذكياء (٥).

ومما يدل على هذا الذكاء المتميز أنه كان يتقن القراءة والكتابة، إتقاناً يؤهله لكتابة الوحي، مع كل ما تتطلبه هذه المهمة من نباهة ودقة، وهو في سن الحادية عشرة.

ولذكائه كلفه الرسول - صلى الله عليه وسلم - بتعلم لغة اليهود - رغم صغر سنه - لأنه كان لا يأمن أن يدس عليه اليهود في معاهداتهم معه شيئاً وهو لا يعلم، فتعلمها زيد تحدثاً وكتابة في سبعة عشر يوماً فقط، وهذا أمر لا يتأتى إلا لشخص خارق الذكاء قوي الحافظة.

جهاده: في غزوة بدر تقدم - رضي الله عنه - إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليكون بين صفوف المجاهدين، وكان لم يتم الخامسة عشرة من عمره بعد، فاستصغره الرسول - صلى الله عليه وسلم - وردّه، ولما كان يوم أحد في السنة الثالثة الهجرة اشترك فيه زيد بن ثابت، كما تذكر بعض الروايات، وإن كانت بعض الروايات الأخرى تقول إن أول مشاهده كان يوم الخندق، ثم حضر المشاهد بعد ذلك (٦).

كذلك اشترك في قتال المرتدين في أيام أبي بكر، مع مجموعة من أولاده قتل بعضهم وأصيب زيد بسهم في كتفه، ولكن لم يضره.

علمه: كان - رضي الله عنه - متعدد جوانب المعرفة، ومما برع فيه من العلوم الكتابة والخط، ولغة

---

(١) الاستيعاب ٨٨/ ١ والإصابة برقم ٢٨٨٢.

(٢) طبقات ابن سعد ٤٨٦/ ٣ ط - بيروت.

(٣) الإصابة برقم ٢٨/ ١٢.

(٤) تهذيب التهذيب ٣٩٩/ ٣ والإصابة برقم ٢٨٨٢.

(٥) سير أعلام النبلاء ٤٢٧/ ٥.

(٦) تاريخ الطبري ٤١٤٧/ ٢ - ٥٠٥.

العرب وشعرها، واللغات الاجنبية كالسريانية والفارسية. كما اشتهر - رضي الله عنه - بإجادة علوم الفقه والقضاء والمواريث والحساب وعلم القيافة (١).

سيرته مع الرسول والخلفاء:

أولاً: مع الرسول - صلى الله عليه وسلم:

١ - اتخذه الرسول كاتباً له يكتب الوحي النازل من السماء ويكتب له كتبه إلى القوم وإلى ملوك الارض.

٢ - وخص الرسول -صلى الله عليه وسلم- زيداً بشيء من الرعاية والتوجيه، وعلمه بعض الادعية ليدعو بها ويتعاهد بها نفسه وأهله كل يوم

٣ - عهد إليه بإحصاء الناس يوم خيبر وحساب الغنائم لهم فأحصاهم ألفاً وأربعمائة وأحصى الخيل مائتي فرس وكان للسهمان على ثمانية عشر سهماً لكل مائة فرس، والخيل أربعمائة سهم(٢). كما أوكل إليه بالإحصاء في غير ذلك من المواقف.

ثانياً: زيد مع ابي بكر الصديق رضي الله عنهما:

١ - اتخذ أبو بكر الصديق زيد بن ثابت كاتباً ومشيراً فكان زيد مع أهل الشورى يستشار معهم ويخصه ابو بكر بالشورى فيما يرى فيه المصلحة في استشارته.

٢ - عهد إليه ابو بكر - رضي الله عنه- بجمع القرآن الكريم فقال زيد: فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن(٣) ثم أخذ يجمعه من الرقاع والاكتاف والسعف وصدور الرجال حتى تم جمع القرآن في الصحف وسلمه إلى ابي بكر رضي الله عنه.

ثالثاً: زيد مع عمر بن الخطاب رضي الله عنهما:

استأثر عمر زيد بن ثابت فجعله بجانبه ولم يأذن له في مغادرة المدينة المنورة والإقامة في غيرها نظراً لحاجته إليه وعدم استغنائه عنه.

وقد عمل زيد مستشاراً ضمن مجموعة أهل الشورى في مسائل فردية خصه عمر بن الخطاب بسؤال عنها وعمل له قاضياً وفرض له رزقاً(٤).

وعمل له ترجماناً وأميراً على المدينة المنورة في فترة غياب عمر عنها وأوكل إليه عمر قسمة الغنائم بعد واقعة اليرموك.

---

(١) القيافة: من يحسن معرفة الأثر وتسمى «مادة قوف المعجم الوجيز».

(٢) طبقات ابن سعد ٢/١٠١.

(٣) رواه البخاري في كتاب «فضائل القرآن» باب «جمع القرآن» حديث رقم ٤٦٠٣.

(٤) طبقات ابن سعد ٢/٣٥٩ والمغني ٩/٣٧.

التقـــــويم

أجب عن الأسئلة التالية:

س١: ما معنى الجمع في اللغة؟ وما المراد بالقرآن الكريم وما مراحله؟

س٢: دلل على:

أ - الدقة التي كان يلتزمها الصحابة - رضوان الله عليهم - في كتابة القرآن الكريم في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم -.

ب - حرص النبي - صلى الله عليه وسلم - على حفظ القرآن الكريم في صدره وتعاهده لأصدقائه.

جـ - دقة وتحري زيد بن ثابت في جمع القرآن الكريم.

س٣: اذكر أسماء أهم كُتاب الوحي. ثم بيّن كيف كان يكتب الوحي.

س٤: ما السبب الرئيس لجمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق؟ وعثمان بن عفان - رضي الله عنهما؟

س٥: أكمل الفراغ التالي:

أ - استغرقت عملية جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - ..... وقد تولى هذه العملية الصحابي الجليل .....

ب - ولما انتهى منه سلّمه إلى الخليفة أبي بكر، وبعد وفاته آل إلى .....

جـ - أما صاحب فكرة جمع القرآن فهو الصحابي الجليل .....

س٦: امتاز جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق بميزات عدة. اذكرها.

س٧: علل ما يلي:

- أمر الخليفة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - بحرق كل مصحف بعد أن أرسل نسخاً من مصحفه إلى الأمصار.

س٨: لجمع القرآن الكريم في عهد عثمان - رضي الله عنه - مميزات عدة اذكرها.

س٩: في نظرك ما الطريقة التي تتم بها المحافظة على القرآن الكريم في العصر الحاضر؟

س١٠: لم تنصح من يقرأ القرآن الكريم ولا يعمل به؟

القرآن الكريم المعجزة الخالدة

تمهيد

القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته واتقنت، وفصلت أحسن تفصيل قال الله تعالى:

﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾(١)

وهو كتاب لا يتطرق إلى ساحته نقص ولا إبطال وفي ذلك يقول سبحانه:

﴿ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾(٢)

وقد بلغ من روعة إعجازه أن تحدى فرسان ميدان البيان، وأبلغ من نطق بالفصحى، فانهزموا امام تحديه وأعلنوا عجزهم عن تقليده لانه يعلو ولا يعلى عليه، لكنهم رغم ذلك لم يؤمنوا بل كفروا به. شانهم في ذلك شان الاقوام السابقة التي كفرت برسلها وبالكتب التي نزلت عليهم. وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۝ لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ۝ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾(٣)

---

(١) سورة هود آية (١).

(٢) سورة فصلت آية (٤٢)

(٣) سورة فصلت الآيات من: (٤١ - ٤٤)

الجدل والتحدي

بلغ العرب في عهد القرآن الكريم كما يقول الرافعي(١) مبلغاً من الفصاحة لم يعرف في تاريخهم من قبل، مما جعل الكلمة نافذة في أثرها، لا يصدها اختلاف من اللسان، ولا يعترضها تناكر في اللغة، فقامت فيهم بذلك دولة الكلام ولكنها بقيت بلا ملك، حتى جاءهم القرآن. ورغم هذه الدولة اللغوية للعرب إلا أنهم عجزوا عن الإتيان بمثل القرآن الكريم أو بعضه.

مراحل تحدي القرآن للعرب

تحدى الله -عز وجل- العرب بالقرآن الكريم على مراحل مختلفة متدرجاً معهم من الأثقل إلى الأخف وتتمثل هذه المراحل فيما يلي:

١) المرحلة الأولى:

وفيها تحدى الله -عز وجل- العرب وغيرهم من الإنس والجن أن يأتوا بمثل القرآن الكريم كاملاً، وذلك في قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾(٢)

لكن العرب بل والإنس والجن جميعاً عجزوا عن الإتيان بمثل القرآن الكريم كاملاً.

٢) المرحلة الثانية:

لما عجز العرب وغيرهم وانقطعت بهم الأسباب عن الإتيان بمثل القرآن الكريم كاملاً تحداهم الله عز وجل بما هو أهون من ذلك حيث دعاهم أن يأتوا بعشر سور مثله، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾(٣)

إلا أن القوم أثبتوا عجزهم وفشلهم للمرة الثانية ولم يستطيعوا الإتيان بعشر سور مثله مفتريات.

---

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعي.

(٢) سورة الإسراء آية (٨٨)

(٣) سورة هود الآيتان (١٣ - ١٤)

٣) المرحلة الثالثة:

ولما عجز العرب وغيرهم من الإنس والجن عن الإتيان بمثل عشر سور من سور القرآن الكريم تدرج معهم في التحدي إلى ما هو أخف وأيسر وأسهل من ذلك، فاكتفى منهم بأن يأتوا بمثل سورة واحدة من سوره دون تحديد للسورة طالت أم قصرت، وذلك في قوله تعالى:

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾(١).

فوقف القوم مكتوفي الأيدي ولم يتقدم منهم أحد للتحدي.

٤) المرحلة الرابعة:

لما عجز القوم عن الإتيان بمثل القرآن أو بمثل عشر سور منه أو بمثل سورة واحدة كما سبق تحداهم الله عز وجل بأبعد ما يمكن أن يصل إليه التحدي وذلك بمطالبته لهم أن يأتوا بسورة تماثل سورة من سور القرآن الكريم مماثلة جزئية. ولو في بعض نواحيه(٢) فقال سبحانه وتعالى لهم:

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ۖ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾(٣).

القرآن الكريم كتاب هداية

أنزل الله - عزّ وجلّ - القرآن الكريم ليهدي به الناس كافة التي في الدنيا.

ففي عالم العبادة نجد الموازنة بين التكاليف والطاقة، فلا تشق التكاليف على النفس حتى تمل وتيأس من الوفاء، ولم يجعلها سهلة بسيطة حتى تشيع في النفس الرخاوة والاستهتار، بل جعلها في حدود الاعتدال والاحتمال.

قال تعالى:

﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ ﴾(٤).

---

(١) سورة يونس الآية (٣٨).

(٢) انظر «المدخل إلى التفسير الموضوعي» للدكتور عبد الستار فتح الله سعيد (ص ٨٠) بتصرف.

(٣) سورة البقرة الآيتان (٢٣ - ٢٤).

(٤) سورة الإسراء الآيات من (٩ - ١٢).

ولكي يكون القرآن الكريم هداية التي هي أقوم فقد جعل الله -سبحانه وتعالى- له سلطانه الروحي الخفي على القلوب، وولايته المطلقة على مدارك الإنس والجن على السواء حتى قالت الجن حين سمعته:

﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢ ﴾(١)

أما الإنس فكثير منهم عادى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بل وأقبل بعضهم يريد اغتياله -عليه الصلاة والسلام- وقتاله لكنهم حين يسمعون بعض آيات من القرآن الكريم يدخلون في دين الله سبحانه وتعالى، فتصبح عداوتهم موالاة، وكفرهم إيماناً.

بعض وقائع تدل على تأثير القرآن في قلوب أعدائه:

وإليك عزيزي المتعلم بعض الوقائع التي تثبت تأثير القرآن الكريم على قلوب أعدائه:

١) إن المشركين مع حربهم للرسول -صلى الله عليه وسلم-، ونفورهم مما جاء به كانوا يخرجون في جوف الليل خلسة للاستماع للقرآن الكريم في أثناء تلاوة الرسول والمسلمين له، وحينما يتقابلون يتواصون فيما بينهم على ألا يسمعوه ويتعاهدون على أن يلغوا فيه إذا سمعوه:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ۝٢٦ ﴾(٢)

٢) قصة إسلام جبير بن مطعم الذي دخل على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو يقرأ:

﴿ وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴾(٣)

حتى وصل قوله تعالى:

﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ۝٨ ﴾(٤)

فإذا بجبير ترتعد فرائصه، ويرتجف قلبه، ويقول: خشيت أن يدركني العذاب، فأسلم في الحال وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

٣) ما حدث من عتبة بن ربيعة حين أرسله المشركون ليثني الرسول -صلى الله عليه وسلم- عن دعوته فما كان منه إلا أن رجع إليهم يصف القرآن بقوله: «إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يعلى عليه». وغير ذلك كثير وكثير.

---

(١) سورة الجن الآيات (١ - ٢).

(٢) سورة فصلت آية (٢٦).

(٣) سورة الطور الآيتان (١ - ٢).

(٤) سورة الطور الآيتان (٧ - ٨).

أثر القرآن في إسعاد الإنسانية:

والقرآن الكريم قضى على دعاوى الجاهلية والتفرقة العنصرية ووضع أساس المساواة بين الناس كافة. فالناس ربهم واحد وكلهم لآدم. قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى)(١). فالتفاضل بين الناس في الإسلام لا يكون إذاً إلا بالتقوى. وصدق الله إذ يقول:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾(٢)

والقرآن الكريم هو الكتاب الذي صاحت به الدنيا، وحول مجرى التاريخ، وأقام أمة كانت مضرب الأمثال في الإيمان، والإخاء، والعدل، والوفاء، والوفاق، والوئام. وهو الكتاب الذي لا تفنى ذخائره، ولا يزداد على التكرار إلا حلاوة وطلاوة.

أمثلة للإعجاز في القرآن الكريم

من المناسب أن نذكر هنا نماذج لما ورد في القرآن الكريم من إعجاز حتى نكون على بينة من أمرنا.

الإعجاز التشريعي:

اشتمل القرآن الكريم على منهج كامل وشامل لكل جوانب الحياة، الفرد والمجتمع. فقد نظم علاقة الفرد بنفسه وبأسرته، وجيرانه وقبيلته. وأبناء مجتمعه المؤمنين والكافرين كما نظم الدولة الإسلامية تنظيماً دقيقاً في كل نواحيها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها ونظم علاقاتها بغيرها من الدول الأخرى في السلم والحرب بل ونظم علاقة الإنسان بالكون كله. وبذلك يكون المنهج الذي وضعه القرآن الكريم منهجاً كاملاً مشتملاً على كل شيء.

قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾(٣)

وقال تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾(٤)

وهذا المنهج يضمن لمن يسيرون عليه خيريتهم على كل من عداهم. قال تعالى:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾(٥)

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسند الأنصار ح ٢٣٤٩١.

(٢) سورة الحجرات آية (١٣).

(٣) سورة المائدة آية (٣).

(٤) سورة الأنعام الآية (٣٨).

(٥) سورة آل عمران آية (١١٠).

كما يضمن لهم حياة سعيدة في الدنيا وفوزاً عظيماً في الآخرة. قال تعالى:

﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ (١).

ومن أبرز ملامح المنهج القرآني الكريم التشريعات القرآنية، هذه التشريعات التي تعتبر بحق من أبرز وجوه إعجاز هذا الكتاب العزيز وأقواها فإن وراء ذلك التشريع أسراراً عظيمة جعلته يصل إلى حد الإعجاز.

ومن هذه الأسباب ما يلي:

١) إن تشريع القرآن الكريم جمع بين مصالح الدنيا والدين معاً، فلم يهتم بالدنيا ويترك الآخرة، ولم يهتم بالآخرة دون الدنيا. وإذا شرع لهما معاً. وإن شئت فقل إنه ربط بينهما، فجعل الدنيا وسيلة للوصول إلى أسمى درجات الآخرة.

٢) تشريع القرآن الكريم يعنى بالروح والجسد معاً فكما جعل للروح منهجاً، جعل الجسد منهجاً، حتى لا تتغلب المادة على الروح، ولا تتغلب الحياة الروحية على الناحية الجسدية كما يقول الرهبان.

٣) مراعاة التيسير ورفع الحرج عن المكلفين. قال تعالى:

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (٢).

وقال تعالى:

﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ (٣)

وقال عز من قائل:

﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ ﴾ (٤)

٤) التدرج في التشريع خاصة في الأمور التي تمكنت من قلوبهم، ورسخت في نفوسهم، مثل شرب الخمر، والربا. وقد كان هذا التدرج سبباً قوياً في إسلام كثير من الناس، وإقبال الجميع على شرع الله عز وجل.

- الإعجاز العلمي في القرآن:

تعرض القرآن الكريم في حوالي ثمانمائة آية من آياته، لموضوعات شتى من موضوعات العلوم الكونية، ابتداءً من خلق السماوات والأرض، ومروراً بخلق الإنسان، وما أنعم عليه من ماء وزرع وحيوان ونحو ذلك.

---

(١) سورة طه آية (١٢٣).

(٢) سورة البقرة آية (٢٨٦).

(٣) سورة البقرة آية (١٨٥).

(٤) سورة المائدة آية (٦).

وقد تحدث القرآن الكريم عن هذه العلوم الكونية بإشارات واضحة، بل وذكر عنها حقائق ناصعة يستحيل أن تصدر عن محمد بن عبدالله -صلى الله عليه وسلم-، ولا عن البشر جميعاً الذين كانوا في عصر يتسم بالركود العلمي.

ونحن في هذا المقام لا نستطيع سرد كل ما اكتشفه العلماء من حقائق علمية ثابتة ذكرت في القرآن الكريم قبل هذه الاكتشافات بقرون كثيرة وقبل أن يعرفها أحد من البشر، لكننا سنكتفي هنا بنموذجين فقط دالين على ذلك.

النموذج الأول: اختلاف البصمات

قال تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ۝ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾(١).

في هاتين الآيتين رد من الله -عز وجل- على من يظن أن الله -سبحانه وتعالى- غير قادر على بعث الإنسان بعد موته، حيث يقول لهذا المتشكك إن الله -تعالى- قادر على ذلك، بل وعلى أدق من إعادة العظام كما كانت فهو قادر على تسوية البنان، والمراد بالبنان رؤوس الأصابع.

وقد تساءل كثير من الناس لماذا خص الله الأصابع بالذات دون غيرها؟ فأجاب كثير من المفسرين على ذلك وقالوا: لأن رؤوس الأصابع في غاية الدقة فهي تحتوي على عظام دقيقة، وأعصاب حساسة وغير ذلك، لكن العلم الحديث يكشف لنا عن حقيقة هي غاية في الأهمية تشير إليها هذه الآية الا وهي أن رؤوس الأصابع تختلف من شخص لآخر بحيث لا يوجد اثنان في العالم تتطابق بصماتهما معاً تماماً التطابق، ولذلك بدأت دول العالم في أواخر القرن التاسع عشر تعتمد على البصمات التعرف على من يراد التعرف إليه.

النموذج الثاني: إحساس الجلد

قال الله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾(٢).

ففي هذه الآية الكريمة يبين الله -عز وجل- أن جلود الكافرين في نار جهنم كلما احترقت بداهم -عز وجل- بجلود أخرى، وعلل الله ذلك بقوله: ﴿ لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ ومعنى هذا أن الإحساس بالألم يكون عن طريق الجلد، وقد قرر العلم الحديث هذه الحقيقة العلمية بعد القرون المتطاولة منذ نزول القرآن العظيم، حيث أثبت أن أعصاب الإحساس موجودة تحت الجلد، وهي التي تنقل الشعور

---

(١) سورة القيامة الآيتان: (٣ - ٤).

(٢) سورة النساء: آية (٥٦).

إلى المخ. ثم يحس بها الإنسان في إمكان محمد -صلى الله عليه وسلم- وقومه بل والعالم كله في زمانه وبعد زمانه ان يأتوا بمثل هذه الحقيقة المعجزة.

وبعد.. فهذان مثالان من بين عشرات الامثلة التي تبين اشتمال الآيات القرآنية على حقائق علمية في منتهى الدقة. لم يعرف عنها العلماء شيئاً إلا في العصر الحديث مما يدل دلالة قاطعة على أن القرآن الكريم كلام الله سبحانه وتعالى. وأن على الجميع الإيمان بما صدر عن هذا القرآن العظيم. وفي هذا يقول سبحانه وتعالى:

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾(١).

ويقول ايضاً:

﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾(٢)

واخيراً يقول سبحانه:

﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ﴾(٣).

* * *

(١) سورة فصلت آية (٥٣).

(٢) سورة سبأ آية (٦).

(٣) سورة الإسراء آية (١٠٥).

أجب عن الأسئلة التالية:

س١: دلل على إعجاز القرآن الكريم بشهادة غير المسلمين.

س٢: اذكر معارضة العرب للقرآن الكريم.

س٣: تحدى الله -عز وجل- العرب بالقرآن الكريم على مراحل مختلفة. اذكرها.

س٤: دلل على أن القرآن الكريم كتاب هداية للخلق. مستدلا ببعض الشواهد التي تدل على تأثير القرآن الكريم في قلوب أعدائه.

س٥: أكمل الفراغ التالي:

تميز القرآن الكريم بميزات منها رفع الحرج عن المؤمنين في مثل:

١- .....

٢- .....

والتدرج في التشريع في مثل:

١- .....

٢- .....

س٦: تمثل الإعجاز التشريعي القرآني في أربعة مجالات. اذكرها.

س٧: اذكر بعض مظاهر الإعجاز العلمي للقرآن الكريم.

س٨: ما واجبك كمسلم تجاه كتاب الله عز وجل؟

المفهوم الرابع

السنة النبوية ومكانتها في التشريع

الدرس الخامس عشر: السنة النبوية الشريفة

الدرس السادس عشر: تدوين السنة النبوية

السنة النبوية الشريفة

تمهيد:

لما كانت السنة النبوية بياناً للقرآن الكريم، والمصدر الثاني للتشريع، اقتضى ذلك أن يكون الرسول - صلى الله عليه وسلم - هو القدوة الحسنة والأسوة المباركة، وأن تكون أقواله وأفعاله وأحواله بوصفه رسولاً داخلة في نطاق البيان والتشريع، فقد أمر الله رسوله محمداً - صلى الله عليه وسلم - أن يبلغ ما أنزل إليه. قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾ (١)

وقال تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ۟ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (٢)

ثم أمر الله - عز وجل - المسلمين أن يطيعوا رسوله - صلى الله عليه وسلم - ويجعلوا هذه الطاعة مقترنة بطاعتهم له سبحانه وتعالى. قال عز وجل:

﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ (٣).

ولاخفاء بعد هذا في أن كتاب الله تعالى، هو أصل دينه، وأن سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - هي الموضحة لأحكامه والمفصلة لمجمله والهادية إلى طريق تطبيقه، ومن عمل بالقرآن الكريم على غير المنهج الذي انتهجه الرسول - صلى الله عليه وسلم - لا يكون عاملاً بالقرآن (٤).

---

(١) سورة المائدة آية (٦٧).

(٢) سورة الأعراف الآيتان (١٥٧ - ١٥٨).

(٣) سورة النساء آية (٨٠).

(٤) انظر «لمحات في أصول الحديث» د. محمد أديب الصالح، و«السنة قبل التدوين» / د. محمد عجاج الخطيب، و«الفتوى عليها» سالم البهنساوي ص ٢١ - ٢٦، و«حجية السنة» عبد الغني عبد الخالق (ص ٦٨).

مفهوم السنة:

السنة لغة: هي الطريق والأسوة حسنة كانت أو سيئة.

والسنة اصطلاحا: هي كل ما ثبت وأضيف إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - من قول أو فعل أو تقرير أو صفة.

شرح التعريف الاصطلاحي: اشتمل التعريف على أن كل ما ثبت عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - من حيث صحة الإسناد إليه وثبوته عنه - عليه الصلاة والسلام - يسمى سُنَّة. فيخرج عن التعريف ما لم يثبت عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - فلا يصح نسبته إليه ولا يسمى سنة.

أما السنة القولية: فهي أن يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - قولاً فيقول الصحابي سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول كذا، وحدثنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم. مثال ذلك حديث «من قرأ قل هو الله أحد حتى يختمها عشر مرات بنى الله له قصراً في الجنة» (١).

وأما السنة الفعلية: فهي أن يقول الصحابي رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فعل كذا، أو كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يفعل كذا. ومثال ذلك ما جاء عن جابر - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يصلي على راحلته حيث توجهت. فإذا أراد الفريضة نزل فاستقبل القبلة» (٢). ومثاله كذلك ما جاء عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - «كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يذبح ويَنْحر بالمصلى» (٣).

وأما السنة التقريرية: فهي كل ما أقره الرسول - صلى الله عليه وسلم - مما صدر عن بعض أصحابه من أقوال وأفعال بسكوت منه وعدم إنكار، أو بموافقته وإظهار استحسانه وتأييده فيعتبر ما صدر عنهم بهذا الإقرار والموافقة عليه صادراً عن الرسول - صلى الله عليه وسلم.

ومثاله: إقراره - صلى الله عليه وسلم - أكل لحم الضب على مائدته - صلى الله عليه وسلم.

كيفية وحي الملك إلى الرسول بالسنة:

يوحي الملك إلى الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالسنة النبوية الشريفة بالطرق الآتية:

١ - النفث في الروع: أي إلقاء المعنى في قلب النبي - صلى الله عليه وسلم - فقد قال - صلى الله عليه وسلم: «إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، خذوا ما حل ودعوا ما حرم» (٤).

---

(١) رواه الإمام أحمد عن معاذ بن أنس رضي الله عنه في مسند المكيين حديث ١٥٠٥٧

(٢) رواه البخاري في كتاب الصلاة حديث رقم ٣٥٨.

(٣) رواه البخاري في كتاب «الأضاحي» حديث رقم ٥٥٥٢.

(٤) ذكره ابن عبد البر في «التمهيد» (١/٢٨٤) ورواه ابن ماجه في كتاب التجارات حديث رقم ٢١٣٥

٢ – نزول جبريل – عليه السلام – في صورة بشر يسأل النبي – صلى الله عليه وسلم – عن بعض الأمور ليعلم الناس أمور دينهم. فقد ورد في الصحيح أن جبريل – عليه السلام – جاء إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو في وسط أصحابه فسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة. وفي نهاية الحديث قال النبي – صلى الله عليه وسلم: «هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم» (١).

٣ – نزول جبريل في صورته الملائكية كما في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء، جالساً على كرسي بين السماء والأرض» (٢).

٤ – نزول الوحي في صورة غير مرئية، مع اصطحابه علامات تدل على وجوده مثل صلصلة الجرس أو تفصد عرق الجبين (٣) وثقل جسمه – عليه الصلاة والسلام – أو الرؤيا الصالحة له – صلى الله عليه وسلم.

فهذه صور الوحي التي يأتي بها جبريل – عليه السلام – إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – ليلقي إليه وحي السنة النبوية.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان حديث رقم ٤٨.

(٢) رواه البخاري في كتاب بدء الوحي حديث رقم ٣.

(٣) الصلصلة: صوت وقوع الحديد بعضه على بعض، وهو صوت الملك بالوحي – تفصد العرق: نزول العرق وتدفقه من جبين رسول الله.

الفروق بين القرآن والحديث القدسي والحديث النبوي

هناك فروق عدة بين القرآن الكريم، والحديث القدسي، والحديث النبوي الشريف.

إليك أيها المتعلم الجدول التالي الذي يبين لك أوجه المقارنة بينها:

	القرآن الكريم	الحديث القدسي	الحديث النبوي
التعريف	هو كلام الله - عزّ وجلّ - المنزل على محمد - صلى الله عليه وسلم - المتعبد بتلاوته، والمنقول إلينا بالتواتر، المتحدى بأقصر سورة منه.	هو ما يضيفه النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى الله تعالى، أي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - يرويه على أنه كلام الله، فالرسول راوٍ لكلام الله تلقاه من عنده وإنما رواه أحد رواه عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - مضافاً إلى الله تعالى.	هو كل ما أثر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - من قول أو عمل أو تقرير أو صفة.
الفروق	(١) القرآن معناه ولفظه من عند الله عز وجل. (٢) القرآن جميعه منقول إلينا بالتواتر فهو قطعي الثبوت. ومعنى التواتر: ما نقله جماعة يستحيل عقلاً تواطؤهم على الكذب إلى جماعة مثلهم إلى أن وصل إلينا.	(١) الحديث القدسي: معناه من الله - عزّ وجلّ - ولفظه من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على الرأي الصحيح، ولذا تجوز روايته بالمعنى. (٢) الحديث القدسي قد يكون متواتراً، وقد يكون آحاداً وينسب إلى الله - عزّ وجلّ.	(١) الحديث النبوي قسمان: - توقيفي: معناه من الله ولفظه من الرسول - صلى الله عليه وسلم. - توقيفي: لفظه ومعناه من الرسول - صلى الله عليه وسلم. (٢) تجوز رواية الحديث النبوي بالمعنى.

	(٣) القرآن يتعبد بتلاوته ويصلى به وقراءته عبادة يثيب الله عليها. (٤) يستحب الطهارة عند قراءته كما قال أهل العلم، ولا يجوز للجنب قراءته. (٥) لا يجوز رواية القرآن بالمعنى. (٦) تحدى الله - عزّ وجلّ - به العرب فعجزوا عن الإتيان بمثله أو بعشر سور من مثله، أو بسورة من مثله، ولا زال التحدي به قائماً فهو معجزة خالدة إلى يوم الدين.	(٣) الحديث القدسي: غير متعبد بتلاوته ولا يصلى به، لكن الله يثيب على قراءته ثواباً عاماً لا يصل إلى ثواب قراءة القرآن.	(٣) الحديث النبوي غير متعبد بتلاوته ولا يصلى به، ويثاب عليه ثواباً عاماً مثل القدسي.
المثال	قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ سورة الحشر، آية (١٨).	عن أبي ذر الغفاري - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه عن الله - تبارك وتعالى - أنه قال: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا...» الحديث رواه مسلم.	عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجته...» رواه مسلم.

(١) انظر كل ما سبق: الحديث والمحدثون/ محمد أبو زهو ص ١٦ - ١٧.

(٢) المدخل إلى توثيق السنة/ د. رفعت فوزي ص ٥-٦.

(٣) مفتاح السنة/ د. عبد الله شحاته ص ٤١-٤٣.

(٤) لمحات في أصول الحديث/ د. محمد أديب الصالح ص ٤٦-٥٠.

منزلة السنة النبوية من القرآن الكريم:

الرسول - صلى الله عليه وسلم - بيّن في حديث شريف أنه أوتي السنة المطهرة من عند الله - عز وجل - فقال: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه» (١).

وإذا كان القرآن الحكيم هو المصدر الأول للتشريع الإسلامي فإن السنة المطهرة هي المصدر الثاني لذلك التشريع العظيم، وإذا كان الله - عز وجل - قد أمر باتباع كتابه الحكيم والاعتصام به فقد أمر في آيات قرآنية عديدة باتباع سنة نبيه الكريم - صلى الله عليه وسلم - من ذلك قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ (٢)

وقوله سبحانه:

﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ (٣)

وجعل اتباعه وطاعته والالتزام بما جاء به سبب فلاحنا وتوفيقنا فقال سبحانه:

﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (٤)

موقف السنة النبوية من القرآن الكريم:

يتمثل موقف السنة من القرآن الكريم فيما يلي:

أولاً: أنها تفصل مجمله، فذاك أحكام مجملة من القرآن الكريم فصلها الرسول - صلى الله عليه وسلم - وكان تنفيذ المسلمين لهذه الأحكام المجملة متوقفاً على هذا التفصيل من الرسول - صلى الله عليه وسلم.

من هذه الأحكام أن الله -تعالى- فرض على المؤمنين الصلاة في آيات عدة من القرآن الكريم، من غير أن يبين مواقيتها وأركانها وعدد ركعاتها.

فجاءت السنة القولية أو الفعلية وبيّنت ذلك، حيث صلى أمامهم - صلى الله عليه وسلم - خمس

---

(١) حديث صحيح رواه أبو داود في كتاب السنة باب في لزوم السنة ح ٤٨٨٢

(٢) سورة النساء: آية (٥٩).

(٣) سورة النساء: آية (٨٠).

(٤) سورة الأعراف: آية (١٥٧).

صلوات في اليوم والليلة، وكل واحدة منها في وقت محدد، وبهيئات معينة. وقال لهم - صلى الله عليه وسلم -: «... وصلوا كما رأيتموني أصلي» (١) والحال كذلك في تفصيل أحكام الزكاة والحج.

ثانياً: أنها توضح مُبهمه: ففي آيات الله الكريمات ألفاظ مبهمة تحتاج إلى توضيح حتى يفهمها المؤمنون فهماً صحيحاً. ولذا فقد قام الرسول - صلى الله عليه وسلم - في سنته الشريفة بهذا التوضيح. والأمثلة على ذلك كثيرة منها قوله تعالى:

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (٢)

فعندما نزلت هذه الآية لم يستطع الصحابة - رضوان الله عليهم - أن يفهموا المعنى الصحيح لكلمة «ظلم» وفهموها فهماً غير ما أراده الله - تعالى - منها. فقد ظنوا أن المراد بها التقصير في أي حق من الحقوق.. ولذلك أصاب كثيراً منهم اليأس، وقالوا: أيُّنا لم يظلم نفسه؟ فبين لهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن المراد بالظلم هنا الشرك، واستدل بقوله تعالى:

﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (٣).

وبهذا الإيضاح فهم الصحابة المراد الصحيح لكتاب الله العزيز.

ثالثاً: أنها تخصص عامه: فقد جاء في القرآن الكريم آيات عامة فخصصتها السنة النبوية الشريفة. كما في الإرث فقد ورد في القرآن الكريم:

﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ﴾ (٤).

فهذا حكم عام في كل موروث وكل وارث ولكن السنة خصصت الوارث بغير القاتل بقوله - صلى الله عليه وسلم -: «ولا يرث القاتل شيئاً» (٥).

رابعاً: أنها تقيد مطلقه: فقد تأتي السنة مقيدة لمطلقه كما في قوله تعالى:

﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ (٦)

فإن قطع اليد لم يقيد في الآية بموضع خاص، فتطلق اليد على الكف وعلى الساعد وعلى الذراع.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأذان حديث رقم ٥٩٠.

(٢) سورة الأنعام: آية (٨٢).

(٣) سورة لقمان آية (١٣).

(٤) سورة النساء آية (١١).

(٥) رواه أبو داود في كتاب الديات حديث رقم ٤٥٦٤.

(٦) سورة المائدة آية (٣٨).

ولكن السنة قيدت القطع بأن يكون من الرسغ. وقد فعل ذلك الرسول - صلى الله عليه وسلم. وروى الترمذي «أتي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بسارق فقطعت يده ثم أمر بها فعلقت في عنقه» (١).

خامساً: أنها تؤكد أحكاماً وردت في القرآن: وتأتي سنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - مثبتة ومؤكدة لما جاء في القرآن الكريم من أحكام، أو متفرعة عن أصل تقرر فيه مثل وجوب الصلاة والزكاة والصوم والحج فقد أمر بها القرآن وأكدتها السنة الشريفة في كثير من الأحاديث، منها: قول الرسول - صلى الله عليه وسلم: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان» (٢)، ومثل فعل الخيرات والنهي عن الشرك والكبائر.

سادساً: أنها تأتي بأحكام جديدة لم ترد في القرآن الكريم. ففي السنة أحكام لم ينص عليها القرآن الكريم صراحة لكنه نص عليها عموماً في قوله تعالى ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ (٣).

كتحريم لحوم الحمر الأهلية وكل ذي ناب من السباع، وتحريم نكاح المرأة على عمتها أو خالتها. فقد قال - صلى الله عليه وسلم: «لا يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها» (٤)، والرسول - صلى الله عليه وسلم - لا يأتي في ذلك بما يخالف القرآن الكريم، لأنه - صلوات الله عليه وسلامه - أعرف الخلق بما يبلغ عن ربه، وأخبرهم بمقاصد الشريعة لعناية الله به، وعصمته له من الزيغ، وتوفيقه إياه إلى الحق والصواب (٥).

* * *

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الحدود حديث رقم ١٣٦٧ العالمية.

(٢) رواه البخاري في كتاب الإيمان باب (بني الإسلام على خمس) حديث ٧.

(٣) سورة الحشر آية (٧).

(٤) رواه البخاري في كتاب النكاح باب (لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها) حديث رقم ٥١٧٤

(٥) السنة قبل التدوين د. محمد عجاج الخطيب

أجب عن الأسئلة التالية :

س ١ : ما معنى قوله - صلى الله عليه وسلم - : « ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه » ؟

س ٢ : أكمل الفراغات التالية :

١ - جعل الله - عزّ وجلّ - السنة المطهرة هي المصدر ..... للتشريع الإسلامي العظيم.

٢ - جاءت السنة تفصل ما أجمله القرآن الكريم ومعنى ذلك .....

٣ - من الأمور التي تُفرّق القرآن الكريم عن الحديث القدسي والحديث الشريف الآتي :

١ - .....

٢ - .....

٣ - .....

٤ - .....

س ٣ : صل العبارات في المجموعة (أ) بما يناسبها من المجموعة (ب) فيما يأتي :

(أ)	(ب)
- السنة تُفصّل مجمل القرآن ومثاله :	بيان النبي - صلى الله عليه وسلم - لصحابته معنى الظلم وهو الشرك.
- السنة توضح مبهم القرآن ومثاله :	فرضت الصلاة في القرآن الكريم، فجاءت السنة وبينت مواقيتها وأركانها وعدد ركعاتها.
- السنة تُخصص عموم القرآن ومثاله :	حكم الميراث للذكر مثل حظ الأنثيين، خصصته السنة بأن لا يرث القاتل، وأن الأنبياء لا يورثون.
- السنة تُقيد مطلق القرآن ومثاله :	وجوب الصلاة والزكاة والصوم والحج وفعل الخير، كتحريم الخمر الأهلية وكل ذي ناب من السباع، تقييد موضع قطع يد السارق من الرسغ.
- السنة مؤكدة لما جاء في القرآن ومثاله :	
- السنة تأتي بأحكام جديدة لم ترد في القرآن ومثاله :	

س ٥ : يروج المضللون والمشككون إمكان الاستغناء بالقرآن عن السنة. فبم ترد عليهم؟

س ٦ : وضح صور الوحي التي كان يأتي بها جبريل - عليه السلام - على النبي - صلى الله عليه وسلم.

س ٧ : فرق بين السنة القولية والسنة الفعلية والسنة التقريرية مع ذكر مثال لكل منها.

تدوين السُّنة النبوية

التمهيد:

حفظ الله للسنة

إذا كان الله – عز وجل – تكفل بحفظ كتابه العزيز حيث قال:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (١)

فقد هيأ سبحانه وتعالى كذلك لسنة نبيه – صلى الله عليه وسلم – رجالاً مخلصين أمناء حملوا لواء الدفاع عن السنة في كل جيل من الأجيال ووقفوا بالمرصاد ضد من حاول ويحاول الدس والتزييف والتضليل فكانوا بحق عدول هذه الأمة الذين ردوا عنها تأويل الجاهلين وتحريف الغالين وانتحال المبطلين.

عناية الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالسنة

كما اهتم الرسول – صلى الله عليه وسلم – بالقرآن الكريم اهتماماً كبيراً فقد اهتم بالسنة النبوية الشريفة وحذر من الكذب عليه متعمداً فقد روى أنس بن مالك – رضي الله عنه – أنه قال: إنه يمنعني أن أحدثكم حديثاً كثيراً أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: **«من تعمد عليّ كذباً فليتبوأ مقعده من النار»** (٢).

عناية الصحابة بالسنة النبوية

اهتم الصحابة الكرام بالقرآن الكريم والسنة الشريفة، واعتنوا بهما عناية فائقة دفعتهم هذه العناية إلى أن عقدوا على ما جاء به الرسول – صلى الله عليه وسلم – خناصرهم وأحبوا رسول الله حباً يعلو على حب الآباء والأبناء، وانكبوا على ما حواهم من القرآن يحفظونه بشغف وفهم وعلى ما أخبرهم به الرسول – صلى الله عليه وسلم – في سنته الشريفة وما فيه من بيان بالكتاب أو تشريع للأحكام فجمعوه في صدورهم وطبقوه على جميع أحوالهم.

---

(١) سورة الحجر آية (٩).

(٢) رواه البخاري في كتاب العلم باب (إثم من كذب على النبي) حديث رقم ١٠٩

كيف كان الصحابة يتلقون السنة النبوية عن النبي - صلى الله عليه وسلم؟

كان الصحابة الكرام – رضوان الله عليهم – يتلقون سنة الرسول – صلى الله عليه وسلم – بالطرق الآتية :-

أ – عن طريق المشاهدة من فم الرسول – صلى الله عليه وسلم – مباشرة.

ب – عن طريق المشاهدة لأفعاله، وتقريراته – صلى الله عليه وسلم

ج – عن طريق السماع ممن سمع منه – صلى الله عليه وسلم – أو شاهد أفعاله وتقريراته :لأنهم لم يكونوا جميعا يحضرون مجالسه – صلى الله عليه وسلم – بل كان منهم من يتخلف لبعض حاجاته أو أشغاله.

وهذا يختلف الصحابة في رواية الحديث، فمنهم المقلُّ ومنهم المكثر، كل بحسب حاله وحضوره مجالس الرسول – صلى الله عليه وسلم – وقوة حفظه وفقهه الحديث.

رواية الرجال والنساء الحديث

ولم تقتصر رواية الحديث على الرجال من الصحابة، بل كانت النساء ممن يحضرن المسجد ويستمعن احديث الرسول – صلى الله عليه وسلم – في المناسبات كالأعياد، بل إن نساء الأنصار طلبن منه – صلى الله عليه وسلم – أن يخصص لهن يوماً يتعلمن دينهن من الرسول – صلى الله عليه وسلم – وهذا يدل على حرصهن على التفقه في دينهن

نماذج من المكثرين من الصحابة - رضي الله عنهم (١)

تميزت مجموعة من صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالإكثار من رواية حديثه – عليه الصلاة والسلام – من أشهرهم أبو هريرة ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وأنس بن مالك، وعائشة بنت أبي بكر الصديق، وعبد الله بن عباس، وجابر بن عبد الله، وأبو سعيد الخدري – رضي الله عنهم جميعاً – وإليك بعضهم، ونكتفي بذكر اثنين منهم:

أولاً: أبو هريرة (رضي الله عنه)

اسمه: هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي اليماني، كان اسمه في الجاهلية عبد شمس، فسماه الرسول – صلى الله عليه وسلم – عبد الرحمن

---

(١) كتاب الحديث والمحدثون/ محمد أبو زهرة ص ٤٦ - ٥٦.

كنيته:

«أبو هريرة» واشتهر - رضوان الله عليه - بهذه الكنية، حتى غلبت على اسمه فكاد ينسى.

سبب كنيته بذلك:

سئل أبو هريرة: لم كنيت بذلك؟ قال: كنيت أبا هريرة لأني وجدت هرة فحملتها في كمي فقيل لي: أبو هريرة.

عمله:

وكان - رضي الله عنه - يرعى غنم أهله في صغره، ويداعب هرته.

وكان يقول: لا تكنوني «أبا هريرة»، فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - كناني «أبا هر». والذكر خير من الأنثى.

ملازمته للرسول:

لازم أبو هريرة النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى آخر حياته، وقصر نفسه في خدمة الرسول - صلى الله عليه وسلم - فكان يدور معه، ويدخل بيته، ويصاحبه في حجه وغزوه، ويرافقه في حله وترحاله، في ليله ونهاره، حتى حمل عنه العلم الغزير الطيب. وقد اتخذ الصُّفَّة مقاماً له، وخدم الرسول - صلى الله عليه وسلم - على ملء بطنه، وجعله الرسول - صلى الله عليه وسلم - عريف أهل الصُّفَّة.

عبادته:

كان عابداً، يصوم النهار، ويقوم الليل، يتناوب قيامه هو وزوجته وابنته، وكان كثير الصلاة خشوعاً راضياً بذهم الله تعالى، كما كان كثير الشكر لله - عز وجل - وكثير الحمد والتكبير والتسبيح على ما أتاه الله من فضل وخير.

اهتمامه بالعلم:

كان - رضي الله عنه - مهتماً بالعلم والإكثار من تساؤلات الرسول - صلى الله عليه وسلم - لا يتأخر في إجابته عما يسأله إلا عرف من حرصه على طلب العلم، ومن أسئلته - رضوان الله عنه - لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال له يوماً: يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: «لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه» (١).

---

(١) رواه البخاري في كتاب العلم باب «الحرص على الحديث» حديث رقم ٩٧ - العائلة.

وفي يوم كان ابو هريرة جالساً مع اصحابه في المسجد فخرج الرسول – صلى الله عليه وسلم – فسكتوا فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم: عودوا إلى الذي كنتم فيه».

قال زيد: فدعوت انا وصاحبي قبل ابي هريرة، وجعل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يؤمن (يقول امين) على دعائنا، ثم دعا ابو هريرة فقال: اللهم إني اسالك ما سالك صاحباي، واسالك علماً لا ينسى، فقال – صلى الله عليه وسلم – آمين، فقلنا: يا رسول، ونحن نسال الله علماً لا ينسى، فقال: سبقكما بها الدوسي (يعني ابا هريرة) (١)، وقد شهد اصحاب الرسول – صلى الله عليه وسلم – لابي هريرة بسعة العلم وقوة الحافظة وحرصه على سؤال الصحابة الذين سبقوه إلى الإسلام، فكان ابو هريرة حافظ متقناً ضابطاً دقيقاً في اخباره، فقد اجتمعت فيه صفتان عظيمتان.

الاولى: سعة العلم، وكثرة مروياته.

الثانية: قوة ذاكرته وحسن ضبطه.

عدد مروياته:

روى الصحابي الجليل ابو هريرة – رضي الله عنه – عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – ثراية (٥٣٧٤) (خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعين حديثاً).

أقوال العلماء فيه: قال عنه ابو صالح السمان: «كان ابو هريرة من احفظ اصحاب محمد – صلى الله عليه وسلم».

وقال الإمام الشافعي: «ابو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره» (٢).

وفاته:

توفي أبو هريرة – رضي الله عنه – سنة ٥٩هـ تسع وخمسين من الهجرة ودفن بالمدينة المنورة، فرضي الله عنه ورحمه رحمة واسعة.

ثانياً: من اشتهر من النساء

عائشة بنت أبي بكر الصديق، أم المؤمنين، رضي الله عنهما:

اسمها: هي عائشة بنت ابي بكر الصديق، إحدى أمهات المؤمنين.

زواج الرسول – صلى الله عليه وسلم – بها: بنى بها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في شوال بعد غزوة بدر، وكانت أحب نسائه إليه، وهي الطاهرة التي برأها القرآن الكريم مما رماها به أهل الإفك.

علمها: كانت ذكية فطنة طلابة العلم، يشرّ لها زواجها من رسول الله – صلى الله عليه وسلم –

---

(١) رواه البخاري في كتاب العلم – باب (من سمع شيئاً فراجع من يعرفه) حديث رقم (١٠٣)

(٢) سير أعلام النبلاء ص ٤٣٦

واختلاطها به معرفة كثير من أحكام الإسلام. لها الفضل الكبير في نقل كثير مما يتعلق بأمر النساء، لذلك كانت أكثر نساء رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رواية عنه، وتعد من افقه الصحابة.

اقوال العلماء عنها:

شهد بعلمها وفقهها الصحابة والتابعون، كما كان لها علم بالطب.

قال عنها عروة بن الزبير:

ما رأيت أحداً من الناس أعلم بالقرآن ولا بفرضه ولا بحلال وحرام ولا بشعر ولا بحديث العرب والنسب والطب من عائشة – رضي الله عنها – أم المؤمنين.

وقال قبيصة بن ذؤيب:

كانت عائشة أعلم الناس، يسألها أكابر الصحابة.

وعن ابي موسى قال:

ما اشكل علينا اصحاب محمد – صلى الله عليه وسلم – حديثٌ قط فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علماً.

كانت كريمة وقورة، يحترمها كل من يلقاها. روت عائشة – رضي الله عنها – عن الرسول الكريم الكثير الطيب. وروت عن ابيها ابي بكر، وعمر وفاطمة، وسعد بن ابي وقاص، واسيد بن حضير، وجذامة بنت وهب، وحمزة بن عمرو – رضي الله عنهم اجمعين – وروى عنها من الصحابة والتابعين خلق كثير.

عدد مروياتها:

رُوي لها (٢٢١٠) احاديث.

وفاتها:

توفيت – رضي الله عنها – سنة ثمان وخمسين، ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان عند اكثرهم (١).

كتابة الحديث الشريف في العهد النبوي:

ثبت أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – نهى عن كتابة شيء غير القرآن الكريم في أول الأمر، فقد روى الصحابي الجليل أبو سعيد الخدري – رضي الله عنه – أن رسول الله قال: «لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه» (٢).

---

(١) انظر ترجمتها في طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٣٩ وتذكرة الحفاظ ص ١ ص ٢٦ والإصابة في تمييز الصحابة ص ١٣٩ تهذيب ج ١٢ ص ٤٣٣.

(٢) رواه مسلم في كتاب الزهد باب في الحديث وحكم كتابة العلم حديث ٥٣٢٦.

والأسباب التي دعت الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى النهي عن كتابة شيء غير القرآن في بداية الدعوة هي الخشية من اختلاط الحديث بالقرآن الكريم. لكن لما رسخت معرفة الصحابة – رضي الله عنهم – بالقرآن الكريم فلم يُخش منهم خلطه بغيره، أباح الرسول – صلى الله عليه وسلم – لهم كتابة السنة النبوية الشريفة.

التدوين الرسمي للسنة النبوية:

منّ الله – عزّ وجلّ – على الأمة الإسلامية بانتشار الفتوحات واتساع دولة الإسلام، ودخول غير العرب في الإسلام وتقلد زمام الأمور الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز في القرن الثاني الهجري فبدأ في العمل على تدوين السنة النبوية حرصاً منه على المحافظة عليها من الضياع فأرسل كتاباً إلى أبي بكر بن حزم والي المدينة في ذلك الزمان يأمره بكتابة حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهذا نص الكتاب: «انظر ما كان من حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أو سُنّة ماضية أو حديث عمرة بنت عبد الرحمن فاكتبه فإني خفت دروس العلم، وذهاب أهله».

وأراد منه أن يكتب ما عند عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية، والقاسم بن محمد بن أبي بكر.

كما كتب عمر بن عبد العزيز أيضاً إلى عماله في المدن الإسلامية الأخرى يجمع الحديث قائلاً لهم: «انظروا إلى حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فاجمعوه» (١).

كذلك كتب إلى التابعي محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري المدني، عالم أهل الحجاز والشام، وأحد الأئمة الأعلام الموثقين، كان هو أول من دون بأمر عمر بن عبد العزيز – رضي الله عنه – ثم شاع التدوين بعد الزهري فدوّن ابن جريج بمكة، ثم ابن إسحاق والإمام مالك بالمدينة.

واستمر نشاط العلماء في تدوين السنة في القرنين الثاني والثالث وكان القرن الثالث من أسعد عصور السنة وأزهاها، ففيه دونت الكتب الستة التي اعتمدتها الأمة وهي:

الجامع الصحيح أو صحيح البخاري: مؤلفه الإمام البخاري هو الإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي البخاري، ويعتبر صحيح البخاري أول كتاب صنف في الحديث الصحيح، بذل فيه صاحبه جهداً كبيراً ووقتاً طويلاً فقد صنفه في ستة عشر عاماً، وكان لا يضع فيه حديثاً إلا بعد أن يصلي ركعتين، وجمع فيه البخاري – رضي الله عنه – (٧٢٧٥) حديثاً بما فيه المكرر وبحذف الأحاديث المكررة يصبح عدد الأحاديث فيه (٤٠٠٠) أربعة آلاف حديث.

---

(١) فتح الباري لابن حجر ١/٢٠٤.

شروط البخاري في أخذه الحديث من الرواة:

اشترط البخاري أن لا يخرج في الكتاب إلا ما صح، وقد تلقت الأمة كتابه بالقبول، فكل ما في البخاري صحيح إن شاء الله، وقد اشترط البخاري شرطين في كل راوٍ من رواة الحديث:

الأول: شرط المعاصرة.

الثاني: شرط اللقاء.

فهو لا يرضى خبراً إلا إذا صرح الراوي بسماعه ممن فوقه أو ثبت لقاؤه لمن يروي عنه، بخلاف الإمام مسلم الذي اكتفى بالمعاصرة فقط، وهذا لا يوهن شرط مسلم.

صحيح مسلم: مؤلفه هو أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري.

صنف الإمام مسلم كتابه من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة واستغرق في تهذيبه وتنقيحه خمس عشرة سنة، وقد وضع ما أجمع العلماء على صحته، وعدد أحاديث صحيح مسلم نحو (١٢٠٠٠) اثني عشر ألفاً مكررة، وبحذف المكرر يصبح عدد الأحاديث فيه (٤٠٠٠) حديث أربعة آلاف.

السنن الأربعة:

وتتمثل هذه السنن في سنن أبي داود، والترمذي والنسائي، وابن ماجة.

وقد اشتملت هذه السنن على الأحاديث الصحيحة والحسنة وبعض الأحاديث الضعيفة التي بيّن أصحابها ضعفها، وبذلك فإن كتب السنن تختلف عن الصحيحين اللذين اقتصر صاحباهما فيهما على الأحاديث الصحيحة فقط.

ومما تجدر الإشارة إليه أن كتب الصحيحين والسنن لم يفتها من الأحاديث الصحيحة إلا اليسير.

وإليك - أيها القارئ - نبذة مختصرة عن هذه السنن وأصحابها:

سنن أبي داود: مؤلفه هو الإمام سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني.

صنف أبو داود - رحمه الله - سننه على أبواب الفقه، واقتصر فيها على السنن والأحكام فلم يذكر في كتابه القصص والمواعظ والأخبار، والزهد وفضائل الأعمال.

وكان أبو داود قد كتب خمسمائة ألف حديث انتخب منها أربعة آلاف وثمانمائة حديث ضمنها كتابه وعدد الأحاديث التي تضمنتها سننه بالمكرر (٥٢٧٤) حديثاً، وقد أثنى العلماء على سننه، فجعلوها في المكان الأول بعد الصحيحين.

الجامع أو سنن الترمذي: مؤلفه هو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي.

وهو أحسن الكتب التي ألفها الترمذي - رحمه الله - أخرج فيه الصحيح والحسن والضعيف والغريب من الأحاديث، وقد جمع الترمذي الفقه إلى جانب علمه بالحديث ورجاله وعلومه، وقد تميز بالمصطلحات الحديثية ورسو قواعد علم الحديث.

أقسام الحديث من حيث القبول والرد:

اجتهد علماء الحديث في بيان مرتبة الحديث من حيث الصحة والضعف فقسموه إلى قسمين:

- القسم الأول: الحديث المقبول.

- القسم الثاني: الحديث المردود.

ثم قسموا الحديث الشريف المقبول إلى قسمين رئيسين هما:

أ - الحديث الصحيح:

تعريف الحديث الصحيح:

هو ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن مثله إلى منتهاه من غير شذوذ ولا علة. والسند: هو سلسلة الرواة الذين نقلوا الحديث واحداً عن الآخر حتى يبلغوا به إلى قائله.

مثال الحديث الصحيح:

أخرج البخاري في صحيحه قال: حدثنا عبد الله بن يوسف قال: أخبرنا مالك بن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم: «قرأ في المغرب بالطور» (١).

فهذا الحديث الشريف توافرت فيه شروط الحديث الصحيح، من حيث اتصال السند فكل راو سمع من شيخه إلى نهاية السند، وكذلك رواة الحديث كلهم عدول ضابطون وهذا ما ذكره علماء الجرح والتعديل وأن الرواة ثقات. وكذلك هذا الحديث لم يعارضه حديث آخر، وليس فيه علة من العلل.

ب- الحديث الحسن:

تعريف الحديث الحسن: هو ما اتصل سنده بنقل العدل الذي خف ضبطه عن مثله إلى منتهاه من غير شذوذ ولا علة.

فيلاحظ أن تعريف الحديث الحسن هو تعريف الحديث الصحيح نفسه إلا في نقطة واحدة وهي خفة الضبط لراوٍ من الرواة بخلاف الحديث الصحيح.

مثال الحديث الحسن:

أخرج الترمذي قال: حدثنا قتيبة حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي عن أبي عمران الجوني عن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري قال: سمعت أبي بحضرة العدو يقول: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف» (٢).

فهذا الحديث حسن: لأن رجال إسناده الأربعة ثقات: إلا جعفر بن سليمان الضبعي: فإنه صدوق لذلك نزل الحديث عن مرتبة الصحيح إلى الحسن.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأذان باب القراءة في المغرب حديث رقم ٧٦٣ ومعنى الحديث أن النبي - صلى الله عليه وسلم - صلى صلاة المغرب بسورة الطور.

(٢) رواه الترمذي في كتاب فضائل الجهاد باب ما ذكر أن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف حديث رقم ١٥٨٣.

القسم الثاني: الحديث المردود:

قسم علماء الحديث الخبر المردود إلى أقسام كثيرة، وأطلقوا على كثير من تلك الأقسام أسماء خاصة بها، ومنها ما لم يطلقوا عليها اسماً خاصاً بها بل سموها اسماً عاماً هو «الضعيف» وهو ما لم يجمع صفة الحسن بفقد شرط من شروطه، بأن فقد أحد شروط الحديث المقبول، وهو ما سقط في الإسناد أو طعن في الراوي.

التقـــــويم

أجب عن الأسئلة التالية :

س١: اذكر عقوبة من كذب على النبي - صلى الله عليه وسلم - متعمدا .

س٢: اكتب ما تعرفه عن سيرة أبي هريرة (رضي الله عنه).

س٣: علل:

- نهى النبي - صلى الله عليه وسلم - عن كتابة شيء غير القرآن في أول الأمر.

- عزم عمر بن عبد العزيز على كتابة السنة.

س٤: اذكر ما تعرفه عمن اشتهر برواية الحديث من النساء .

س٥: صل بين ما جاء في المجموعة (أ) وما يناسبها في المجموعة (ب) بوضع الرقم المناسب.

(أ)		(ب)
١ - الحديث الصحيح.	( )	هو ما اتصل سنده بنقل العدل الذي خف ضبطه.
٢ - الحديث الحسن.	( )	هو ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن الراوي.
٣ - الحديث الضعيف.	( )	الذي فقد أحد شروط الحديث المقبول.

س٦: ضع علامة (√) مقابل العبارة الصحيحة وعلامة (×) مقابل العبارة غير الصحيحة فيما يلي:

١ - تكفل الله - عز وجل - بحفظ القرآن وهذا يشمل حفظ السنة. ( )

٢ - الكذب على النبي - صلى الله عليه وسلم - ليس كالكذب على الناس ( )

٣ - الصحابة - رضي الله عنهم - كلهم على درجة واحدة من حيث قبول الرواية منهم. ( )

٤ - اشترك نساء الصحابة - رضي الله عنهم - مع الرجال في رواية الحديث. ( )

٥ - خديجة - رضي الله عنها - أكثر في رواية الحديث من عائشة - رضي الله عنهما أجمعين - ( )

س٧: أكمل ما يلي:

كان الصحابة - رضي الله عنهم - يتلقون سنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالطرق التالية:

أ- .....

ب- .....

جـ- .....

المفهوم الخامس

تشريع الحلال والحرام حماية لحقوق الإنسان

الدرس السابع عشر: حقوق الإنسان في الإسلام.

الدرس الثامن عشر: الكليات الخمس وحفظها.

الدرس التاسع عشر: العقوبات في الإسلام حماية للفرد والمجتمع.

الدرس العشرون: الاعتداء على الدين وحرمته.

الدرس الحادي والعشرون: الاعتداء على النفس وحرمتها.

الدرس الثاني والعشرون: الاعتداء على المال وحرمته (السرقة - الرشوة - الغش - الاحتيال).

الدرس الثالث والعشرون: الاعتداء على العرض وحرمته (القذف - الزنى - اللواط).

الدرس الرابع والعشرون: الاعتداء على العقل وحرمته (الخمر - المخدرات).

حقوق الإنسان في الإسلام

التمهيد:

المبادئ التي قررها الإسلام لصون كرامة الإنسان وحقوقه لاتزال برونقها وصفائها أكثر بهاء من كل ما جاء به البشر، ووصل إليه التقدم، ولو وازن الإنسان بين ما جاء به الإسلام، وبين ما اهتدى إليه العقل البشري من القوانين البشرية بمختلف أنواعها لأدرك أن المبادئ الإسلامية الخاصة بحقوق الإنسان أحق وأعدل، وأنها أثبتت الإنسان حقوقاً لا توجد في غيرها من القوانين، وصانت الإنسان شخصيته وكرامته.

ولإثبات ذلك يحسن بنا أن نتكلم أولاً عن معنى الحقوق وأنواعها، ثم نتناول أهم حقوق الإنسان التي جاء بها ديننا الحنيف.

تعريف الحقوق:

الحق في اللغة نقيض الباطل، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾ (١).

وحق الأمر، يحق ويحق - بكسر الحاء وضمها - حقاً وحقوقاً، أي: صار حقاً وثبت.

تعريف حقوق الإنسان اصطلاحاً:

عرّف العلماء الأفاضل حقوق الإنسان اصطلاحاً بتعاريف شتى خلاصتها أنها الحقوق الواجبة للإنسان، وتلك المفترض أن تكون له كإنسان وتلازم له في حياته لزوماً معتاداً، ليعيش حراً مستقراً بعيداً عن الاستبداد والظلم والتدخل في شؤونه الخاصة إلا فيما إذا كان وراء ذلك مصلحة عامة للمجتمع أو خاصة بذات الفرد (٢).

أهم حقوق الإنسان في الإسلام:

أرسى الإسلام دعائم حقوق الإنسان منذ أربعة عشر قرناً، وقد تميزت هذه الحقوق بأنها كاملة وتامة وشاملة.

ومن أهم الحقوق الإنسانية التي أرساها الإسلام ما يلي:

١ - العدل:

أكد الإسلام شرعية العدل لإحقاق الحق، وإبطال الباطل، قال تعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾ (٣).

---

(١) سورة البقرة: آية (٤٢).

(٢) حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية وقواعد القانون الدولي، للدكتور: محمد عبدالعزيز أبو سخيلة، ص١٣.

(٣) سورة النحل: آية (٩٠).

وقال جل ذكره: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (١).

وعن قصة المخزومية التي سرقت قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على المنبر: «يا أيها الناس إنما ضل من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها» (٢).

وهكذا فرض الإسلام تطبيق القانون على الجميع حتى يشيع في نفوس الناس الرضا والاطمئنان على حقوقهم، ويشعرهم بقائدة الدولة فيحرصون على بقائها، والدفاع عنها.

٢ - دفع الظلم:

حث الإسلام المسلمين على نصرة المظلوم ودفع الظلم عنه، بل وجعل ذلك حقاً من حقوقه، وقد وردت النصوص الكثيرة الدالة على ذلك منها: ما رواه البراء بن عازب - رضي الله عنه - قال: أمرنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بسبع (ذكر منها) «نصر المظلوم» (٣).

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً. قالوا: يا رسول الله، هذا ننصره مظلوماً، فكيف ننصره ظالماً؟ قال: تأخذ فوق يديه» (٤).

٣ - حق المساواة:

خلق الله - عز وجل - الناس وجعلهم متساوين في الحقوق والواجبات، ومتساوين في تكوينهم، وأصل خلقهم، فلم يخلق شعباً أو جماعة من طين أشرف من الطين الذي خلق منه شعباً آخر أو جماعة أخرى.

وقد أوضح ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال - عليه أفضل الصلاة والسلام -: «يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى» (٥). ثم قرأ قول الله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ (٦).

---

(١) سورة المائدة: آية (٨).

(٢) رواه البخاري في كتاب الخصومات باب كراهية الشفاعة في الحد حديث رقم ٦٢٩٠.

(٣) رواه البخاري في كتاب المظالم باب نصر المظلوم ح ٢٤٤٥.

(٤) رواه البخاري عن أنس بن مالك في كتاب المظالم باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً ح ٢٢٦٤ الحلبية.

(٥) رواه الإمام أحمد في باقي مسند الأنصار حديث ٢٢٣٩١.

(٦) سورة النساء: آية (١).

٤ - حق الحياة:

ضمان الإسلام حق الحياة لكل الناس داخل الدولة الإسلامية أو خارجها للمسلم ولغير المسلم. لا يستثنى من ذلك إلا الذي يقف في وجه الدولة الإسلامية. فلا يجوز للدولة أن تعتدي على حياة أي شخص إلا إذا ارتكب جرماً يؤاخذه عليه الشرع، ويعاقبه عليه القانون الإسلامي. فالإسلام حرم الاعتداء على الأنفس إلا بموجب شرعي. قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة» (١).

وقال تعالى:

﴿مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (٢).

فالإسلام إذا صان حياة الإنسان ونهى عن الاعتداء عليها إلا إذا استباح إنسان لنفسه الاعتداء على الغير بقتل النفس التي حرم الله - تعالى - قتلها، أو أن يعيث في الأرض فساداً ففي هذه الحالة يجب القصاص والردع للحفاظ على المجتمع من الفوضى والاضطراب والخوف. قال سبحانه وتعالى:

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ (٣).

٥ - حق الحرية:

جاء الإسلام بتحرير العقول والإرادات وتخليصها من جور السلطان وتوجيهها إلى ميدان الإسلام الفسيح. لقد حرر الإسلام الإنسان من عبودية البشر وأعطاه الحرية التامة في نطاق العبودية لله تعالى. قال تعالى:

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ (٤).

حقوق غير المسلمين في البلاد الإسلامية

ساوى الإسلام بين المسلمين وغيرهم في الحقوق والواجبات، وقرر أن الذميين في أي بلد إسلامي أو في أي بلد خاضع للمسلمين، لهم ما للمسلمين من حقوق، وعليهم ما على المسلمين، ويجب على الدولة أن تقاتل عنهم كما تقاتل عن رعاياها المسلمين، وتطبق عليهم القوانين القضائية التي تطبق على هؤلاء إلا ما تعلق منها بشؤون الدين فتحكم فيه عقائدهم وشرائعهم، فلا توقع عليهم الحدود الإسلامية فيما لا يحرمونه، ولا يدعون إلى القضاء في أيام أعيادهم (٥) لقوله - عليه السلام -:

«انتم يا يهود عليكم خاصة الا تعدوا في السبت» (٦).

---

(١) رواه البخاري في كتاب الديات باب قول الله تعالى: ﴿أن النفس بالنفس﴾ حديث ٦٣٧٠.

(٢) سورة المائدة: الآية (٣٢).

(٣) سورة المائدة: الآية (٤٥).

(٤) سورة البينة آية (٥).

(٥) حقوق الإنسان في الإسلام دكتور: علي عبدالواحد وافي، ص ٢١-٢٢ ط دار النهضة، مصر القاهرة: (١٣٩٨ - ١٩٧٩).

(٦) رواه الإمام أحمد في مسنده بألفاظ مغايرة ٤/ ٢٣٩.

ولا يقف الأمر في معاملة الذميين عند نصوص الشرع والقانون، بل إن الحاكم المسلم مطالب فوق ذلك بمجاملتهم وحسن معاملتهم والعدل معهم ولي هذا يقول الله - عز وجل - ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (١).

ويقول الرسول - عليه الصلاة والسلام - «من آذى ذميا فأنا خصمه ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة» (٢).

ولما أعلن النبي - صلى الله عليه وسلم - دولة الإسلام في المدينة المنورة كان اليهود يسكنون المدينة وهم من أهل الكتاب. فكفل لهم حقوق المواطنة مع المسلمين باعتبارهم جميعاً مواطنين من أهل المدينة المنورة وكتب بينه وبينهم الوثيقة التي تضمنت بعض قواعد ونظام الحكم في هذه الدولة التي منها: «أن اليهود أمة مع المؤمنين، وأن لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، وأن بينهم النصر على من دهم المدينة، وأن لليهود ومواليهم مثل ما لأهل هذه الوثيقة» (٣).

وقال - صلى الله عليه وسلم -: «إن الله لم يحل لكم أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب إلا بإذن ولا ضرب نسائهم ولا أكل ثمارهم» (٤).

وإذا كان الله - عز وجل - ثم رسوله الكريم - صلى الله عليه وسلم - قد بينا حقوق غير المسلمين في الدولة الإسلامية فإن العلماء الأجلاء على مدى التاريخ قد أكدوا على هذا أيضاً.

وإليك - يا بني العزيز - بعضاً مما ذكره العلماء في هذا المجال:

قال الماوردي عن هذه الحقوق: يجب على ولي الأمر أن يضع الجزية على رقاب من دخل في الذمة من أهل الكتاب ليقروا بها في دار الإسلام، ويلتزم لهم ببذلها حقين أحدهما: الكف عنهم، والثاني: الحماية لهم ليكونوا بالكف آمنين، وبالحماية محروسين.

وقال الإمام ابن كثير عن حق غير المسلمين في حرية التدين والاعتقاد: لا يكره أحد منهم على الدخول في دين الإسلام، لأن الإسلام واضح بيّن جلي دلائله وبراهينه لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه، واستدل بقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (٥).

وبقوله عز وجل: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٦).

كذلك فإن الفقهاء قرروا أن يعامل أهل الذمة في البيوع والتجارات وسائر العقود والمعاملات المالية كالمسلمين ولم يستثنوا من ذلك إلا عقد الربا فإنه محرم عليهم كالمسلمين. أما غير ذلك في تعاقدهم مع غيرهم أو عملهم وكسبهم احساب أنفسهم ومزاولة ما يختارونه من المهن الحرة ومباشرة كل ما يريدون مباشرته من ألوان النشاط الاقتصادي فهذا من صميم حقهم الذي منحه الإسلام لهم، وجعلهم في ذلك شأنهم كشأن المسلمين (٧).

---

(١) سورة الممتحنة آية (٨).

(٢) رواه الخطيب بإسناد حسن.

(٣) الخراج لأبي يوسف: ص ١٢٦.

(٤) رواه أبو داود في كتاب الخراج والإمارة والفيء، حديث ٢٦٥٢.

(٥) سورة البقرة آية (٢٥٦).

(٦) سورة يونس آية (٩٩).

(٧) العدل والتسامح الإسلامي للأستاذ: السيد أحمد المحرصي: ص ٧١ بتصرف.

التقـــــويم

أجب عن الأسئلة التالية :

س ١: عرّف الحقوق لغة واصطلاحاً.

س ٢: اذكر أهم الحقوق التي كفلها الإسلام للإنسان.

س ٣: انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً..

أوجد العبارة مفهوم في الجاهلية ومفهوم في الإسلام بيّن هذين المفهومين مع التفريق بينهما.

س ٤: املأ الفراغ بما يناسبه:

- ميزان التفاضل في الإسلام ..... ولا فضل لعربي على أعجمي، ولا أحمر على أبيض إلا .....

س ٥: في أي أركان الإسلام تتحقق المساواة بأوضح صورها؟

س ٦: قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾

بيّن كيف تتحقق الحياة بإقامة القصاص بين الناس.

س ٧: فرق بين مفهوم الحرية في الإسلام، والمفهوم الغربي من خلال اطلاعك الخاص.

س ٨: أكمل ما يلي:

أ- من حقوق غير المسلمين في بلاد الإسلام:

١- .....

٢- .....

ب- من حكمة فرض الجزية على أهل الذمة:

١- .....

٢- .....

س ٩: هل تعتبر إقامة الحدود في الإسلام اعتداء على الحريات؟ علل.

س ١٠: يظن البعض خطأ أن حريته في أن يفعل ما يشاء، فكيف تردهم إلى الصواب؟

س ١١: ما رأيك في المتهتكين من الشباب الذين يزعجون الناس في بيوتهم؟ وبم تنصحهم؟

س ١٢: ما مقترحاتك للقضاء على الظواهر السلبية المنتشرة في المجتمع الصالح؟

الكليات الخمس وحفظها

التمهيد:

جاء الإسلام بالمحافظة على الكليات الخمس الضرورية لقيام المجتمعات الصالحة، وهذه الكليات في مضمونها تساعد الإنسان على الاستفادة الحسنة من جوانب الحياة وتنظم علاقاته، وتراعي مصالحه، أو فوق ذلك جاءت ملائمة كمكارم الأخلاق والطباع السوية، والعقل الصحيح، وهذه الكليات هي:

الدين - النفس - العقل - العرض - المال

وقد اتفقت الشرائع السماوية على مراعاة هذه الأصول الأساسية فنادت بها وحرصت عليها، وعملت على حمايتها وحفظها (١).

وإليك ما شرعه الإسلام لحفظ هذه الضروريات أو الكليات أو المقاصد الخمس:

أولاً: المحافظة على الدين:

الدين الحق هو مصلحة ضرورية للإنسان، لأنه ينظم علاقة الإنسان بربه، وبنفسه، وبأخيه الإنسان، ومجتمعه، كما أنه يعطي التصور الرشيد عن الخالق والكون والحياة والإنسان، والدين هو مصدر الحق والعدل والاستقامة والرشاد.

والدين الحق الذي نقصده هو الدين الإسلامي، الذي يعني الاستسلام لله تعالى، قال تعالى:

﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (٢).

وقال عز وجل: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٣).

---

(١) قواعد الأحكام للعز بن عبدالسلام ١/ ٢٩، ٣٠، ٢٤، ٣٤، ٧٩، وحقوق الإنسان في الإسلام للدكتور محمد الزحيلي، صفحة ٨٠ بتصرف.

(٢) سورة آل عمران: آية (١٩).

(٣) سورة آل عمران: آية (٨٥).

وهو المشتمل على العقيدة والعبادات والمعاملات بانواعها المختلفة وفيه اوامر الله - عزّ وجلّ - للافراد والجماعات بالالتزام به في حياتهم العملية حتى يسعدوا في دنياهم وأخراهم

ما شرعه الله - تعالى - لحفظ الدين:

شرع الله - عزّ وجلّ - للمحافظة على الدين من الاعداء الجهاد في سبيله والدفاع عن الإسلام واهله، ونشر الدعوة الإسلامية، كما شرع أيضاً حد الردة حماية للدين وحفاظاً عليه

ثانياً: المحافظة على النفس

كرامة الإنسان عند الله تعالى:

إن الله سبحانه وتعالى كرم الإنسان، وخلقه بيده ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وسخّر له ما في السماوات والأرض جميعاً، وجعله خليفة عنه، وزوده بالقوى والمواهب ليسود الأرض ويصل الى اقصى ما قدر له من كمال مادي وارتقاء روحي

ولا يمكن أن يحقق الإنسان اهدافه ويبلغ غاياته إلا إذا توفرت له جميع عناصر النمو وأخذ حقوقه كاملة، وفي طليعة هذه الحقوق التي ضمنها الإسلام: حق الحياة.. وهذا الحق واجب للإنسان من حيث هو إنسان بغض النظر عن لونه أو دينه أو جنسيته او وطنه او مركزه الاجتماعي، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (١)

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خطب الناس يوم النحر فقال: يا ايها الناس، اي يوم هذا؟ قالوا: يوم حرام. قال: فاي بلد هذا؟ قالوا: بلد حرام. قال: فاي شهر هذا؟ قالوا: شهر حرام. قال: فإن دماءكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا (٢).

وقال - صلى الله عليه وسلم -: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه» (٣).

ولمّا كان الأمر كذلك فقد شرع الله - عزّ وجلّ - لإيجاد النفس وتكوينها الزواج والتوالد والتناسل، لضمان البقاء الإنساني وتأمين الوجود البشري من اطهر الطرق واحسن الوسائل وحرم الزنى وكل انواع الانكحة الفاسدة الباطلة التي كانت في الجاهلية، وشرع تشريعات لحفظها وحمايتها ونهى عن الاعتداء عليها باي وجه من وجوه الاعتداء سواء أكان هذا العدوان عدواناً ذاتياً من الإنسان نفسه بحيث يعتدي على نفسه بالانتحار مثلاً أو بإيذائها باي نوع من انواع الإيذاء، أم كان عدواناً خارجياً من اي إنسان آخر يعتدي على غيره من الناس

---

(١) سورة الإسراء: آية (٧٠)

(٢) رواه البخاري في كتاب الحج باب الخطبة أيام منى حديث رقم ١٧٣٩.

(٣) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم ظلم المسلم وخذله ودمه وعرضه ومال حديث رقم ٤٦٥٠.

ثالثاً: المحافظة على العرض:

العرض فرع من النفس الإنسانية، وهو ما يمدح به الإنسان ويذم، كما أنه أحد الصفات الأساسية المعنوية للإنسان، التي تميزه عن غيره من الحيوانات، وهو ما حرص عليه عرب الجاهلية، وجاء الإسلام فأقره، واعتبره من الضروريات.

فعليه تُبنى الروابط الأسرية، وبه تعلو الكرامة الإنسانية، وتتوثق الروابط الاجتماعية، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾(١).

والقصد من حفظ العرض حفظ النسل والعورة بأرقى الوسائل وأشرف الطرق، حتى لا تختلط الأنساب وتضيع الذرية، ويتشرد الأطفال.

ما شرعه الله للمحافظة على العرض:

شرع الإسلام الحفاظ على العرض ورعايته أحكاماً كثيرة من أهمها ما يلي:

١) غض البصر: لأن النظرة بريد الزنى، قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾(٢).

وقال -صلى الله عليه وسلم-: «يا علي لا تُتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى وليست لك الآخرة»(٣) وورد في الأثر (النظرة سهم مسموم من سهام إبليس).

(٢) تحريم مصافحة الأجنبية:

قال -صلى الله عليه وسلم-: «لأن يُطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خيرٌ له من أن يمس امرأة لا تحل له»(٤).

(٣) تحريم الخلوة بأجنبية:

فلا يجوز لرجل أن يختلي بامرأة أجنبية لقول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: «لا يخلون رجلٌ بامرأة إلا ومعها ذو محرم، ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم، فقام رجلٌ فقال: يا رسول الله إن امرأتي خرجت حاجة، وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا، قال: «انطلق فحج مع امرأتك»(٥).

---

(١) سورة النحل، الآية (٧٢).

(٢) سورة النور، الآيتان (٣٠-٣١).

(٣) رواه الترمذي في كتاب الأدب باب ما جاء في نظرة الفجاءة ح ٢٧٨٦ وأبو داود وأحمد والحاكم.

(٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (١/٤٤٧) رقم ٢٢٦.

(٥) رواه مسلم في كتاب الحج باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره حديث رقم ٢٣٩١.

(٤) تحريم الاختلاط بين الرجال والنساء.

(٥) التزام المرأة بالحجاب الشرعي: فستر بدنها عن الرجال الأجانب ولا تتبرج كتبرج الجاهلية الأولى. يقول الله تعالى:

﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾(١)

٦) تحريم قذف المحصنات الطاهرات بالزنى: لما فيه من القدح في أنساب الناس والنيل من أعراضهم وإشاعة الفاحشة بينهم وإلحاق العار بالمقذوفين وبمن ينتمي إليهم. فإن النيل من الإنسان باللسان لا يقل عن النيل منه بالسنان. قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَٰحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْءَاخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾(٢)

٧) تحريم الزنى وجعله من كبائر الذنوب- قال تعالى:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾(٣)

رابعاً: المحافظة على العقل:

ولمنزلة العقل وأهميته وعظم التكاليف المنوطة به فقد أمر الله -عز وجل- بالحفاظ عليه وحمايته، وحرم الله -تعالى- كل ما يؤدي إلى ذهابه بالإسكار وفقدان الوعي عن طريق تناول المسكرات والمخدرات والمفترات قال -صلى الله عليه وسلم-: «كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ وَمَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا فَمَاتَ وَهُوَ يُدْمِنُهَا لَمْ يَتُبْ لَمْ يَشْرَبْهَا فِي الْآخِرَةِ»(٤).

خامساً: المحافظة على المال:

المال هو عصب الحياة، وشقيق النفس والولد، ويقصد به كل ما يقع عليه الملك، وهو الوسيلة للخير إن كان طيباً، ويساعد الناس على تلبية العيش وتبادل المنافع، والاستفادة من جوانب الحياة الكثيرة، وقد سخره الله -تعالى- للإنسان في هذا الكون، لذلك كان المال مصلحة ضرورية للناس، وإلا صارت حياتهم فوضى وفوضى

---

(١) سورة النور: آية (٣١).

(٢) سورة النور: آية (١٩).

(٣) سورة الإسراء: آية (٣٢).

(٤) رواه مسلم في كتاب الأشربة باب بيان أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام حديث ٣٤٣٣.

قال تعالى:

﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ۖ وَالْبَٰقِيَٰتُ الصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾(١).

وشرع الإسلام الحصول على المال السعي في مناكب الأرض، والكسب المشروع، كما شرع في سبيل الانتفاع بالأموال المعاملات الشرعية التي تكفل الحصول عليه وتوفيره للمسلم والتبادل به(٢).

وكما أن النفس معصومة فكذلك المال، فلا يحل أخذ المال بأي وسيلة من الوسائل غير المشروعة.

قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوٓا أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِالْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾(٣).

وعن أبي أمامة أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال:

«من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار، وحرم عليه الجنة» فقال له رجل: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله؟ قال: «وإن قضيباً من أراك»(٤).

أسس التعامل المالي في الإسلام:

وضع الإسلام أسساً يقوم عليها التعامل المالي وإليك عزيزي المتعلم أهم هذه الأسس

أ) الرضا: قال تعالى:

﴿ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾(٥)

ب) أهلية التعاقد: فيكون الإنسان رجلاً أو امرأة مسؤولاً عن تصرفاته وقراراته وأفعاله وقد شرع الإسلام أنواعاً من العقود، لتقويم مصالح العباد وتبادل المنافع وحرم في نفس الوقت، السرقة، والغش، والاحتكار والتدليس والرشوة لما يترتب على ذلك من آثار سيئة على الفرد والمجتمع

---

(١) سورة الكهف آية (٤٦).

(٢) حقوق الإنسان في الإسلام، ص ٩٢ بتصرف.

(٣) سورة النساء آية (٢٩).

(٤) رواه مسلم في كتاب الإيمان باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار، حديث رقم ١٩٦ والأراك هو: الشجرة التي يؤخذ منها السواك.

(٥) سورة النساء: آية (٢٩).

التقـــــويم

أجب عن الأسئلة التالية :

س١: اذكر تعريف المصالح الضرورية ثم بيّن قيم تندرج.

.....

.....

.....

س٢: ما معنى المحافظة على النفس؟ وما الذي شرعه الإسلام لإيجاد النفس وتكوينها وحفظها وحمايتها؟

.....

.....

.....

س٣: ضع علامة (√) مقابل العبارة الصحيحة وعلامة (×) مقابل العبارة غير الصحيحة.

أ - اتفقت الشرائع السماوية جميعها على مراعاة حفظ الكليات الخمس. ( )

ب - أعطى الإسلام الرجل الحق في الملكية والتصرفات المالية دون المرأة. ( )

ج - خلق الله العقل للإنسان ليرشده إلى الخير ويبعده عن الشر ويتأمل به ملكوت الله عز وجل. ( )

س٤: علل ما يلي:

أ - الدين الإسلامي ضروري للإنسان.

.....

.....

ب - تحريم الاختلاط بين الرجال والنساء.

.....

.....

ج - تحريم الإسلام لبعض العبيات الظاهرات مالرس

.....

.....

س٥: ما الوسائل المشروعة في الإسلام للحصول على المال؟

س٦: في ضوء معرفتك لواقع الأمة الإسلامية اليوم اجب عما يلي:

أ - هل تحقق وعد الله للمؤمنين في العصر الحاضر؟ ولماذا؟

ب - ما الأسباب التي أوصلت المسلمين إلى ما هم عليه الآن؟ وما مقترحاتك للخلاص من هذه الحال؟.

س٧: القصاص حياة - القتل أنفى للقتل.

ماذا تفهم من هاتين العبارتين؟ وأيهما أدق في التعبير؟

.....

.....

.....

س٨: صل كل عبارة من المجموعة (أ) بما يناسبها من المجموعة (ب):

(أ)	(ب)
- الحفاظ على العرض شرع	الجهاد
- الحفاظ على العقل حرمت	غض البصر وتحريم الاختلاط
- الحفاظ على الدين شرع	المكيرات والمخدرات
- الحفاظ على النفس حرم	الربا والنهب
- الحفاظ على المال حرم	الانتحار وقتل الغير

العقوبات في الإسلام حماية الفرد والمجتمع

التمهيد:

شرعت العقوبات في الإسلام لتصون الناس، وتحفظ عليهم دينهم ونفوسهم وأعراضهم وعقولهم وأموالهم وتحفظ عليهم مقومات حياتهم، ودعائم إنسانيتهم – والركائز الأساسية لتقدمهم وأمنهم واستقرار حياتهم، وإبعاد شبح الجريمة عنهم.

والعقوبات جميعها زواجر وجوابر، أي أنها تزجر الناس عن ارتكاب الجرائم، وهي كفارة لأصحابها لأنها جوابر، والدليل على ذلك: ما رواه الصحابي الجليل عبادة بن الصامت - رضي الله عنه – أنّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال وحولهُ عصابةٌ منْ أصحابه: «بايعوني على أنْ لا تُشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونهُ بينْ أيديكم وأرجُلكمْ، ولا تعصوا في معروف. فمنْ وفى منكم فأجرُهُ على الله، ومن اصاب منْ ذلك شيئاً فعُوقب في الدنْيا فهُو كفّارةٌ له، ومن اصاب منْ ذلك شيئاً ثُمّ سترهُ اللهُ فهُو إلى الله: إنْ شاء عفا عنهُ، وإن شاء عاقبهُ» فبايعناه على ذلك(١).

فقوله -صلى الله عليه وسلم-: (العقوبة في الدنيا) أعم من أن تكون العقوبة حداً أو تعزيراً أو كفارة إذا كان قصاصاً(٢).

تعريف العقوبة:

لغة: العقوبة والعقاب في اللغة يختصان بالعذاب. قال تعالى:

﴿ فَحَقَّ عِقَابِ ﴾(٣) وقال تعالى ﴿ وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾(٤).

العقوبة اصطلاحاً: هي الألم الذي يلحق الإنسان مستحقاً على الجناية ويكون بالضرب أو القطع أو الرجم أو القتل وسميت بذلك بتعقيبها الذنب ومحدود: إذاً فالعقوبة أعم من الحدود(٥).

---

(١) رواه البخاري في كتاب الإيمان باب ١١ حديث ١٧.

(٢) كتاب أثر تطبيق الحدود في المجتمع بحوث مؤتمر الفقه الإسلامي ١٩٨١ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٣) سورة ص آية (١٤).

(٤) سورة البقرة آية (١٩٦).

(٥) الموسوعة الفقهية ج٢٧، ص ١٣٠، مختار الصحاح ص ٢٣٥.

والعقوبات في الإسلام نوعان:

أ - عقوبة محددة، بيّن الشارع مقدارها وهي نوعان: الحدود والقصاص.

ب - عقوبة تفويضية، لم يحدد الشارع مقدارها، وإنما ترك ذلك الحاكم حسب ظروف الجريمة ولكل نوع من هذه العقوبات خصائصه، وإليك أيها المتعلم بياناً عن كل نوع منها بإيجاز:

أولاً: الحدود

الحد في اللغة: الحاجز بين الشيئين، الذي يمنع اختلاط أحدهما بالآخر، وحد الزنى والخمر سمي به لكونه مانعاً لتعاطيه من معاودة مثله ومانعاً لغيره أن يسلك مسلكه.

قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴾ (١).

والحدّ في الاصطلاح: عقوبة مقدرة وجبت حقاً لله تعالى(٢).

أنواع الحدود:

١) حد الردة. ٢) حد القذف.

٣) حد الزنى. ٤) حد شرب الخمر.

٥) حد السرقة ٦) حد الحرابة.

سقوط الحدود بالشبهة:

أجمع الفقهاء على أن الحدود تُدرأ (أي تمنع) بالشبهات. والشبهة ما يشبه الثابت وليس بثابت وتكون الشبهة في الفاعل، مثل: من وطئ امرأة ظنها حليلته.

والأصل في ذلك القاعدة المشهورة: (ادرؤوا الحدود بالشبهات)(٣).

ما يراعى في إقامة الحدود:

يراعى في إقامة الحدود ما يلي:

١) أن يقيمها الإمام: اتفق الفقهاء على أنه لا يقيم الحد إلا الإمام أو نائبه، وذلك لأن الإمام (أي الحاكم) قادر على إقامتها لشوكته ومنعته وانقياد الرعية له قهراً وجبراً. كما أن تهمة الميل والمحاباة والتواني عن الإقامة منتفية في حقه، فيقيمها على وجهه، فيحصل الغرض المشروع بيقين. ولأن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يقيم الحدود، وكذا خلفاؤه الراشدون من بعده(٤).

---

(١) سورة الطلاق: آية (١)

(٢) الموسوعة الفقهية: ج ١٧، ص ١٢٩، ص ١٣٠ كتاب أثر تطبيق الحدود في المجتمع ص ٩-١٠

(٣) الموسوعة الفقهية: ج ١٧، ص ١٣٤ الذهبي: ج ٧

(٤) المرجع السابق: ص ١٤٤: ج ١٧

٢) **أهلية الشهود:** وذلك بأن يكونوا بالغين عاقلين مكلفين، غير مكرهين، وأن يكونوا غير متهمين بالفسق أو الردة أو حد أقيم على الشاهد خاصة القذف(١)

٣) **شهود الناس لإقامة الحد:** حتى يعتبروا وفي ذلك يقول الله تعالى

﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢)

ثانياً القصاص:

القصاص لغة: مأخوذ من قص الأثر أي تتبعه ومنه قوله تعالى:

﴿ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾(٣).

ومأخوذ من القص، أي: القطع يقال قص شعره أي: قطعه

واصطلاحاً: هو أن يفعل بالجاني مثل ما فعل بالمجني عليه(٤) فإن قتل قُتل، وإن جرح جُرح، متى تحققت شروط الاستيفاء.

ومنه قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٥)

الفرق بين الحد والقصاص(٦)

الحد	القصاص
١) الحد عقوبة مقدرة شرعاً مثل حد الزنى	١) القصاص عقوبة يكون استيفاؤها كما فعلا الجناية إذا رضي المجني عليه في استيفائها.

(١) منار السبيل ج٢: ص ٣٩٠

(٢) سورة النور: آية (٢).

(٣) سورة الكهف: آية (٦٤)

(٤) الموسوعة الفقهية: ج ١٧: ص ١٣٠ وكتاب تطبيق الحدود في المجتمع

(٥) سورة البقرة: الآيتان (١٧٨-١٧٩).

(٦) الموسوعة الفقهية: ج١٧: ص ١٣٢.

٢) لا تورث الحدود فإذا توفي المرء إثمه أخذ عليه فقد سقط الحد.	٢) القصاص يورث خاصة الدية فإنه ينتقل إلى الورثة من أهله.
٣) لا يجوز العفو في الحدود إذا بلغت الإمام لأن الحدود حق لله -تعالى- أما قبل أن تصل إليه فيجوز التسامح فيها.	٣) يصح العفو في القصاص حتى لو بلغ الإمام، لأنه حق للعباد.
٤) لا تجوز الشفاعة في الحدود.	٤) تجوز الشفاعة في القصاص.

ثالثاً: التعزير

التعزير لغة: هو المنع والنصرة.

لأن الشأن في هذه العقوبة أن تمنع من وقوع الجريمة. ومن منع شخصاً عن جناية فقد نصره. قال - صلى الله عليه وسلم: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، قالوا يا رسول الله هذا ننصره مظلوماً، فكيف ننصره ظالماً؟ قال: تأخذ على يديه» (١).

التعزير اصطلاحاً: هو عقوبة شرعها الله - عزّ وجلّ - على ذنوب لم تشرع الشريعة لها عقوبة مقدّرة وفوّض تقديرها إلى الحاكم.

والتعزير يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص. ولذلك يجوز للإمام الزيادة في مقدارها أو النقص منها. وقد تسقط إذا رأى الإمام المصلحة في ذلك لقوله - صلى الله عليه وسلم -: «أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود» (٢).

وقد فسر العلماء ذوي الهيئات بأنهم أهل الصلاح والتقوى الذين لا يعرفون الشر، ولكن قد يقع منهم هفوة فيعفى عنهم لقيمتهم الدينية بين الناس ومراعاة لحسن سيرتهم وعدم اعتيادهم على الرذيلة.

أمثلة مما يعزر عليه الحاكم:

يعزر الحاكم على ارتكاب بعض الأمور التي تتعلق بحق الله وحق العبد. أما الأمور التي تتعلق بحق الله ويعزر عليها مرتكبوها فمنها ما يلي:

١ - المجاهرة بالفطر عمداً في رمضان بغير عذر.

٢ - إلقاء القاذورات في الطريق العام.

٣ - ترك الصلاة عمداً وتهاوناً.

٤ - التعرض لنساء المسلمين بالأذى في الطرقات والأماكن العامة.

٥ - التشبه بالنساء في اللباس والمشي وغير ذلك.

---

(١) رواه البخاري في كتاب المظالم والغصب باب: أعن أخاك حديث رقم ٢٢١٤

(٢) رواه أبو داود في كتاب الحدود باب: (الحد يشفع فيه) ولفظه حديث ٣٨٠٣

فهذه أمور كلها تتعلق بحق الله تعالى، ويجب فيها تعزير مرتكبيها.

كما يجب التعزير أيضاً في كل حد سقط لشبهة أو منع من استيفائه مانع مثل: لو سرق دون النصاب أو من غير حرز، أو قتل الأب ابنه فلم يقم عليه الحد لذلك.

وأما إن تعلقت بحق شخص بعينه فقد صارت من حقوق العباد، وحينئذ فإن طلب العبد استيفاء حقه وجب الأخذ له بحقه، وإن عفا جاز للإمام العفو وعدمه.

أنواع التعزير

إذا كانت عقوبة التعزير لم تعين صفة ولا مقداراً ولا نوعاً، فإن الشارع قد نبه إلى بعض أنواع منها لتكون أصلاً في مشروعيتها.

ومن أمثلة ذلك:

١ - شرع الله - عز وجل - الضرب والهجر للمرأة الناشز وذلك في قوله تعالى:

﴿ وَالَّلَاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ﴾ (١)

٢ - ثبت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - حبس الغريم المماطل

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «مطل الغني ظلم، وإذا أتبع أحدكم على ملي فليتبع» (٢).

وعن عمرو بن الشريد عن أبيه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ليُّ الواجد يحل عرضه وعقوبته» (٣). واللَّيُّ: تأخير سداد الدين من قادر بغير عذر.

٣ - ثبت عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال لأصحابه في رجل أقاموا عليه حد شرب الخمر: «بكتوه» أي وبخوه. (٤)

٤ - ثبت عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه عاقب مانع الزكاة بأخذ بعض ماله، حيث قال: «ومن منعها فإنا آخذوها وشطر ماله عزمة من عزمات ربنا عز وجل ليس لآل محمد منها شيء» (٥).

ومن هذا كله نعلم أن الهجر، والضرب، والسجن، والتوبيخ، والتغريم تعتبر كلها من أنواع العقوبات التعزيرية، ويجوز للحاكم إحداث عقوبات أخرى غير هذه الأنواع حسب ما يجد من الجرائم وما يراه أردع وأصلح لحال الفرد والمجتمع بحيث لا تكون مما نهى الشارع عنه كالمثلة، والكي بالنار، أو تشويه الجاني بقطع أذنه، أو حلق لحيته مثلاً، أو نحو ذلك.

---

(١) سورة النساء: الآية (٣٤).

(٢) رواه البخاري في كتاب الحوالة باب الحوالة وهل يرجع في الحوالة حديث رقم ٢١٦٥ واللفظ له، والآخر في سداد الدين

(٣) رواه النسائي في كتاب البيوع باب مطل الغني حديث رقم ٤٦١٠

(٤) رواه أبو داود في كتاب الحدود باب الحد في الخمر حديث رقم ٤٤٨٢

(٥) رواه أبو داود في كتاب الزكاة باب زكاة السائمة حديث رقم ١٣٤٤.

القوانين الوضعية:

بنظرة سريعة للقوانين الوضعية نجد أنها قاصرة عن حماية الفرد والمجتمع، والدليل على ذلك مزيد زيادة معدلات الجريمة والانحراف، فهي عقوبات إما لا تناسب الجريمة، أو أنها زائدة عليها. ففي بلاد الغرب وبرغم وجود القوانين الكثيرة، إلا أننا نجد في الوقت نفسه تصاعداً في معدلات الجريمة، فضلاً عن تصيد الفرص لانتهاك القوانين؛ بخلاف المسلم المتقي الله -تعالى- فإنه بإيمانه وإسلامه يخاف الله -تعالى- ولا يرتكب المحظورات حتى ولو خلا بنفسه.

* * * *

التقـــــويم

أجب عن الأسئلة التالية:

س ١: العقوبات زواجر وجوابر. وضح معنى العبارة. ثم اذكر دليلاً عليها.

.....

.....

.....

س ٢: عرف معنى العقوبة في اللغة والاصطلاح. ثم بين أنواع العقوبات في الإسلام.

.....

.....

.....

س ٣: صل كل عبارة من المجموعة (أ) بما يناسبها من المجموعة (ب):

(أ)	(ب)
الحد هو	عقوبة يفوض تقديرها إلى الحاكم شرعت حقاً لله -تعالى- وحقاً لآدمي.
القصاص هو	عقوبة مقدرة وجبت حقاً لله تعالى.
التعزير هو	أن يفعل بالجاني مثل ما فعل بالمجني عليه.

س ٤: ما أنواع الحدود؟

.....

.....

.....

س ٥: اذكر الفروق بين الحد والقصاص.

الحد	القصاص
١ -	.....
٢ -	.....
٣ -	.....
٤ -	.....
٥ -	.....

س ٦: اشرح القاعدة الفقهية التالية: ادرءوا الحدود بالشبهات.

.....

.....

.....

.....

.....

س ٧: علل ما يلي:

١ - لا يقيم الحد إلا الإمام أو نائبه.

.....

٢ - دعوة الناس لحضور إقامة الحد.

.....

٣ - عدم حصر التشريع الإسلامي جرائم التعزير في عدد معين.

.....

س ٨: أكمل الفراغ التالي:

- يجب التعزير في كل حد ..... أو منع من استيفائه مانع مثل: أو سرق دون..... أو..... أو قتل الأب..... لم يقم عليه الحد.

س ٩: ما الفرق بين الحد والتعزير؟

الحد	التعزير
١-	.....
.....	.....
٢-	.....
.....	.....
٣-	.....
.....	.....

س ١٠ - أكمل ما يأتي، من الأمور التي يعزر عليها الحاكم:

١- .....

٢- .....

٣- .....

س ١١: ورد في الشرع بعض الأنواع لعقوبة التعزير اذكر هذه الأنواع

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

الاعتداء على الدين وحرمته

التمهيد:

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ (١)

بعث الله – عز وجل – محمداً – صلى الله عليه وسلم – إلى الناس بشيراً ونذيراً، حاملاً إليهم آخر رسالة يبعثها الله – تعالى – لأهل الأرض قبل قيام الساعة، وذلك لهداية الناس إلى الصراط المستقيم ولإقامة الحجة على المستكبرين. فانقسم الناس إلى فريقين منهم من آمن به، ومنهم من صدّ عنه، فأمر الله – تعالى – رسوله بحماية هذا الدين من المعتدين فشرع الجهاد وشرع حد الردة.

وإليك التفاصيل حول الجهاد والردة.

أولاً: الجهاد

الجهاد هو: بذل الوسع والطاقة في سبيل الله، بالنفس والمال واللسان، كل في موقعه وحسب الحاجة إليه.

والجهاد في الإسلام لم يشرع الاعتداء على الآخرين ولا التسلط ولا لتحقيق مكاسب دنيوية ولا للاستيلاء على أموال الغير وأملاكهم ولكن للدفاع عن الإسلام، وإعلاء كلمته.

وإذا كان الإسلام قد شرع الجهاد في سبيل الله فإنه قننه بقوانين، ونظمه بنظم وضوابط، ألزم المسلمين بها عند قتالهم أعداء الله، وأعداء الدين وأعداء المسلمين. ولعل من أوضح الأمثلة على ذلك وصية أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – خليفة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الأول لقائد جيشه وهو متجه إلى الشام والتي قال فيها: «إني أوصيك بعشر: لا تقتلن امرأة ولا صبياً، ولا كبيراً أو هرماً، ولا تقطعن شجراً مثمراً، ولا تخربن عامراً ولا تعقرن شاة ولا بعيراً إلا لأكله، ولا تحرقن نخلاً ولا تغرقنه ولا تجبن» (٢).

---

(١) سورة الأنبياء، الآية رقم (١٠٧).

(٢) الملابسات الخارجية في دولة الخلافة. رواه الإمام مالك في الموطأ ج ٢ ص ٤٤٧ حديث رقم ٩٦٥.

لم شرع الجهاد؟

شرع الإسلام الحنيف الجهاد في سبيل الله - تعالى - لأمور عدة من أهمها ما يأتي:

١ - نشر دعوة الإسلام وحماية حرية العقيدة بإزالة القوى الباغية التي تعرقل وصول نور الإسلام لشعوبها.

٢ - دفع الاعتداء عن ديار المسلمين وأموالهم.

٣ - حماية النظام العام للدولة الإسلامية من أهل الفتن والمرتدين.

٤ - حماية ونصرة الأقليات الإسلامية في أي أرض.

٥ - المحافظة على العهود والمواثيق، ومنع الآخرين من التلاعب بها استهانة بالمسلمين.

وهكذا نرى أن تشريع الجهاد في الإسلام يمثل وسيلة نفع عام تحمل نور الإسلام إلى بقاع الأرض وتهديه إلى كل قلب.

ثانيا: عقوبة الردة

تعريف الردة:

الردة هي رجوع المسلم البالغ العاقل عن الإسلام إلى الكفر باختياره دون إكراه من أحد سواء في ذلك الذكور والإناث.

تعريف المرتد:

المرتد هو من ترك دين الإسلام ودخل في الكفر، قال تعالى:

﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ (١)

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمارق من الدين التارك الجماعة» (٢).

وقال - صلى الله عليه وسلم -: «من بدل دينه فاقتلوه» (٣).

---

(١) سورة البقرة: آية (٢١٧).

(٢) رواه البخاري في كتاب «الديات» باب قوله تعالى: ﴿أن النفس بالنفس﴾ حديث رقم ٦٣٧٠.

(٣) رواه البخاري في كتاب «الجهاد والسير» باب «لا يعذب بعذاب الله» حديث رقم ٢٧٩٣.

ولما كان المرتدون أخطر على الإسلام من غير المسلمين، لأنهم سيشوهون الدين، ويدخلون عليه ما لا يوجد فيه، وقد يخدعون الكثير ممن ليست لهم معرفة بالإسلام، إذ الفرق كبير بين مسلم يرتد فيهاجم الإسلام، وبين غير مسلم يهاجم الإسلام، فالمرتد يدنس سموه تحت ستار علمه بحقيقة الدين، وينفث أحقاده تحت ظلال خبرته المدعاة بتعاليم الدين وأحكامه مما يجعل مستمعه أقرب إلى تصديقه من شخص غير مسلم، نقول: لما كانت خطورة المرتد بهذه المثابة كانت عقوبته بقدر جنايته فعقوبة الردة شرعت:

١ – حفاظاً على الدين.

٢ – ضماناً لمسيرته.

٣ – ردعاً للطامعين في الدخول في الإسلام بغية تحقيق أغراض معينة، ثم عودتهم بعد تحقيقها إلى كفرهم.

٤ – تنقية المجتمع من المنافقين والمتاجرين بالأديان، وفي ذلك أمان الدولة الإسلامية واستقرار مسيرتها، وبث الطمأنينة في نفوس الأفراد والجماعات المسلمة.

عقوبة المرتد

المرتد عقوبتان هما:

عقوبة أخروية: وقد نصت الآية السابقة عليها

عقوبة دنيوية: هي القتل وهي ثابتة بالسنة ومنها الحديثان المتقدمان بعد أن يستتاب ثلاثة أيام؛ وإلا قتل سواء أكان المرتد رجلاً أم امرأة، وقد أجمعت الأمة على قتله، ويرجع إلى علماء المسلمين فقط في بيان حكمه، ولا يرجع إلى أي شخص ممن لا يعرفون أمور الدين فيكفرون بأمزجتهم دون علم أو دراية.

المنفذ لحد الردة:

والذي ينفذ الحد على المرتد هو إمام المسلمين أو نائبه، وليس أي شخص، ولكن قبل تنفيذ الحكم على المرتدين، يجب استتابتهم أولاً، عسى أن يتوبوا، كما فعل الخليفة الأول أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – مع المرتدين بعد وفاة الرسول – صلى الله عليه وسلم – فقد بعث من الصحابة – رضي الله عنهم – من يجادلهم فرجع بعضهم إلى الإسلام والبعض الآخر لم يرجع فقاتلهم بعد أن أجمع الصحابة على قتالهم.

نماذج من الصدر الأول للإسلام على إقامة عقوبة الردة:

أقيمت عقوبة الردة في عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم – والخلفاء الراشدين، وإليك – أيها

المتعلم – بعض ما يدل على ذلك:

١ – أن ناساً من عُرينة (١) قدموا على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فاجتووها (٢) فقال لهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «إن شئتم أن تخرجوا إلى إبل الصدقة فتشربوا من ألبانها وأبوالها» ففعلوا فصحوا، ثم مالوا على الرعاة فقتلوهم وارتدوا عن الإسلام وساقوا ذود رسول – صلى الله عليه وسلم – فبلغ ذلك النبي – صلى الله عليه وسلم – فبعث في آثارهم فأتي بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم وتركهم في الحرّة حتى ماتوا» (٣).

٢ – حدث في عهد خليفة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الأول: أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – أن ارتد بعض العرب عن الإسلام، وكانت هذه أعظم الفتن التي واجهت الصديق أبا بكر – رضي الله عنه – والمرتدون في عهد الخليفة أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – كانوا نوعين:

أ – المرتدون عن الإسلام اتباع مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة، وهذا لا خلاف بين الصحابة على كفرهم لأنه لا نبي بعد الرسول – صلى الله عليه وسلم – فهو خاتم النبيين وقد اتفق الصحابة – رضي الله عنهم – على قتالهم.

ب – طائفة أخرى من المرتدين كانوا مصلين ولكنهم منعوا الزكاة، فنهض أبو بكر الصديق لقتالهم، فقال عمر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله». فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لقاتلتهم على منعه. فقال عمر: فو الله ما هو إلا أن رأيت الله – عز وجل – شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق» (٤).

أمثلة تبين ارتداد قائلها:

مما يدل على الارتداد عن الإسلام الاعتداء على ذات الله – عز وجل – كأن يسب إنسانٌ ربَّه أو الرسول – صلى الله عليه وسلم – وأن يجعل مع الله – سبحانه – شريكاً ونداً ومن أمثلة ذلك: قول القائل: «نُقدّا إلى إله سوى الله، إله جديد يحكم الكون» فهذا الكلام لا يجوز قوله ولا كتابته ولا نشره ولا تداوله، لأن قائله إن اعتقد ذلك فهو كافر خارج من ملة الإسلام ويستتاب ويعاود أهل العلم، فإن تاب قبلت توبته، وإلا يحكم عليه حاكم المسلمين بالقتل ردة.

مثال آخر: تنقيص شريعة الله – عز وجل – وهي الإسلام كأن يقول قائل لم تعد الشريعة الإسلامية صالحة لهذا الزمان، ولا لهذا المكان، وإن أحكامها فيها الجور والظلم، أو لم تعط الحقوق

---

(١) قبيلة من قبائل مكة.

(٢) اجتووا: يعني أصابهم مرض في بطونهم بسبب جو المدينة وماءها.

(٣) رواه مسلم في كتاب «القسامة والمحاربين والقصاص والديات» ح ٣١٦٢.

(٤) رواه البخاري ومسلم في كتاب «الإيمان» باب (وجوب قتال تارك أحد أركان الإسلام والتغليظ له) ح٢٩.

كاملة للإنسان وغير ذلك مما تسمعه أو يستهزئ البعض بأحكام الإسلام على سبيل السخرية.

والسخرية والاستهزاء خطر جداً إذا كان هذا الاستهزاء بالله تعالى مثل رسم (كاريكاتير) عن ذات الله - تعالى - العلية، سبحانه وتعالى عما يصفه الواصفون، أو عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - في أقواله وأفعاله وصفاته.

وقد ورد في القرآن الكريم آيات تحذر من ذلك منها قوله تعالى:

﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ (١).

وجاء في سبب نزول الآيات: أن نفراً من المنافقين في غزوة تبوك قالوا في مجلس لهم عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - ما لا نظن هذا (يشيرون إلى النبي صلى الله عليه وسلم) وهم سائرون بفتح قصور الشام وحصونها، فأطلع الله نبيه عليهم فدعاهم فجاءوا واعتذروا بقولهم: إنا كنا نخوض أي في الحديث ونلعب تقصيراً الوقت الملل عنا والسآمة، وأيضاً قالوا مقولة أخرى: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسناً، ولا أجبن عند اللقاء، فبلغ ذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - ونزلت هذه الآيات وجاءوا يعتذرون لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -

فأنزل الله تعالى: ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ (٢).

- انتقاص القرآن الكريم، أو القول بأنه مخلوق. وانتقاص السنة النبوية الشريفة بانتقاص نقلتها من صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأن الطعن فيهم طعن في حملة القرآن الكريم، وهم الحلقة التي أوصلت إلينا القرآن الكريم وكلام سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه.

- اتهام النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه فشل في دعوته في مكة المكرمة؛ لأن ذلك الاتهام يعني وصف الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالجبن والخوف بخلاف وصف الله - عزّ وجلّ - لرسوله - صلى الله عليه وسلم - بصفات الكمال البشري فيما يبلغ عن الله عزّ وجلّ.

- تكفير أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أو إخراجهم من ملة الإسلام لأن الله - عزّ وجلّ - أثنى عليهم في كتابه الكريم فقال تعالى:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (٣).

وقال تعالى:

﴿ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ (٤).

---

(١) - (٢) سورة التوبة الآيات من: ٦٤ - ٦٦.

(٣) سورة الفتح الآية (٢٩).

(٤) سورة الفتح الآية (١٨).

أجب عن الأسئلة التالية :

س ١: ما الغاية التي بعث الله - عز وجل - لها الرسل الكرام صلوات الله وسلامه عليهم؟

س ٢: الإسلام لا يجبر أحداً على الدخول فيه، بل أعطى للإنسان الحرية في اعتناق دينه. وضح ذلك في ضوء قوله تعالى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾.

س ٣: شرع الإسلام لحماية الدين أفراداً وجماعات تشريعات، اذكرها.

أ- .....

ب- .....

س ٤: اكتب المصطلح الشرعي للتعريفين التاليين:

أ- ..... هو بذل الوسع والطاقة في سبيل الله - عز وجل - بالنفس والمال واللسان

ب- ..... هو الراجع عن دين الإسلام إلى الكفر.

س ٥: إذا شرع الإسلام الجهاد في سبيل الله؟

س ٦: ما الحكمة من تشريع أحكام الردة؟

س ٧: للمرتد عقوبتان، اذكرهما محدداً الذي ينفذ الحكم على المرتد، ومؤيداً إجابتك بالدليل.

س ٨: لانزال عقوبة الردة على المرتد شروط، فما هي؟

س ٩: اذكر أمثلة لأقوال وأفعال تتحقق فيها الردة.

س ١٠ - أقيم حد الردة في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - وعهد أبي بكر الصديق، اذكر الحادثتين اللتين وقعتا في العهدين.

س ١١: الاستهزاء بشريعة الله - عز وجل - ارتداد عن الدين، اذكر دليلاً من القرآن على ذلك، مبيناً سبب نزول الآيات.

س ١٢: بم ترد على شبهة القائلين بأن حد الردة معناه الإكراه في الدين؟

الاعتداء على النفس وحرمته

التمهيد:

قال الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ (١)

أنواع القتل:

١ - القتل العمد.

٢ - القتل شبه العمد.

٣ - القتل الخطأ.

١ - القتل العمد

تعريفه: هو أن يقصد المكلف قتل إنسان معصوم الدم بما يغلب على الظن أنه يقتل به.

ويفهم من هذا التعريف أن جريمة القتل العمد لا تتحقق إلا إذا توافرت فيها الأركان التالية:

١ - أن يكون القاتل عاقلاً، بالغاً، قاصداً القتل. لما رواه الإمام علي - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «رفع القلم عن ثلاثة عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يكبر، وعن المجنون حتى يعقل أو يُفيق» (٢).

٢ - أن يتعمد القاتل قتل المقتول لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ (٣).

٣ - أن يكون المقتول آدمياً، ومعصوم الدم، أي أن دمه غير مباح.

٤ - أن تكون الأداة التي استعملت في القتل مما يقتل بها غالباً.

---

(١) سورة البقرة الآية: (١٧٩).

(٢) رواه ابن ماجه في كتاب «الطلاق» باب (طلاق المعتوه والصغير والنائم) ح ٢٠٤١، وهو حديث صحيح.

(٣) سورة النساء الآية: (٩٣).

عقوبة القتل العمد

القتل العمد عقوبتان هما:

١ – عقوبة أخروية نصت الآية الكريمة عليها قال تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ (١).

وهذه ميزة العمل بشريعة الله – عز وجل – فهي تجعل الجاني مسؤولاً أمام ربه ومحاسباً على ما يقترفه وإنه إن أفلت من العقوبة الدنيوية فإنه لن يفلت من العقوبة الأخروية.

٢ – الجزاء الدنيوي ويشتمل على:

أ – القود (٢) أو العفو إما على الدية، أو الصلح على غير دية وله الزيادة عليها، كما أن لولي الجناية العفو مجاناً وهو أفضل، وتكون في حالة ما إذا عفا ولي الدم أو رضي بالدية، أما إذا اقتص من القاتل فلا تجب عليه كفارة.

ب – الكفارة وهي تحرير رقبة فإن لم يستطع أو لم يجد فصيام شهرين متتابعين.

ج – الحرمان من الميراث إن قتل مورثه عند جمهور الفقهاء.

٢ – القتل شبه العمد

تعريفه: هو أن يقصد المكلف ضرب إنسان معصوم الدم بما لا يقتل غالباً كصفعه خفيفة ونحوها إما بقصد العدوان عليه أو بقصد التأديب له فيسرف فيه (٣).

وسمي هذا النوع بشبه العمد لأن القتل متردد بين العمد والخطأ، إذ إن الضرب مقصود والقتل غير مقصود، ولهذا أطلق عليه شبه العمد، فهو ليس عمداً محضاً ولا خطأ محضاً، ولما لم يكن عمداً محضاً سقط عنه القصاص لأن الأصل صيانة الدماء فلا تستباح إلا بأمر بيّن واضح ووجب عليه دية مغلظة.

كفارة القتل شبه العمد:

القتل شبه العمد يوجب أمرين:

١ – الإثم، لأنه قتل نفس حرم الله قتلها إلا بالحق.

٢ – الدية المغلظة على العاقلة.

---

(١) سورة النساء الآية: (٩٣).

(٢) القود: سمي قوداً لأن الجاني يقاد إلى أولياء المقتول فيقتلونه به إذا شاءوا، وقيل معناه: المماثلة.

(٣) المغني لابن قدامة ج٧ ص٦٥٠.

وهي مائة من الإبل في بطون أربعين منها أولادها. فعن عقبة بن أوس عن رجل من الصحابة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «ألا وإن قتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا والحجر فيه دية مغلظة مائة من الإبل فيها أربعون خلفة في بطونها أولادها» (١).

والتغليظ لا يعتبر إلا في الإبل خاصة دون غيرها، لأن الشرع ورد بذلك، وهذا سبيله التوقيف والسماع الذي لا مدخل للرأي فيه لأنه من باب المقدرات.

٣- القتل الخطأ

تعريفه: هو ما يصدر عن الإنسان بإرادته إلى الإضرار بإنسان أو غيره ممن لم يرد وقوع الفعل عليه وهو أن يفعل المكلف ما يباح له فعله كأن يرمي صيداً أو يقصد غرضاً فيصيب إنساناً معصوم الدم فيقتله، وكأن يحفر بئراً فيتردى فيها إنسان، أو ينصب شبكة فيعلق بها رجل فيقتل. ويلحق بالقتل الخطأ القتل العمد الصادر من غير مكلف كالصبي والمجنون.

الآثار المترتبة على القتل الخطأ:

إن القتل الخطأ يوجب أمرين:

١ - **الدية المخففة على العاقلة (٢)** مؤجلة في ثلاث سنين. وهي المال الذي يجب بسبب الجناية، ويؤدى إلى المجني عليه أو لوليه من أهله. وسميت الدية مخففة لأنها تكون على الجاني وأهله تخفيفاً عليه مع تأجيل السداد لمدة ثلاث سنين.

٢ - **الكفارة:** وهي عتق رقبة مؤمنة سليمة من العيوب المخلة بالعمل والكسب فإن لم يجد صام شهرين متتابعين. وأصل ذلك قوله تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ (٣)

---

١ - الفئة من الإبل: ما دخل في السنة السادسة من عمره والمائل التي دخل الثامنة، وأكمل قوله: - والخلفة: هي الحامل من النوق إلى ما قرب أجل الحمل - الحديث: رواه النسائي في كتاب القسامة حديث رقم ٤٧١٢.

(٢) العاقلة: أهل القاتل من الذكور البالغين من جهة الأب والميسور حالهم وكانت العاقلة في زمن الرسول - صلى الله عليه وسلم - هم قبيلة الجاني أو عشيرته.

(٣) سورة النساء الآية (٩٢).

حد الحرابة:

الحرابة تسمى أيضاً قطع الطريق، وهي: خروج طائفة مسلحة في دار الإسلام عن النظام العام، وذلك بإحداث الفوضى وسفك الدماء، وهتك الأعراض، وإهلاك الحرث، والنسل متحدية بذلك الدين والأخلاق والنظام والقانون. ولا فرق بين أن تكون هذه الطائفة من المسلمين أو الذميين أو المعاهدين أو الحربيين، ما دام في دار الإسلام. قال تعالى:

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٤﴾ (١)

ويدخل في مفهوم الحرابة العصابات المختلفة كعصابات القتل وعصابة خطف الأطفال، وعصابات اللصوص والسطو على البيوت والدنوك، وعصابات خطف البنات الدنارى للفجور بهن، وعصابات اغتيال الحكام ابتغاء الفتن واضطراب الأمن، وعصابات إتلاف الزروع وقتل المواشي والدواب.

عقوبة الحرابة

هي إحدى العقوبات الأربع التالية:

١ - القتل.

٢ - أو الصلب.

٣ - أو تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف.

٤ - أو النفي من الأرض.

وقال أكثر أهل العلم إنَّ «أو» هنا للتنويع لا للتخيير ومقتضاه أن العقوبة تتنوع حسب الجريمة وجزاء المحاربين بحسب جرمهم كما يلي:

١ - إن قتلوا وأخذوا مالاً تحتم جزاؤهم بالقتل والصلب حتى يشتهروا ويرتدع غيرهم.

٢ - وإن قتلوا ولم يأخذوا مالاً تحتم قتلهم فقط.

٣ - وإن أخذوا مالاً ولم يقتلوا تحتم أن تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، اليد اليمنى والرجل اليسرى.

٤ - وإن أخافوا الناس ولم يقتلوا ولا أخذوا مالاً نفوا من الأرض فلا يتركون يأوون في بلد، بل يسجنون حتى تظهر توبتهم وهذا قول ابن عباس - رضي الله عنهما - وكثير من الأئمة.

---

(١) سورة المائدة الآيتان (٣٣ - ٣٤).

التقـــــويم

أجب عن الأسئلة التالية:

س ١: ما مظاهر تكريم الله - عزوجل - للإنسان؟

س ٢: لم شرع الله تعالى القصاص؟ وما دليله في القرآن الكريم؟ وما أثر تطبيق القصاص في تحقيق الأمن والاستقرار في المجتمع؟

.....

.....

.....

.....

س ٣: بيّن أنواع القتل. ثم عرّف كل نوع.

س ٤: ما أركان القتل العمد؟ دلّ على ما تقول.

س ٥: بم يثبت القصاص على القاتل عمدًا؟ وما عقوبته في الدنيا والآخرة؟

س ٦: ما الدليل على أن القصاص يقع في القتل العمد دون الخطأ؟

س ٧: اذكر شروط استيفاء القصاص (شروط تنفيذ القصاص).

س ٨: صل كل عبارة من المجموعة (أ) بما يناسبها في المجموعة (ب):

(أ)	(ب)
يكون القصاص من القاتل بـ	من حق الحاكم أو ولي الأمر.
يسقط القصاص بـ	الطريقة التي قتل بها.
تنفيذ القصاص	العفو من ولي الدم أو موت الجاني.
الدية المغلظة	مائة من الإبل.
	مائة من الإبل في بطن أربعين منها أولادها.

س ٩: ما الفرق بين القتل شبه العمد والقتل الخطأ؟ وما الآثار المترتبة على كل منهما؟

القتل العمد	القتل الخطأ
.....	.....
.....	.....
.....	.....
.....	.....

الآثار المترتبة على كل منهما .....

.....

.....

.....

س ١٠ - ما الحكمة من الكفارة؟

.....

.....

.....

س ١١: هناك جرائم استحدثت في العصر الحاضر لا تقل خطورة عن الحرابة إن لم تكن أخطر منها.

فما هذه الجرائم؟ وما أثرها في زعزعة الأمن في المجتمع؟

س ١٢: ما دور وسائل الإعلام في محاربة هذه الجرائم؟

الاعتداء على المال وحرمته
(السرقة – الرشوة – الغش والاحتيال)

التمهيد:

الإسلام يقر الكسب الحلال ويحارب كل أساليب الكسب غير المشروع، وبما أن المال وسيلة لازمة لتطوير الحياة، به تقضى المطالب، وتقوى الروابط، وتزكى النفوس، وتقوم الحياة على هذه الأرض التي نعيش عليها.

ولهذا فقد شرع الإسلام للمسلم الحصول على المال الحلال ليعول به نفسه ومن يلزمه كفالته عن طريق العمل المباح، الذي ليس فيه مخالفة شرعية.

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا ﴾ (١)

وقال – عليه الصلاة والسلام – لسعد بن أبي وقاص: «يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة، والذي نفس محمد بيده إن العبد يقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه عمل أربعين يوماً، أيما عبد نبت لحمه من السحت والربا (٢) فالنار أولى به» (٣).

ولما كانت طرق الحصول على المال غير المشروعة من الأمور الخطرة على الفرد والجماعة لأنها من صور الاعتداء على الأموال التي حاربها الإسلام، فهيا بنا عزيزي المتعلم نستعرض بعضها حتى نكون على بصيرة منها لنتجنبها، ونحذر غيرنا منها.

أولاً: السرقة

التعريف:

السرقة في اللغة: أخذ الشيء من الغير خفية، ومنه استراق السمع والنظر، أي من سمع أو نظر مستخفياً (٤).

---

(١) سورة البقرة الآية (١٦٨).

(٢) السحت: الحرام.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٢٥٥/٧ - ٤٢٥٦).

(٤) تهذيب الأسماء واللغات ولسان العرب ومختار الصحاح والمصباح المنير والمعجم الوسيط.

والسرقة اصطلاحاً هي أخذ العاقل البالغ نصاباً محرزاً أو ما قيمته نصاباً، ملكاً للغير لا شبهة له فيه على وجه الخفية [١]. وإن كانت عن طريق عمليات الأجهزة الآلية (الإنترنت) اعتبرت سرقة.

دليل تحريمها: السرقة حرمها الإسلام لأنها عمل غير مشروع ينافي كل أسس الإيمان بالله تعالى.

ودليل تحريمها في القرآن الكريم دليل قاطع. قال سبحانه وتعالى:

﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [٢].

فالله - عز وجل - في الآية الكريمة أمر بقطع يد السارق عقوبة له على السرقة، مما يدل دلالة قاطعة على حرمتها. وهذا الحد أقامه النبي - صلى الله عليه وسلم - على من سرق في عهده كما تواترت الأخبار بذلك [٣] وجرى عليه عمل الخلفاء الراشدين دون اعتراض.

ودليل تحريمها في السنة قول رسولنا الكريم - صلى الله عليه وسلم -:

«ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن» (٤)

أي: لا يمكن اجتماع الإيمان وعمل السرقة في قلب واحد.

ومن الإجماع: أجمع فقهاء الأمة الإسلامية على تحريم السرقة، كما أجمعوا على ضرورة إقامة حد الله -تعالى- كاملاً على مرتكب هذه الجريمة إذا ثبتت شروطها لما فيه من حفظ للأنفس والأعراض والأموال وضمان لسلامة وأمن وقوة المجتمعات.

تثبت بها: لا تثبت السرقة إلا بأحد أمرين هما:

أولاً: الإقرار: فتثبت السرقة بإقرار السارق إذا كان مكلفاً مختاراً في إقراره، ولا يكون الإقرار كافياً لإقامة الحد إلا إذا كان صريحاً وتبين للقاضي توافر أركان السرقة فيه.

ثانياً: البينة: وتثبت السرقة بشهادة رجلين تتوافر فيهما شروط الشهادة وشروط أدائها. وعلى ذلك يجب أن يكون الشاهد وقت الأداء ذكراً مسلماً بالغاً، حراً، عدلاً، مختاراً، وأن يصفا السرقة والحرز والجنس والنصاب، وقدره ليزول الخلاف.

---

(١) «الموسوعة الفقهية» - الجزء الرابع والعشرون «السرقة» (ص: ٢٩٣).

(٢) سورة المائدة الآية: (٣٨).

(٣) أول سارق من الرجال قُطع في الإسلام: اختيار بن عدي بن نوفل (تفسير القرطبي ٦/١٦٠) ومن النساء: قطع يد المرأة المخزومية التي شفع فيها أسامة بن زيد فأغضب النبي - صلى الله عليه وسلم - شفاعته (البخاري ومسلم).

(٤) متفق عليه رواه البخاري في كتاب «الحدود» باب (السارق حين يسرق) حديث رقم ٦٧٨٤.

الشروط الموجبة للقطع

يشترط لقطع يد السارق ما يلي:

١ - أن يكون السارق مكلفاً، أي بالغاً عاقلاً، وأن يقصد فعل السرقة، وذلك أن يعلم بتحريم السرقة، وأنه يأخذ مالاً مملوكاً لغيره دون علم مالكه وإرادته، وأن تنصرف نيته إلى تملكه.

٢ - ثبوت حالة السرقة وذلك بأن يكون أخذ المال على وجه الخفية والاستتار، وأن يخرجه من حرزه (١) كالدار والدكان، والحرز يختلف باختلاف الأموال والبلدان والحكام، ومرجع الحرز العرف، ومثاله مما تعورف عليه بأن يكون حرز الذهب والفضة والجواهر في الصناديق تحت الأغلال والأقفال الثقيلة، وحرز الثياب وما خف من المتاع في الدكاكين والبيوت المقفلة في العمران (٢) وحرز الماشية في الحظائر، فكسر زجاج النزل أو السيارة لسرقة ما فيها يعد تعدياً على الحرز.

٣ - أن يطالب مالك المال الحاكم أو النائب عنه بماله، لأنه من المحتمل أن يكون قد أباحه له أو أذن له في دخول حرزه، فاعتبرت المطالبة لتزول هذه الشبهة مع ضرورة العلم بأن الشكوى إذا رفعت إلى الحاكم لم يسقط القطع إذا ثبتت السرقة وإن تنازل صاحب المال عن ماله أو تبرع به، لما رواه الزهري عن صفوان عن أبيه أنه كان نائماً في المسجد فتوسد رداءه (٣) فأخذه السارق من تحت رأسه فجاء بسارقه إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فأمر به النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يقطع، فقال صفوان: يا رسول الله لم أرد هذا، ردائي عليه صدقة، فقال - عليه الصلاة والسلام - «فهلا قبل أن تأتي به» (٤).

٤ - أن يكون المال المسروق لغير الوالدين أو الزوجين، ودون شبهة في ملكه، فلا قطع بين الوالد وولده لحديث - صلى الله عليه وسلم - «أنت ومالك لأبيك» (٥). فالعلاقة بين الأب وابنه وبالعكس تعد من الشبهات التي تدرأ لها الحدود لحديث - صلى الله عليه وسلم - «ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم فإن كان له مخرج فخلوا سبيله فإن الإمام أن يخطئ في العفو خير

---

(١) الحرز عند الفقهاء: الموضع الحصين الذي يحفظ به المال عادة بحيث لا يعد صاحب مضيعاً له بوضعه وقد ذهب جمهور الفقهاء إلى أن حد السرقة لا يقام إلا إذا أخذ السارق النصاب من حرزه لأن المال غير المحرز ضائع بتقصير صاحبه (فتح القدير ٥/٣٨٠، ٥) كشاف القناع ٦/١١٠.

(٢) كتاب «العدة شرح العمدة في فقه إمام السنة» أحمد بن حنبل الشيباني - باب (حد السرقة) ص (٥٥١).

(٣) وهذا يعد حرزاً في العرف.

(٤) رواه الإمام أحمد في «مسند المكيين» - حديث ١٤٧٦٣.

(٥) رواه ابن ماجه في كتاب «التجارات» - حديث ٢٢٨٧.

من أن يخطئ في العقوبة» (١).

وعليه يجب أن تنتفي كل شبهة تحول دون إقامة الحد كسرقة شخص من مال له في شركة أو سرقة أحد الزوجين الآخر، لأن كليهما يرث الآخر بغير حجب، ولا يعني ذلك أن الإسلام يبيح الإنسان أن يتطاول على مال والديه أو ابنه أو زوجه دون وجه حق، فالإسلام نهى عن كل هذه التطاولات لأن فيها العقوق والجحود وخيانة الأمانة وقطعاً للعلاقات وضياعاً للثقة والأمن في المجتمع.

٥ - أن يبلغ المال المسروق نصاباً، وقد ذهب جمهور العلماء إلى عدم إقامة الحد إلا إذا بلغ المال المسروق نصاباً، والرأي الغالب أن النصاب الذي يجب القطع بسرقته ربع دينار من الذهب أو ما يعادل ذلك، وهو ثلاثة دراهم من الفضة (٢).

وذلك لما روي عن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال «تقطع يد السارق في ربع دينار» (٣).

٦ - ألا تكون هناك ضرورة أو حاجة للسارق فالاضطرار يدرأ الحد، والضرورة تبيح للآدمي أن يتناول من مال الغير بقدر الحاجة ليدفع الهلاك عن نفسه، فمن سرق ليرد جوعاً أو عطشاً مهلكاً فلا عقاب عليه، لقوله تعالى:

﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ (٤).

وقد روي عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه لم يقطع غلمان حاطب بن أبي بلتعة حين نحروا ناقة رجل من مزينة بل غرّمهم مثلي قيمتها، وقال: أشبع غلمانك فإن عادوا لأقطعنك أنت!!

فإذا فقد شرط من هذه الشروط السابقة الموجبة للقطع يسقط حد القطع، وتثبت عقوبة التعزير (٥) التي يقررها الحاكم أو من ينوب عنه.

---

(١) رواه الترمذي في كتاب «الحدود» باب (ما جاء في درء الحدود) حديث ١٣٤٤.

(٢) تختلف قيمة الدينار - الذهب والدرهم الفضة باختلاف أسعار الذهب والفضة ارتفاعاً وانخفاضاً والدينار قديماً من الذهب وكان وزنه في الدولة الإسلامية يعادل ٤,٢٥٠ جراماً ودرهم الفضة كان وزنه في الدولة الإسلامية يعادل ٢,٩٧٥ جراماً.

(٣) رواه البخاري في كتاب «الحدود» باب (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) (٦/٢٤٩٢) والإمام مسلم في كتاب «الحدود» حديث ٣١٨٩.

(٤) سورة البقرة الآية (١٧٣).

(٥) التعزير: عقوبة تأديبية يفرضها الحاكم على فرد ارتكب معصية لم تعين الشارع لها عقوبة.

كيفية إقامة الحد

يتولى إقامة الحد بعد ثبوته الحاكم أو من ينوب عنه. ولا يجوز لأحاد الناس إقامة الحد. وهذا باتفاق الفقهاء. ويقام حد السرقة - وهو قطع يد السارق - بعد ثبوت الجريمة عليه ووصولها إلى الحاكم أو من ينوب عنه. لقوله تعالى:

﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ (١).

والمتفق عليه عند الفقهاء وجوب قطع اليمنى إذا ثبتت السرقة الأولى. ويكون القطع من الرُّسغ (الكوع) وهو مفصل ما بين الساعد والكف (٢)، لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - قطع يد السارق من الكوع (٣)، ولقول أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - إذا سرق السارق فاقطعوا يمينه من الكوع (٤). ولا يجوز العفو عن السارق بإسقاط الحد من أحد لا من المجني عليه ولا من الحاكم. كما لا يجوز أن يستبدل بها عقوبة أخرى أخف منها أو يؤخر تنفيذها أو تعطيلها.

فإذا سرق ثانية تقطع رجله اليسرى ويكون القطع من مفصل القدم (٥). ثم إن الفقهاء اختلفوا فيما إذا سرق ثالثا بعد قطع يده ورجله فقال أبو حنيفة: يُعزَّر ويحبس. وقال الشافعي وغيره: تقطع يده اليسرى، ثم إن عاد إلى السرقة رابعاً تقطع رجله اليمنى. ثم إذا سرق بعد ذلك يعزر ويحبس (٦) ويُفضل أن يُقام الحد على مرأى من الناس ليكون في ذلك عبرة لغيره ممن تسول نفسه له الاعتداء على أموال الناس.

حسم يد السارق إذا قطعت:

لا خلاف بين الفقهاء على حسم موضع القطع. وذلك باستعمال ما يسد العروق. ويوقف نزف الدم، لقوله - صلى الله عليه وسلم - فيمن ثبت عليه السرقة «اذهبوا به فاقطعوه» (٧). ثم حسمه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالنار.

تصور خاطئ وعلاج ناقع:

يتصور بعض الحاقدين على الإسلام أنه أو طبق حد السرقة الآن. لعشنا في مجتمع مليء بالأيدي المقطوعة العاطلة. وهذا وهم باطل وتصور خاطئ

---

(١) سورة المائدة الآية: (٣٨).

(٢) المهذب ٢/٣٠١.

(٣) حديث «قطع يد السارق من الكوع» أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٨/٢٧١) - ط. دائرة المعارف العثمانية من حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: «قطع النبي يد سارق من المفصل».

(٤) الوسيط ٩/١٣٣.

(٥) كشاف القناع ٦/١١٨.

(٦) فقه السنة سيد سابق ٤/٤٠٤ الموسوعة الفقهية ج٢٤ ص ٣٤٠.

(٧) أخرجه الدارقطني في كتاب «الحدود والديات» (٣/١٠٢١) من حديث أبي هريرة - والحاكم - والبيهقي.

وذلك لأن علاج الإسلام السرقة على صرامته أمْن المجتمعات، وأراح الجهات التي نفذته. فإذا أقيم هذا الحد أمام جموع الشعب، زحف الرعب على قلوب الشاهدين فيقتل فكرة السرقة عند أصحاب النفوس الضعيفة، فيسلم المجتمع من هذا المرض الخبيث وأدائه اللعين.

فعلى هؤلاء الذين يزعمون أن تنفيذ هذه الحدود قسوة أن يذكروا خطر هذه الجريمة على الأفراد والجماعات، وأن يدركوا أن اليد التي سرقت، يد لم تستعمل فيما خلقت له، فاستحقت بذلك أن تقطع، وأن يحرم صاحبها نفعها، وأن يأمن المجتمع شرها.

وأن يدركوا أيضاً أن عقوبة القطع ليست قسوة ابتدعها الإسلام فقد عرفت الشرائع السابقة القطع، وكان عدم المساواة بين الناس في تطبيقها سبباً من أسباب هلاكهم. أخبرنا بذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في رده على أسامة بن زيد حينما شفع في إسقاط الحد عن امرأة مخزومية (١) قد سرقت متاعاً، فقال له - عليه الصلاة والسلام - كما في رواية مسلم -: **«إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإني والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»** (٢).

وعليهم أيضاً أن يعرفوا أن الإسلام لا يقطع يداً أخذت من المال ما يدفع خطر الهلاك عن صاحبها، كما لو وقعت مجاعة عاشت بها الأمة في محنة، ولم يكن مفرٌّ من أن تمتد بعض الأيادي لتأخذ من مال الغير ما يدفع خطر الموت، وهكذا فعل عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - عام الرمادة.

كما عليهم أن يدركوا أيضاً أن عدم تطبيق هذا الحد في الظروف العادية التي تنعدم فيها مثل هذه الضرورة يؤدي إلى إشاعة الفساد بين الناس ويبعث القلق في النفوس وتُفقد المحكومين الثقة بالحاكمين ويعم الشر والخطر على المجتمع كله.

فما أحوجنا في أيامنا هذه إلى تطبيق هذه التشريعات العظيمة الجليلة التي بها تصان الحقوق وتحفظ الحياة!

---

(١) المرأة هي (فاطمة بنت سفيان بن عبد الأسد) من بني مخزوم.

(٢) رواه مسلم في كتاب «الحدود» باب «النهي عن الشفاعة في الحدود» ح١٠٤٦.

التقـــــويم

أجب عن الأسئلة التالية:

س ١:

١ - (الإسلام يقر الكسب الحلال ويحارب كل صور الكسب غير المشروع) اشرح هذه العبارة باختصار، موضحاً أهمية المال في حياة الفرد والجماعة.

٢ - عرّف السرقة لغة واصطلاحاً. واذكر دليل تحريمها.

س ٢: أكمل الفراغ التالي:

١ - يثبت حد السرقة بالشروط التالية:

أ- .....

ب- .....

٢ - إذا ثبتت السرقة على الجاني وجب ..... وكذلك ..... المال لصاحبه.

س ٣: اختر التكملة الصحيحة فيما يلي:

أ - النصاب الذي يقطع فيه الحد من المال المسروق هو:

- ربع دينار من الذهب.

- ربع دينار كويتي.

- ثلاثة غرامات من الفضة.

س ٤: ما الشروط الواجب توافرها لإقامة حد السرقة؟ وما حكم الإسلام فيما أو اختل شرط من هذه الشروط؟

س ٥: بم ترد على من يزعمون أن تطبيق حد السرقة تشويه لصورة المجتمع؟

س ٦: أ - ضع علامة (√) مقابل العبارة الصحيحة وعلامة (×) مقابل العبارة غير الصحيحة فيما يلي:

١ - أخذ المال عن طريق عمليات (الأجهزة المالية - الإنترنت) لا يعد سرقة. ( )

٢ - للمسلم أن يجمع المال من أي طريق حتى لا يعيش عالة على غيره. ( )

٣ - تقطع يد السارق اليمنى لأول مرة من الكوع. ( )

٤ - إقامة حد السرقة لا يشجع على انتشارها بين الناس. ( )

ب - علل ما يلي:

١ - يفضل أن يقام حد السرقة على مرأى من الناس.

٢ - لا قطع في السرقة بين الولد ووالده.

٣ - لا قطع في سرقة أحد الزوجين للآخر.

ثانياً: الرشوة

التمهيد:

الرشوة والمحاباة والمحسوبية (١) من الامراض الاجتماعية التي إذا فشت في الأمة، وانتشر وباؤها في مرافقها المختلفة واتخذت سبيلها إلى كل جانب، وإلى كل طائفة، وإلى كل منصب من مناصبها فإنها على مر الزمن تحط من قدر الأمة وتوقف نموها الطبيعي، وتعوق سيرها نحو الرقي والأمن والرخاء وتزعزع الشعور بالثقة بين أفراد الأمة، وتزحزح مبادئ الشرف والوفاء والصدق عن أماكنها، وحينئذ ينهار كيان الأمة الاجتماعي، وتتمزق أواصر وحدتها، وتنتشر فيها الخيانة والظلم، وتحيا حياة دون حياة الحيوان لا كرامة ولا عزة ولا أمن ولا رخاء.

اذا فمن الواجب على المسلم أن يتجنبها جميعاً لما فيها من أخطار جاية على الدين والأمة كما هو واضح وظاهر.

تعريف الرشوة:

الرشوة هي:

ما يدفعه المرء من مال ليصل به إلى ما لا يستحقه أو ليمنع به حقاً لغيره، فهذا المال المدفوع رشوة والمعطي الرشوة يسمى: «الراشي»، والآخذ لها يسمى «المرتشي»، والذي يمشي بينهما لإتمام الرشوة يسمى: «الرائش».

والرشوة ظلم، ومرض من الامراض الاجتماعية الخطيرة وانتشارها في مجتمع ما يعني سحقاً لأخلاقياته تحت أقدام الراشي، والمرتشي، والمتعامل على حساب الآخرين.

حكمها في الشريعة الإسلامية

حرمت الشريعة الإسلامية تقديم الرشوة وقبولها والتوسط بين الراشي والمرتشي، والدليل على هذا التحريم

من الكتاب

قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢)

---

(١) المحاباة والمحسوبية: هي أن تحامل إنساناً لكفاءته أو قرابته أو خوفك منه أو لغير ذلك فتعطيه ما لا يستحق من مال الدولة أو من مال غيرك.

(٢) سورة البقرة الآية: (١٨٨).

ومن السنة النبوية:

ما رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجة عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: «لعن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الراشي والمرتشي» (١) وفي رواية الإمام أحمد زاد «والرائش» (٢).

ومعنى اللعن في الحديث الشريف:

هو الإبعاد والطرد من رحمة الله تعالى، ولا يستحق ذلك إلا مرتكب الكبيرة، وهذا دليل على أن الرشوة من الكبائر، ولم لا تكون منها؟ وهي إفساد للضمائر، وأخذ لحقوق الناس بغير الحق، وإضرار بعباد الله تعالى، وإبعاد للعباد عن القيم وحرب على العدل.

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال: «الرشوة في الحكم كفر، وهو بين الناس سحت» (٣).

ومن الإجماع: أجمع العلماء على أن الرشوة حرام سواء كانت للقاضي أو للعامل على الصدقة أو لغيرهما (٤).

الفرق بين الرشوة والهدية

الإسلام حرم الرشوة في أي صورة كانت وبأي اسم سميت ومع أي فرد كان، فتسميتها باسم «الهدية» لا يخرجها من دائرة الحرام إلى الحلال.

فإهداء من لم يكن يهدي إليه قبل ولايته تعتبر رشوة وذلك لقوله - صلى الله عليه وسلم: «هدايا العمال غلول» (٥) (٦) وذلك لأن هذه الهدية يقصد صاحبها بها في الغالب استمالة قلب الحاكم أو القاضي أو المسؤول ليحكم له بغير حق، فهي بذلك حرام على الآخذ والمعطي، لأنها الرشوة بعينها، ولقد وقف الرسول - صلى الله عليه وسلم - من هدايا الأمراء والحكام موقفاً حازماً لا لبس فيه ولا غموض حيث اعتبر - عليه الصلاة والسلام - ما يهدى للأمراء والرؤساء وكل ذي شأن يتصل بحكم الناس ورعايتهم نوعاً من الرشوة الحرام ما دام لم يهد إليهم إلا بعد تسلمهم مناصبهم.

فعن أبي حميد الساعدي - رضي الله عنه - قال: استعمل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رجلاً من الأزد (٧) يقال له ابن اللتبية على الصدقة (٨) فلما قدم قال: هذا مالكم وهذا هدية.

---

(١) رواه أبو داود في كتاب «الأقضية» - حديث ٣١٠٩.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/٢٧٩).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩/٢٥٧ - ٢٤٨) موقوفاً على ابن مسعود وصححه الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/١٩٩ - ٢٠٠)، والسحت: يعني ما خبث ورفُّ من المكاسب «المعجم الوجيز».

(٤) «سبل السلام» - الصنعاني ج٤ - ص: ١٢٤.

(٥) الغلول: هو الأخذ من الغنيمة قبل قسمتها.

(٦) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/٤٢٤) والبزار في «كشف الأستار» (٢/٢٣٦ - ٢٣٧).

(٧) من قبيلة.

(٨) أي استعمله على جمع الزكاة من الناس.

فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أما بعد فإني أستعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله فيأتي فيقول: هذا ما لكم وهذا هدية أهديت لي!! أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته؟ والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا لقي الله يحمله يوم القيامة، فلأعرفن أحداً منكم لقي الله يحمل بعيراً له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر: ثم رفع يديه حتى رئي بياض إبطه، ثم قال: اللهم هل بلغت بصر عيني وسمع أذني» (١).

والصلة بين الرشوة والهدية، أن كلاً منهما إيصال للنفع إلى الغير، وإن كان عدم العوض ظاهراً في الهدية، إلا أنه في الرشوة ينتظر النفع وهو عوض (٢) ولهذا يجب على كل مسلم تقي واع أن يكون أشد حذراً في تحري البعد عن أي شبهة قد تقوده إلى الرشوة ومهالكها

ترفع الخلفاء الراشدين عن الشبهات:

كان الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - مضرب الأمثال في العدل والورع وتقوى الله تعالى، وذلك في تحريهم الحلال وبعدهم عن الحرام وعن كل ما قد يؤدي إليه من أمور مشتبهة، والجميل أن نذكر في هذا الموضع ما أخرجه سعيد بن منصور وابن أبي شيبة والبيهقي عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: اشتريت إبلاً وارتجهتها إلى الحمى (٣) فلما سمنت قدمت بها (٤)، فدخل عمر السوق فرأى إبلاً سماناً فقال: لمن هذه الإبل؟ فقيل: لعبد الله بن عمر، فجعل يقول: يا عبد الله بن عمر: بخ بخ (٥) ابن أمير المؤمنين: فجئت أسعى فقلت: مالك يا أمير، قال: ما هذه الإبل؟ قلت: إبل اشتريتها وبعثت بها إلى الحمى أبتغي ما يبتغي المسلمون، فقال: ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين (٦) يا عبد الله بن عمر: اعد على رأس مالك، واجعل الفضل في بيت مال المسلمين (٧).

إن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في هذه القصة رأى أن الناس حابوا ابنه فمنحوا إبله بعض الامتيازات، ولذلك أعطاه رأس ماله وما زاد أدخله بيت مال المسلمين ليوزع على الجميع، وذلك من

---

(١) متفق عليه رواه البخاري في كتاب الحيل / باب الاحتيال العامل ليهدى له / حديث رقم ٦٦٦٤.

(٢) الموسوعة الفقهية - ج ٢٢١/٢٢.

(٣) أي أرسلتها إلى موضع الرعي العام لكل المسلمين.

(٤) أي قدم بها السوق للبيع.

(٥) كلمة استحسان ولكنها هنا استنكار لما استحسنه غيره.

(٦) أي يقول الناس ذلك.

(٧) حياة الصحابة - ج ٢ (ص ٤٥٢).

شدة حساسية عمر – رضي الله عنه – وخوفه من الله –تعالى– وورعه، وإلا فإنه كان يمكنه أن يترك له جزءاً من الفضاء والزيادة بقدر ما زادت إبل الناس فإن وجدها تفضل شيئاً رده إلى بيت المال، ولكن عمر – رضي الله عنه – كان مضرب الأمثال في العدل والورع وتقوى الله.

وإنك لو قرأت سيرة الخلفاء الراشدين وغيرهم لوجدت في ذلك الشيء الكثير، ولأدركت إلى أي حد ضل المسلمون وذلوا وضاعوا حين أهملوا مبادئ دينهم!!

أثر الرشوة في إفساد الضمائر والذمم:

لا غرابة في تحريم الإسلام الرشوة والتحذير منها ولعن كل من اشترك فيها لأن شيوعها في المجتمع شيوع للفساد والظلم لما يترتب عليها من آثار سيئة تضر بالمجتمع ضرراً شديداً ومن هذه الآثار:

١ – إفساد القلوب، وإيجاد الشحناء.

٢ – الزيادة في الظلم ورفع رأس الجور والحيف.

٣ – إهمال بعض ضعاف النفوس العمل واعتمادهم على الرشوة الوصول إلى كل ما يرجونه، وتحقيق كل ما يتطلعون إليه.

٤ – عدم تكافؤ الفرص وضياع حقوق الذين يجدّون ويجتهدون مما يؤدي إلى إحباطهم.

التقـــــويم

أجب عن الأسئلة التالية:

س ١: قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ ﴾ ارجع إلى كتاب أيسر التفاسير، واقرأ شرح الآية الكريمة، ثم انقل إلى كراستك ما فهمته، واقرأه على مسامعك وزملائك.

س ٢:

أ - عرّف الرشوة. ب - بيّن أركانها. جـ - اذكر حكمها في الإسلام.

س ٣: ضع علامة (√) مقابل العبارة الصحيحة وعلامة (×) مقابل العبارة غير الصحيحة فيما يلي:

- حرّم الإسلام الشراء على السوم، حتى لا يصاب بالغرور والصياح. ( )
- الرشوة أسلوب ذكي يقره الإسلام لكسب المال. ( )
- الرشوة تفسد حياة المجتمع، وتبطل مصالح الناس. ( )
- لعن الله الراشي والمرتشي، لأنهما شريكان في الجريمة. ( )
- أحل الإسلام كل ما فيه مصلحة للعباد، وحرم كل ما فيه الضرر عليهم. ( )

٤ - «المرتشي خائن للأمانة». ناقش هذه العبارة في ضوء دراستك للموضوع. مبيناً خطورة الرشوة وعقوبة المرتشي في الإسلام.

س ٥: حارب الإسلام الرشوة وتمثل ذلك في مواقف للرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - اذكر موقفاً يؤكد ذلك.

س ٦: بيّن حكم الإسلام فيما يلي:

- شخص يدفع رشوة لإنجاز عمل يريده أو لتأخير عمل خصم له.
- عامل يقبل هدية الراجعين والأصدقاء حتى يتمم لهم أعمالهم.
- متعلم يقدم هدية لزميله حتى يساعده في الامتحان.

س ٧: علل ما يلي:

- تحريم الرشوة في الإسلام.
- الإسلام يعتبر المرتشي شخصاً ملعوناً.

س ٨: بيّن الفرق بين الهدية والرشوة.

س ٩: تحدث عن العمولة والمسئولية، ثم بين العلاقة بينهما وبين الرشوة.

س ١٠ - أعد على رأس مالك واجعل الفضل في بيت مال المسلمين..

من قائل هذه العبارة؟ ولمن قيلت؟ وما القيم المستفادة من الموقف الذي ذكرت فيه؟

ثالثاً: الغش والكذب والاحتيال:

التمهيد:

الغش والكذب والاحتيال لأكل أموال الناس بالباطل من الأمراض الخطيرة والعادات السيئة التي تقضي على أي مجتمع من المجتمعات مهما بلغ من التطور والتقدم، ولذلك فإن الإسلام حرم هذه الأمور وحذر المسلمين منها ونهاهم عنها. إذا فمن الواجب على المسلم تجنبها والابتعاد عنها حتى يكون ملتزماً بما أمره الله به مبتعداً عما نهاه عنه.

تعريف الغش هو: أن يظهر البائع بضاعته على غير حقيقتها.

والغش داء خطير يفسد المعاملة بين الناس ويؤدي التشاحن والبغضاء لذلك فإن الإسلام حرمه على المسلمين، وأمرهم بالابتعاد عن كل صور الغش والخداع، ودعاهم إلى الالتزام بالأمانة والصدق في جميع أمورهم وأحوالهم.

ولعل أوضح ما يدل على ذلك من القرآن الكريم قوله عزّ وجلّ:

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ۝﴾ (١).

وقوله - عزّ وجلّ - عن خصال قوم شعيب الذميمة التي استحقوا بسببها العذاب:

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ۝ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ۝ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ۝﴾ (٢).

فهذه الآيات الكريمة تبين أن قوم شعيب كانوا ينقصون الكيل والميزان إذا أعطوا الناس، ويأخذون بالزائد، فحذرهم من هذه الأفاعيل، وبين لهم عذاب الله -سبحانه وتعالى- الذي سيحل بهم نتيجة أعمالهم وأكلهم أموال الناس بالباطل ومنع البركة عنهم حتى وإن تراكم لديهم المال.

ومما يدل من السنة النبوية على تحريم الغش والخداع وأكل أموال الناس بالباطل ما رواه أبو هريرة - رضي الله تعالى عنه - «أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مرّ على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً. فقال: ما هذا يا صاحب الطعام؟ قال: أصابته السماء يا رسول الله. قال: أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس، من غش فليس مني» (٣).

---

(١) سورة الرحمن آية (٧).

(٢) سورة هود الآيات: من (٨٤ - ٨٧).

(٣) رواه مسلم في كتاب «الإيمان» باب (من غشنا فليس منا) ح١٤٩.

ففي هذا الحديث الشريف يحذر النبي - صلى الله عليه وسلم - المسلمين من الغش والتحايل على الناس عن طريق عرض صورة لهذا الغش حين رأى - عليه الصلاة والسلام - رجلاً يبيع بُرّاً وقد أصابه المطر فرطّبه فزاد حجمه وقدره وقد أظهر الجيد منه وأخفى الرديء الذي لا يصلح، ليغري المشتري فيساله النبي - صلى الله عليه وسلم - ما هذا يا صاحب الطعام؟ فيقول الرجل باعتذار: «أصابته السماء». فرد النبي - صلى الله عليه وسلم - عبارة جامعة وهي «من غش فليس مني». أي أن الذي يغش ليس على سنتي ولا متأسياً بخلقي. ولا متبعاً مكارم الأخلاق التي بعثت لأتممها.

لذا فقد التزم السلف الصالح - رضوان الله عليهم - بالعدل والقسط في الميزان فهذا عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - كان يمر بالبائع فيقول له: «اتق الله، وأوف الكيل والوزن بالقسط، فإن المطففين يوم القيامة يوقفون للحساب الدقيق، حتى أن العرق ليلجمهم إلى أنصاف آذانهم».

وإذا كان الإسلام قد نهى عن الغش وحرّمه في الوزن والكيل والسلع المباعة فإنه حرّمه في المعاملات كافة، في إبداء الآراء الفاسدة لتضليل الآخرين، وفي العمل والوظائف، وفي أي أمر من الأمور؛ وذلك لأن غش الطعام في الإفساد أقل أثراً من الغش في هذه النواحي الممتد أثرها على الفرد والمجتمع.

صور من الغش: هناك حالات كثيرة يقع فيها الغش غير إخفاء الفاسد من الطعام وإنقاص الكيل والميزان منها:

١ - عرض السلع المنتهية الصلاحية مع تغيير في التاريخ.

٢ - وضع علامة السلع الجيدة على السلع الرديئة.

٣ - وضع إعلانات تجارية عن ميزات زائفة في السلعة لإغراء المستهلكين.

الكذب في ترويج السلعة

يستخدم التجار اليمين الكاذبة لترويج سلعهم وهذا من أشد أنواع المحرمات التي بسببها لا ينظر الله - عز وجل - إلى أصحابها ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم فعن عبد الرحمن بن أبي أوفى «أن رجلاً أقام سلعة في السوق فحلف بالله لقد أعطى به ما لم يعطه ليوقع فيها رجلاً من المسلمين فنزلت:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١)

وإلما نهى النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الحلف الكاذب لأنه من أنواع الغش.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (٧٧).

والحديث رواه البخاري في كتاب «البيوع» باب «ما يكره من الحلف بالبيع» ح ٢٠٨٨.

الاحتيال

الاحتيال هو استعمال الحيلة والخديعة لابتزاز أموال الغير.

والاحتيال يمارسه البائعون لترويج سلعهم وهو نوع من أنواع الغش، ومن صوره ما يلي:

- الغش: وهو أن يعطي الشخص السلعة أكثر من ثمنها وليس في نيته أن يثمنها، لكنه يفعل ذلك ليورط غيره فيها بسعر أعلى من سعرها الحقيقي، كما يحدث في بعض المزادات.

- تلقي السلع قبل الوصول إلى السوق: فيخفى فيها صاحب السلعة الذي لم يكن لديه علم بسعر السوق.

- تغيير مصدر أو ماركة السلعة: بقصد ترويجها وبيعها بسعر أكثر.

- عقوبة الاحتيال: يؤدب المحتال بالتعزير لعدم وجود عقوبة مقررة في الشرع.

- أثر الغش والاحتيال والكذب في المعاملات: حرم الإسلام الغش؛ لأنه يؤدي إلى انتقاص الحقوق، وزعزعة الثقة في المجتمع، وقطع الصلات، وإثارة الأحقاد والبغضاء بين الناس ويساعد على نشر الفساد في الأرض وضياع مصالح الأفراد.

الواجب علينا كمسلمين تجاه هذه المفاسد:

إن الواجب هو محاربة هذه الجرائم ومنع تفشيها سواء في مجال المعاملات المالية والتجارية أو في التعامل الاجتماعي في المجتمع، وحتى في مجال الدراسة؛ لأن الغش في الدراسة يعتبر من أنواع التدليس والاحتيال وأخذ الفرد ما ليس له، فيكون مكسبه حراماً هو وأولاده وكل من يعولهم، لذا فعليك - عزيزي المتعلم - أن تكون لديك الجرأة في مقاومة هذا السلوك المنحرف ومجابهة الغش والكذب والاحتيال بعزيمة الإنسان المؤمن الواثق بدينه وربه، ويجب أن تستحضر دائماً تقوى الله وتقرأ قوله تعالى:

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (١)

وأن يكون لديك وازع ديني يذكرك دائماً بأن الله تعالى ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ (٢)

وبالتالي تحاسب نفسك على الأعمال كلها وتستحضر في ذهنك دائماً قوله تعالى:

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝﴾ (٣).

ولتعلم أن الإنسان الذي يتقي الله - تعالى - في جميع أعماله ومعاملاته ويصون نفسه عن محارمه يجعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب.

---

(١) سورة الطلاق الآيتان: (٢ - ٣).

(٢) سورة غافر الآية (١٩).

(٣) سورة الزلزلة الآية: (٧).

التقـــــويم

أجب عن الأسئلة التالية:

س ١: للمال أهمية في بناء المجتمع وتطوره... وضح ذلك.

س ٢: كيف حافظ الإسلام على المال؟

س ٣: أسلك قوم سيدنا شعيب - عليه السلام - مسلكاً يتسم بالغش والفساد والاحتيال. اشرح ذلك.

س ٤: عرف ما يلي:

- الغش .....

- النجش .....

س ٥: عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مرَّ على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً، فقال: ما هذا يا صاحب الطعام؟ قال: أصابته السماء يا رسول الله، قال: أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس، من غش فليس مني".

أ - ما معنى الكلمات التالية:

- صبرة طعام

- أصابته السماء.

ب - ماذا طلب الرسول - صلى الله عليه وسلم - من البائع؟ ولمَ؟

ج - ما معنى قوله - صلى الله عليه وسلم - "من غشَّ فليس مني"؟

د - للغش صور عديدة، اذكر تخلصت قديماً وحديثاً، اكتب ثلاثة منها.

س ٦ - ما رأيك في المواقف التالية؟

- تاجر يبيع بعض المواد الغذائية بعد انتهاء مدة صلاحيتها.

- متعلم يأخذ الإجابة من صديقه في أثناء تقديم الامتحان.

- تاجر يعمل إعلانات تجارية لترويج بضاعته مع ذكر ميزات ليست بها.

- شخص يبيع المواد الغذائية بوزن أقل من وزنها الحقيقي.

الاعتداء على العرض وحرمته
(القذف - الزنى - اللواط)

التمهيد:

من مظاهر التكريم لهذا الإنسان ان يُنظم المُشرِّع طريقة تواجده وتناسله على الكيفية والنهج الذي يحقق مصلحة الفرد ومصلحة المجتمع، فشرع له الزواج، ونظّمه له تنظيماً دقيقاً، قال تعالى:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ (١)

واثبت حقوقاً لكل من الزوجين على الآخر، كما اثبت حقوقاً اخرى لثمرات هذا الزواج. وهم الاولاد كذلك اثبت حقوقاً للوالدين على اولادهما في الحياة وبعد الممات. واخيراً اثبت حقوقاً لكل القرابات بعضها على بعض، وبذلك أقام الإسلام الأسرة على أسس متينة وقوية ومترابطة، فواجهها التزامات وحقوق وواجبات شُرِّعت إبقاءً وتدعيماً لهذه الخلية المصغرة وهي الاسرة في بناء المجتمع الأكبر.

ولما كان من مقاصد الزواج المحافظة على الانساب، وعدم اختلاطها حتى تكون الاسرة متماسكة وقوية، وبالتالي يكون المجتمع المسلم قوياً ومتيناً ومتماسكاً شرّع الله - عزّ وجلّ - العقوبات الرادعة الزاجرة لمن تسول له نفسه الاعتداء على العرض.

وتتمثل هذه الاعتداءات فيما يلي:

أ - حد القذف.

ب - حد الزنى.

ج - حد اللواط.

فلنتعرف - أيها المتعلم - على هذه الحدود (العقوبات) التي شرعها - عزّ وجلّ - للمحافظة على أعراض المسلمين.

---

(١) سورة الروم الآية (٢١).

أولاً: القذف:

- القذف لغة: الرمي.

- اصطلاحاً: الرمي بالزنى.

حكمه: كبيرة من الكبائر التي توجب الحد على مرتكبها قال تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥ ﴾ (١)

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «اجتنبوا السبع الموبقات. قالوا: يا رسول الله وما هُنَّ؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات» (٢).

وقد نفَّذ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حد القذف فجلد من خاضوا في اتهام أم المؤمنين عائشة زوج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في حادثة الإفك.

عقوبة القاذف الدنيوية:

يعاقب من اتهم غيره بالزنى إذا كان حراً ولم يقم البيِّنة على صحة ما قال، عقوبة مادية هي الجلد ثمانين جلدة، وعقوبة أدبية وهي رد شهادته، وعدم قبولها والحكم بفسقه، لقوله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً ﴾ (٣).

وأما إن كان القاذف عبداً مملوكاً فيجلد نصف جلد الحر، أي: أربعين جلدة. ولا تقبل شهادة القاذف أبداً إلا إذا تاب وصلح حاله.

حكمة مشروعية حد القذف:

اقتضت حكمة التشريع الإسلامي أن يضع عقوبة لمتجاوزي الحد، المنتهكين لحرمة الغير وأعراضهم، حتى تظل الأعراض نقية، والأسر متماسكة بعيدة عن تهجم المتهورين، وتقوّل الفاسقين الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في المؤمنين.

---

(١) سورة النور الآيتان (٤ – ٥).

(٢) رواه البخاري في كتاب الوصايا (باب قول الله تعالى: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً﴾ (النساء: ١٠)، حديث ٢٥٦٠.

(٣) سورة النور الآية (٤).

ثانياً: حد الزنى:

- تعريف الزنى: هو وطء الرجل المرأة في قبلها من غير نكاح، وهو من أكبر الكبائر بعد القتل. قال الإمام أحمد: لا أعلم بعد القتل ذنباً أعظم من الزنى (١).

الدليل على حرمته من القرآن الكريم قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ (٢)

ومن السنة ما رواه البخاري عن عبد الله قال قلت: يا رسول الله، أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك. قلت: ثم أي: قال: أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك. قال: ثم أي؟ قال: أن تزاني حليلة جارك».

عقوبة الزنى:

فرق الإسلام في عقوبة الزنى بين حالتين روعيت فيهما حالة الإنسان وهي:

الحالة الأولى: حال الزاني المحصن (وهو المتزوج)

فإن الإسلام قد شرع عقوبته بالرجم. والرجم يكون بحفر حفرة بطول الزاني من رجليه إلى سرته ثم يوضع فيها ويرجم بالحصى إلى أن يموت. والدليل على مشروعية هذه العقوبة ما رواه جابر بن عبد الله الأنصاري «أن رجلاً من أسلم أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فرجم، وكان قد أحصن» (٤). وعن عبادة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلاً البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة والثيب بالثيب جلد مائة والرجم» (٥).

الحالة الثانية: حالة الزاني غير المحصن، أي: البكر (غير المتزوج) فعقوبته تختلف عن المحصن بنص قول الله - عز وجل - في سورة النور:

﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٦)

---

(١) منار السبيل: ج٢: ص ٣٦٥ - الروض المربع: ج٣: ص ٢٠٩.

(٢) سورة الإسراء (الآية: ٣٢).

(٣) رواه البخاري في كتاب «الأدب» باب (قتل الولد خشية أن يأكل معه) ح ٢٠.

(٤) رواه البخاري في كتاب «الحدود» - حديث ٢١٩٩.

(٥) رواه مسلم في كتاب الحدود، باب (حد الزنى) - حديث ٢١٩٩.

(٦) سورة النور الآية (٢).

وبحديث عبادة مرفوعاً أن رسول - صلى الله عليه وسلم - قال: «البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة» (١).

إذا الزاني غير المتزوج حكمه الجلد مائة جلدة، وتغريبه عن بلده لمدة عام كامل، وهذا التغريب في الرجل دون المرأة لكي لا يقع في التغريب مفسدة. وأما إن زنى الرقيق فيجلد خمسين جلدة بكراً أو ثيباً لقوله تعالى:

﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ (٢) ولا يغرب الرقيق لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يأمر بتغريب الأمة إذا زنت.

شروط وجوب الحد

١ - أن يثبت الزنى على المزني عليها وثبوت الزنى بأحد أمرين:

أ - شهادة أربعة رجال عدول يصفون الزنى لقوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ (٣).

ب - الإقرار والاعتراف على نفسه أربع مرات أنه زنى لحديث ماعز أنه اعترف الرسول - صلى الله عليه وسلم - فتثبت النبي - صلى الله عليه وسلم - من قوله فأمر برجمه.

أما بالنسبة إلى المرأة فإن اعترفت بالزنى وتبين حملها دل ذلك على ثبوت الزنى فينظر لها، هل هي ثيب أم بكر؟ ثم ينفذ فيها الحكم بحسب الحال.

تنفيذ الرسول - صلى الله عليه وسلم - حد الرجم:

وقعت جريمة الزنى في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأقام الحد على مرتكبها ولعل أبرز قصة في هذا الصدد قصة ماعز والغامدية ورجم الرسول - صلى الله عليه وسلم - كلاً منهما. فإليك عزيزي المتعلم هذه القصة: عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: جاء ماعز بن مالك إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله طهرني، فقال: ويحك (٤) ارجع فاستغفر الله، وتب إليه. قال: فرجع غير بعيد. ثم جاء فقال: يا رسول الله طهرني. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه. قال فرجع غير بعيد. ثم جاء فقال: يا رسول الله طهرني. فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - مثل ذلك. حتى إذا كانت الرابعة

---

(١) رواه مسلم في كتاب «الحدود» باب (حد الزنى) حديث رقم ٣١٩٩.

(٢) سورة النساء الآية (٢٥).

(٣) سورة النور الآية (٤).

(٤) ويحك: «ويح» كلمة ترحم وتوجع تقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها.

قال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «فيم اطهرك؟ فقال: من الزنى. فسأل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبه جنون، فأخبر أنه ليس بمجنون. فقال: أشرب خمراً؟ فقام رجل فاستنكهه (١) فلم يجد منه ريح خمر. قال: فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: أزنيت؟ فقال: نعم. فأمر به فرجم. فكان الناس فيه فرقتين: قائل يقول: لقد هلك، لقد احاطت به خطيئته. وقائل يقول: ما توبة أفضل من توبة ماعز: إنه جاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فوضع يده على يده، ثم قال: اقتلني بالحجارة. قال: فلبثوا بذلك يومين أو ثلاثة. ثم جاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهم جلوس فسلم، ثم جلس فقال: استغفروا لماعز بن مالك. قال: فقالوا: غفر الله لماعز بن مالك. قال: فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم.

قال: ثم جاءته امرأة من غامد (٢) من الأزد، فقالت: يا رسول الله طهرني! فقال: ويحك! ارجعي فاستغفري الله وتوبي إليه. فقالت: أراك تريد أن تردني كما رددت ماعز بن مالك. قال: وما ذاك؟ قالت: إنها حبلى من الزنى (٣). فقال: أنت؟ قالت: نعم. فقال لها: حتى تضعي ما في بطنك. قال: فكفلها رجل من الأنصار حتى وضعت (٤). قال فأتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: قد وضعت الغامدية فقال: إذا لا نرجمها ونَدَع ولدها صغيراً ليس له من يرضعه. فقام رجل من الأنصار فقال: إلي رضاعه يا نبي الله قال: فرجمها.

وفي رواية: ثم صلى عليها. فقال عمر: تصلي عليها يا نبي الله وقد زنت؟ فقال: لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم. وهل وجدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى» (٥).

الحكمة التي من أجلها شرعت عقوبة الزنى:

لشرعية عقوبة الزنى بنوعيها حكم من أهمها ما يأتي:

١ - أن الزنى مهانة ومذلة، ولذلك لا يرضاه لأهله. وإذا كان لا يرضاه لأهله فكيف يرضاه لغيره.

٢ - قد يترتب عليه ضياع النفس لم تجن جناية، فابن الزنى ضائع في المجتمع لا أب يعطف عليه أو يربيه، ولا أسرة تحنو عليه وتعتز به، وهذا الموقف يحوله إلى إنسان يبغض الناس ويكره المجتمع.

٣ - وقد ينتسب إنسان إلى غير أبيه فيؤدي ذلك إلى أخذه حقوق غيره في الميراث، بل قد يمنع عن

---

(١) فاستنكهه: أي شم رائحة فمه، طلب نكهته بشم فمه والنكهة رائحة الفم.

(٢) غامد: بطن من قبيلة جهينة.

(٣) إنها حبلى من الزنى: أرادت أنها حامل من الزنى لعلمت من نفسها بالحبل.

(٤) فكفلها رجل من الأنصار: أي قام بمؤنتها ومصالحها.

(٥) رواه مسلم في كتاب الحدود: باب (من اعترف على نفسه بالزنى) - حديث ٣٢٠٧.

المستحقين حقوقهم، ويحول بينهم وبين ما قرره لهم الشرع.

والمجتمع الذي ينتشر فيه الزنى مجتمع مكتوب عليه الانهيار، ومحتم عليه العذاب، وموعود بالفقر، فضلاً عن الاختلاط في الانساب، وربما انهيار الأسر. فإذا لم توضع عقوبة رادعة لمن يندفع وراء غرائزه ويرضيها بغير الطريق المشروع، فإنه سينتشر هذا الفساد ويعم المجتمع شرٌ مستطيرٌ يلحق أعراضهم وأنسابهم، بل حياتهم واستقرارهم (١). ولذلك حذّر الرسول - صلى الله عليه وسلم - من ذلك. فعن عبد الله بن عمر قال: أقبل علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: «يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا. ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان عليهم. ولم يمنعوا زكاة أموالهم، إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا. ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله، ويتخيروا مما أنزل الله، إلا جعل الله بأسهم بينهم» (٢).

ثالثاً: اللواط (عمل قوم لوط)

إن جريمة اللواط من أكبر الجرائم، وهي من الفواحش المفسدة للخلق، والفطرة، والدين، بل والحياة نفسها، وقد عاقب الله عليها بأقصى عقوبة، فخسف الأرض بقوم لوط، وأمطر عليهم حجارة من سجيل جزاء فعلتهم القذرة، وجعل فيهم قرآناً يتلى ليكون درساً وعبرة لمن يعتبر.

قال الله سبحانه وتعالى:

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨٠ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ۝٨١ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ۝٨٢ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۝٨٣ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ۝٨٤﴾ (٣)

ولوط - عليه السلام - نبي بعثه الله - تعالى - إلى أهل سدوم، ودعا قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ونهاهم عن فعل أعظم الفواحش والتي لم يسبقهم بفعلها أحد من العالمين، وهي إتيان الرجل الرجل شهوة من دون النساء، وهذا مخالف للفطرة التي فطر الله - عز وجل - الإنسان عليها، وهي ميل الرجل المرأة.

---

(١) دور تطبيق الحدود في المجتمع - بحوث مؤتمر الفقه الإسلامي.

(٢) رواه ابن ماجه في كتاب الفتن، باب (العقوبات) ح ٤٠١٩.

(٣) سورة الأعراف الآيات من (٨٠ - ٨٤).

ولم يزل لوط - عليه السلام - ينصح قومه وينكر عليهم فظتهم إنكاره موبخاً هؤلاء الذين هبطت أخلاقهم إلى درك لم يهبط إليه أحد غيرهم، وبعد هذا الوعظ والإرشاد إلى سبيل النجاة والخروج من هذه الورطة التي وقع فيها هؤلاء القوم المسرفون ما كان ردهم ﴿ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم ﴾ أي لوطاً والمؤمنين معه ﴿ مِّن قَرْيَتِكُمْ ﴾ - أي مدينتكم سدوم (١)، معللين الأمر بإخراجهم من البلاء بأنهم أناس يتطهرون من الخبث الذي هم منغمسون فيه.

وقد جاءت الآيات من سورة هود تبين أن الله - تعالى - أرسل ملائكته بصورة شبان حسان ابتلاءً واختباراً من الله تعالى لقوم لوط وإقامة الحجة عليهم.

عقاب قوم لوط:

أمر الله -تعالى- جبريل - عليه السلام - أن يقتلع بلاد قوم لوط بطرف جناحه من قرارها وهي أربع مدن وقيل سبع مدن بمن فيها من البشر، وما معهم من الحيوانات وما يتبع تلك المدن من الأراضي والأماكن والمعتملات. فرفع الجميع حتى بلغ بهن عنان السماء حتى سمعت الملائكة أصوات ديكتهم ونباح كلابهم. ثم قلبها عليهم، فجعل عاليها سافلها، وبذلك يكون الله - عز وجل - قد جمع على قوم لوط أنواعاً من العقوبات منها الإهلاك، وقلب ديارهم عليهم، وخسف بهم، ورجمهم بالحجارة من السماء، وطمس أعينهم وعذبهم وجعل عذابهم مستمراً فنكل بهم نكالاً لم يناكله بادة سواهم، وذلك لعظم مفسدة هذه الجريمة التي تكاد الأرض تميد من جوانبها إذا عملت عليها.

عقوبة من فعل عمل قوم لوط عليه السلام

دلّت السنة النبوية الصحيحة الصريحة وأجمع الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم - أجمعين على قتل من فعل عمل قوم لوط. وقد ثبت عن خالد بن الوليد - رضي الله عنه - أنه وجد في بعض نواحي العرب رجلاً ينكح كما تنكح المرأة، فكتب فيه إلى أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - فاستشار أبو بكر الصديق الصحابة - رضي الله عنهم - فكان علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أشدهم قولاً فيه، فقال: ما فعل هذا إلا أمة من الأمم واحدة، وقد علمتم ما فعل الله بها، أرى أن يحرق بالنار، فكتب أبو بكر إلى خالد فحرقه.

وقال عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما: ينظر أعلى ما في القرية فيرمى اللوطي منها منكساً ثم يتبع بالحجارة.

وروى ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: **«من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به»** (٢).

---

(١) قصص الأنبياء: ص ٢٤٩.

(٢) رواه ابن ماجه في كتاب الحدود باب (من عمل عمل قوم لوط) ج٢ ص٨٥٦.

التقـــــويم

أجب عن الأسئلة التالية:

س ١: الزواج مقاصد حرص الإسلام على المحافظة عليها. فما هي؟

س ٢: أكمل الفراغ التالي:

أ - القذف في الاصطلاح هو .....

ب - يعاقب من اتهم غيره بالزنى بالجلد ..... جلدة. أما إن كان القاذف عبداً فحده كذا ويعاقب بالجلد .....

جلدة، ولا تقبل شهادة القاذف أبداً إلا إذا .....

س ٣:

أ - ما الحكمة من مشروعية حد القذف؟

ب - عرّف الزنى، واذكر دليل تحريمه من الكتاب والسنة.

جـ - اذكر عقوبة الزاني المحصن مع الدليل.

س ٤:

أ - تكلم عن عقوبة الزاني غير المحصن مع الاستدلال.

ب - ما شروط وجوب حد الزنى؟

جـ - استخرج خمس فوائد من قصتي ماعز والغامدية.

د - لتشريع حد الزنى حكمة عظيمة اذكرها.

س ٥:

أ - من أبشع الفواحش، بل أكبر الجرائم جريمة اللواط فيم عذب الله -تعالى- قوم لوط؟ وما عقوبة من عمل عملهم؟

ب - لجريمة اللواط آثار على الفرد والمجتمع نفسية وخلقية واجتماعية. وضّح هذه الآثار.

س ٦: صل بين ما جاء في المجموعة (أ) وما يناسبها من المجموعة (ب)

(أ)	(ب)
عقوبة من تعلل عمل قوم لوط	أربعـــون جلـــدة
عقوبة القـــاذف العبـــد	الـرجـم حتـى المـوت
عقوبة الزاني غير المحصن	جلـد مائة وتغـريب سنة
عقوبة الزاني المحصن	قتل الفاعل والمفعول به

الاعتداء على العقل وحرمته
(الخمر - المخدرات)

التمهيد:

لما كان العقل مناط التكاليف الشرعية ومركز التفكير في الإنسان وبه يميز بين النافع والضار والخير والشر، لذلك فقد أمر الله - سبحانه وتعالى - المسلم بالمحافظة على عقله، وحرم الاعتداء عليه بما يضره من تناول المسكرات أو المخدرات، وغير ذلك من أنواع الضرر المختلفة لأن الإنسان إذا ما أصيب بآفة في عقله أصبح عبئاً على المجتمع، ومصدر شر وأذى على الجماعة.

تعريف الخمر: الخمر هو كل ما أسكر من تلك السوائل المعروفة المعدة بطريق تخمر بعض الحبوب أو الفواكه (١). وتشمل جميع أنواع المخدرات والمسكرات والسموم وسميت خمراً لأنها تخمر العقل وتستره، أي تغطيه وتفسد إدراكه (٢).

الدليل على تحريمها: وردت أدلة على تحريم شرب الخمر في الكتاب والسنة. ففي القرآن الكريم قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝ ﴾ (٣).

وفي سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن عبد الله بن عمر أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: **«لعنت الخمر على عشرة أوجه: بعينها، وعاصرها، ومعتصرها، وبائعها، ومبتاعها، وحاملها، والمحمولة إليه، وآكل ثمنها، وشاربها، وساقيها»** (٤).

وروى مسلم بسنده أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال:

«كل مسكر خمر، وكل مسكر حرام» (٥).

---

(١) فقه السنة: ج ٢: ص ٣٧٦.

(٢) مختار الصحاح.

(٣) سورة المائدة الآيتان: (٩٠ - ٩١).

(٤) رواه ابن ماجه في كتاب «الأشربة» باب «لعنت الخمر على عشرة أوجه» ح ٣٣٧١.

(٥) رواه مسلم في كتاب «الأشربة» باب «بيان أن كل مسكر خمر وكل خمر حرام» حديث ٣٧٣٣.

عقوبة شارب الخمر:

كان حد شارب الخمر في عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأبي بكر - رضي الله عنه - وبداية عهد عمر بن الخطاب - رضي الله عنهم - أربعين جلدة.

فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - «ضرب في الخمر بالجريد والنعال، وجلد أبو بكر أربعين» (١). ثم استشار عمر - رضي الله عنه - الصحابة في حد شارب الخمر بعد تساهل الناس، فأشار الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه - بقوله: «اجعله كأخف الحدود ثمانين، فضرب عمر ثمانين، وكتب إلى الولاة في الأمصار بذلك».

فعن السائب بن زيد قال: «كنا نؤتى بالشارب على عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - وإمرة أبي بكر وصدراً من خلافة عمر فنقوم إليه بأيدينا ونعالنا وأرديتنا، حتى كان آخر إمرة عمر فجلد أربعين حتى إذا عتوا وفسقوا جلد ثمانين» (٢)، وذلك لأن الشارب كما يقول الإمام علي - رضي الله عنه -: «إذا شرب سكر وإذا سكر هذى وإذا هذى افترى فحده حد القاذف». وإذا تكرر شرب الخمر جلد مرة ثانية، وثالثة ورابعة.

كيف يثبت حد الشرب؟

يثبت حد الشرب بالبينة والإقرار

البينة: شهادة رجلين بالشروط العامة المقررة بالنسبة للشهود وهي العدالة، ومن هنا فإنه لا يقام الحد على من شرب بشهادة رجل وامرأتين لأن حد الشرب حق لله تعالى.

الإقرار: ويثبت الحد كذلك بالإقرار وهو اعتراف الشارب، وهذا هو رأي الجمهور من الفقهاء، ويرى آخرون إذا وجدت رائحة الخمر أو وجد سكران فإن الحد يثبت عليه.

مسألة: لا يحد السكران حال سُكْره، لأن المقصود من الحد الردع والزجر والتنكيل، وذلك لا يحصل مع السُّكْر فيؤخر إلى إفاقته من سكره ليرتدع.

أضرار الخمر والمخدرات على الأفراد والجماعات:

إن المتتبع لما يترتب على شرب المسكرات والمخدرات من أضرار يجد أن أضرارها تحيط بالفرد والأسرة وعلى المجتمع، وتؤثر فيهم تأثيراً بالغاً. فمن هذه الأضرار على شارب الخمر والمتعاطي للمخدرات ما يأتي:

---

(١) رواه البخاري في كتاب «الحدود» باب (ما جاء في ضرب شارب الخمر) حديث ٦٧٧٥.

(٢) رواه البخاري في كتاب «الحدود» باب (الضرب بالجريد والنعال) حديث ٦٧٨١.

١ – من الناحية الجسمية:

ثبت علمياً أنها تضعف الجسم وتوهنه وتفتك بالأعصاب، وتتسبب في تليف الكبد، وفي ضعف القلب، والجهاز الهضمي وعدم القدرة على الإنجاب.

٢ – الناحية العقلية:

ثبت علمياً أنها تؤدي إلى الجنون في كثير من الأحوال فضلاً عن إضعافها القوة التركيز، وعمق التفكير، وصلابة الإرادة.

٣ – الناحية المادية:

ثبت أنها تؤدي إلى أنانية مجحفة تدفع شاربها والمتعاطي للمخدرات إلى الاستزادة منها مقدماً في سبيلها كل ما يملك، بل أعز ما يملك، ولو على حساب زوجته وأولاده، مما يهدد الأسرة جميعها بالفقر والتشرد.

٤ – الناحية الاجتماعية:

ثبت أن الواقع تحت سلطان الخمر يسهل إخضاعه لما يراد به وأدى إلى الإضرار بنفسه وبأهله ووطنه وأن الواقع تحت سلطانها يلعب به شيطانها فيؤذي ويسب ويشتم، وقد يحطم ويضرب ويقتل، وقد يطلق زوجته، أو يزوج ابنته لمن ليس أهلاً لذلك، وقد يرتكب جريمة الزنى مع أقرب الناس إليه، وقد يبيع ويشتري أو يتصرف بما يجلب عليه الضرر، ولا يعود عليه ولا على أمته بالنفع. فما أحكم شرع الله تعالى، وما أحرى بنا أن نلتزمه، وأن نطبق أحكامه التي جاءت محققة لمصالح العباد.

* * *

التقـــــويم

أجب عن الأسئلة التالية:

س ١: علل ما يأتي:

أ- أمر الله - عز وجل - المسلم بالمحافظ على عقله.

ب - لا يحد السكران حال سكره.

ج - لا يقام حد شرب الخمر بشهادة رجل وامرأتين.

د- تاجر المخدرات يقام عليه حد القتل.

س ٢:

أ - عرف الخمر ثم اذكر دليل تحريمها، وعقوبة شاربها.

ب - يثبت حد شرب الخمر بأمرين. اذكرهما.

س ٣: ما الحكم في الحالات التالية:

أ - أقيم حد شرب الخمر على سكران حال سكره.

ب - شهد رجل وامرأتان على شخص بأنه شرب الخمر.

س ٤: بين أضرار المخدرات والخمر على الفرد والجماعات من الناحية الجسمية والعقلية والمادية والاجتماعية.

الناحية	المخدرات	الخمر
الجسمية		
العقلية		
المادية		
الاجتماعية		

س ٥ - كنت مسافراً على شركة طيران أجنبية وقدمت لك الخمر. فماذا تفعل؟

س ٦: قدم نصيحة إلى الشباب تدعوهم فيها إلى الابتعاد عن المسكرات بأنواعها.

س ٧: اكتب بحثاً في صفحتين تبين فيه أضرار المسكرات. موضحاً فيه واجب الأسرة تجاه أبنائها.

المفهوم السادس

الإسلام يحدد وينظم مسؤولية الأفراد في المجتمع

الدرس الخامس والعشرون: مسؤولية الحاكم المسلم

الدرس السادس والعشرون: مسؤولية الفرد المسلم

مسؤولية الحاكم المسلم

التمهيد:

مكانة الحاكم في الدولة الإسلامية

الحاكم في الدولة الإسلامية هو ذلك الرجل المسلم ذو الكفاية من العقل والتقوى والقدرة والشجاعة، الذي يتولى سياسة الدولة وينظم شؤونها، ويفصل في مشكلاتها وقضاياها، ويحدد علاقات الأفراد وينظر في شؤون معاشهم وعمرانهم والدفاع عنهم، وهو أحد أسس الدولة التي لا تنبني إلا عليها، ولا تقوم إلا بها، بل هو أهمها وأخطرها، فصلاح الدولة بصلاحه، وفسادها بفساده (١).

وإذا قام الحاكم بما ذكرناه من حقوق الأمة أدى حق الله -تعالى- فيما أوجب عليه ووجب له حينئذ على أمته حقان: الطاعة، والنصرة (٢)، لأن سلطته في هذه الحالة مستمدة من الشرع، وهو منفذ لأحكام الشريعة

حقوق الحاكم

الحق الأول: الطاعة

الطاعة والانقياد لولاة الأمر فريضة شرعية، لأنها أمر أساسي لوجود الانضباط في الدولة، وهي من أهم المظاهر التي تدل على الانضباط العام في الدولة والأمة. والمؤمن يتخذ هذه الطاعة قربة يتقرب بها إلى الله تعالى، ويرجو عليها منه الأجر والثواب، لأنه يطيع ولاة الأمر امتثالاً لأمر الله تعالى

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ (٣).

ولأمر الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالسمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب، وكره ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة (٤).

الحق الثاني: نصرة الحاكم

الإمام في منصبه العظيم الذي وكلته الأمة فيه يقوم على تنفيذ شرع الله -تعالى- وحراسة البلاد

---

(١) نظام الحكم في الإسلام، د. عارف خليل أبو عيد، ص ٧٥

(٢) الأحكام السلطانية للماوردي، ص ١٧

(٣) سورة النساء، الآية: (٥٩)

(٤) رواه البخاري في كتاب "الأحكام" باب (السمع والطاعة للإمام) ح ٧١٤٤.

والجهاد والدعوة إلى الله - تعالى - ونشرها وغير ذلك فهو يحتاج إلى تأييد الأمة، وأن تكون بجانبه لإعانته على تأمين سلامة الوطن وتحقيق النصر على كل من يعتدي عليه، بمعنى أن يكون ولاء الأمة جميعاً المسؤول الأول في الدولة الإسلامية.

ولا شك أن معاضدة الحاكم ومناصرته تعتبران من البر الذي يترتب عليه نصرة الإسلام والمسلمين وعن هذه النصرة يقول الله تعالى ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ (١).

ويقول تعالى ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ (٢).

ويقول - صلى الله عليه وسلم - «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي وستكون خلفاء تكثر. قالوا فما تأمرنا؟ قال: فوا ببيعة الأول فالأول، وأعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم» (٣).

مسؤوليات الحاكم المسلم

إذا كان الحكم في الإسلام يقوم على قواعد أساسية ثابتة فإنه بذلك يهدف لتحقيق أهداف يعتبرها أساسية وضرورية، وهذه الأهداف ترتبط بتحقيق المصالح العامة للجميع.

ومن الطبيعي أن الدولة إذا ارتقت مفاهيمها الإنسانية ارتقت معها أهدافها في الحكم حتى يصبح هدف الحكم في النهاية توفير المناخ الصحي الصحيح لنمو الإنسان نمواً طبيعياً كي يتمكن من تحقيق وظيفته المنوطة به وهي تعمير الأرض واستثمارها تنفيذاً لأمر الله تعالى

﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ (٤).

والحكم في الإسلام أهداف عدة نجمل أهمها فيما يلي:

١ - تطبيق شرع الله:

إن تنفيذ أحكام الشريعة الإسلامية يعتبر من أهم الأهداف التي يحرص عليها الحكم في الإسلام، لأن ذلك من الوظيفة الأساسية للسلطة الإسلامية. يقول الله تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ (٥).

---

(١) سورة التوبة الآية: (٧١).

(٢) سورة المائدة الآية: (٢).

(٣) رواه البخاري في كتاب «الأنبياء» باب «الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله» حديث ٣٤٥٥.

(٤) سورة هود الآية: (٦١).

(٥) سورة الحج الآية: (٤١).

ويقول سبحانه:

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴾ (١).

٢ - توفير الحماية للدين:

إن الغاية الجوهرية للحكم الإسلامي هي أن تقوم الدولة بمختلف أجهزتها بنشر رسالة الإسلام وتوفير الحماية للدين والدفاع عنه، حتى إن الفقهاء صرحوا بأن المقصود بالجهاد ليس قتل الناس أو إكراههم على الدين وإنما هو الدعوة إلى الله والاهتداء بهداه بالطرق الحسنى وبالإقناع الحر (٢).

من ذلك يتبين لنا أن غاية الدولة الإسلامية والحاكم المسلم إصلاح الدين والدنيا، وإقامة العدل، وإعلاء كلمة الله تعالى، أي تطبيق تعاليمه التي في القرآن والسنة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٣).

٣ - توفير الأمن:

الحاكم المسلم يوفر لأمته الأمن والأمان في كل أمورها اقتداء بتوجيهات الرسول - صلى الله عليه وسلم - في حجة الوداع حين خطب في المسلمين قائلاً: «إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا» (٤). فالمؤمن -كما يؤخذ من الحديث- قد أمّنه الإسلام على نفسه، لأن من اعتدى عليه يُقتص منه فكان امتناع الناس عن الاعتداء فيه تحقيقاً للحياة الآمنة المطمئنة. وفي هذا يقول الله تعالى:

﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٥).

والمسلم قد أمّنه الله - عز وجل - على ماله أيضاً حيث أمر سبحانه وتعالى بمعاقبة من يخل بحرمة المال إذا ما أديت حقوقه بقوله تعالى: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ (٦).

وأمّنه الرسول - صلى الله عليه وسلم - على ذلك أيضاً بقوله - عليه الصلاة والسلام -: «من ظلم قيد شبر من الأرض طوّقه من سبع أرضين» (٧)، كذلك فإن الإسلام أمّن المسلم على عرضه، بتشريعه عقوبة الزنى، وعقوبة القذف، حماية للأعراض. وإذا كان الإسلام أمّن الدولة الإسلامية من عناصر الإفساد في الداخل فقد أمّنها أيضاً من أي اعتداء خارجي، وذلك بالأمر بإعداد القوة لإرهاب

---

(١) سورة النساء، الآية: (١٠٥).

(٢) «مغني المحتاج» ٤/٢١٠، و«الفقه الإسلامي وأدلته» ٨/٥٧٣.

(٣) «الفقه الإسلامي وأدلته» (من ٨٧٤ - ٨٧٥).

(٤) رواه مسلم في كتاب «الحج» باب (حجة الرسول) ج٧ - ص١٨٦.

(٥) سورة البقرة، الآية: (١٧٩).

(٦) سورة المائدة، الآية: (٣٨).

(٧) متفق عليه. رواه البخاري في كتاب «المظالم والغصب» باب (إثم من ظلم شيئاً من الأرض) حديث رقم ٢٢٥٣ ومسلم في كتاب «المساقاة» حديث رقم ٣٠٢٢.

أعداء الله -تعالى- فيمتنعون عن العدوان ولا يفكرون فيه. وفي ذلك يقول الله سبحانه:
﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ (١).

ولذلك فإن الرسول -صلى الله عليه وسلم- أظل الناس بنعمة الأمن، ثم سار الخلفاء الراشدون -رضي الله عنهم- من بعده على الطريق نفسه فهذا أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- يعلن على ملأ من الناس تأمينه لكل من هو ضعيف، في قوله لهم عند توليه الخلافة: «الضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله» (٢).

وذاكم الفاروق عمر -رضي الله عنه- كان إسلامه أمناً وإماناً وعزة للمسلمين. وفي ذلك يقول ابن مسعود -رضي الله عنه-: «ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر».

وإذا كان الفاروق -رضوان الله عليه- قد أقر الأمن بين المسلمين، فإنه أيضاً لغير المسلمين. وذلك فقد نشر الأمن والأمان والاستقرار بين المسلمين جميعاً، وكُتُب التاريخ والسير مملوءة بالنماذج الدالة على ذلك، بل هي أكثر من أن تحصى. وهناك أدلة كثيرة تدل على ذلك، منها ما حدث منه حين جاءه أهل إيلياء مستأمنين، صالحهم وكتب لهم أماناً فيه: «هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم، لا يضار منهم أحد» (٣).

٤ - حماية الأعراض:

شمل الإسلام الأعراض بأقوى حماية وسن الحاكم عقوبات رادعة يوقعها على الزناة وهاتكي الأعراض لمنع الزنى وهتك الأعراض وقذف المحصنات فمن عقوبة الزنى يقول سبحانه:
﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ (٤).

وحرم الإسلام قذف المحصنات والمحصنين وأوجب عقاب من فعل ذلك بالحد، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝٤﴾ (٥).

---

(١) سورة الأنفال الآية: (٦٠).

(٢) «تمام الوفاء في سيرة الخلفاء» للشيخ محمد الخضري.

(٣) «موسوعة الوثائق» (ص: ٣٨٠).

(٤) سورة النور الآية: (٢).

(٥) سورة النور الآية: (٤).

فيعاقب هاتك العرض بالجلد، وبإسقاط شهادته، ويستوي في ذلك القاذف الشريف والوضيع، الغني والفقير، المسلم وغير المسلم.

كما حرم الإسلام كل قول أو عمل يمس كرامة الإنسان فحرم الغيبة، والنميمة، والتجسس، والهمز، واللمز، والتنابز بالألقاب، والسخرية من الآخرين.

٥ – حق التملك:

ذكرت قواميس اللغة أن معنى الملك احتواء الشيء والقدرة على التصرف به بانفراد.

الملكية الفردية في الإسلام:

تعرف الملكية الفردية في الإسلام بأنها حكم شرعي مقدر بالعين أو المنفعة يقتضي تمكين من يضاف إليه من انتفاعه بالشيء وأخذ العوض عنه (١).

ويتضح من هذا التعريف أنه:

– لابد لحيازة الشيء والانتفاع به من إذن الشارع فلا ملكية إلا بناءً على حكم شرعي.

– أن يكون للمالك سلطة على ما يملك فيجوز له الانتفاع به، أو بيعه وأخذ العوض عنه، أو التصرف فيه بالإجارة، أو الإعارة، أو الهبة.. إلخ.

ومن أجل أن يستطيع الإنسان الانتفاع بهذه الملكية والتصرف بها تصرفاً موافقاً للشرع، فإن الشريعة جعل صيانة الملكية الفرد واجباً على الدولة، وجعل احترامها وحفظها وعدم الاعتداء عليها أمراً محتوماً، ولذلك وضعت العقوبات الزاجرة لكل من يعبث بهذا الحق بالسرقة أو السلب أو أي طريق من الطرق غير المشروعة، كما وضعت توجيهات تهذيبية لكف النفوس عن التطلع إلى ما ليس من حقها، وما هو في ملك الآخرين (٢) يقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ (٣).

ويقول – عليه الصلاة والسلام –: «لا يحل مال امرئ إلا بطيب نفس منه» (٤).

وإذا كان من واجب الدولة حفظ أموال الناس وحمايتها، فمن الواجب عليها منع الناس من امتلاك المال الحرام، وإنزال العقوبة الزاجرة بكل من يسلك طريقاً محرماً لحيازة الأموال.

---

(١) «الإسلام وثقافة الإنسان»: (ص ١٣٩).

(٢) «الثروة في ظل الإسلام» لذوي الخوني: (ص ٧٤ – ٧٥)، و«نظرية التملك في الإسلام»: (ص ٦٩ – ٧٠).

(٣) سورة البقرة الآية: (١٨٨).

(٤) رواه الإمام أحمد في «مسند البصريين» حديث ١٩٧٧٤.

مشروعية التملك:

أباح الإسلام للمسلم الملكية بشرطها، له أن يمتلك ما شاء من الثروات إلا ما حرم الله تعالى، فقال تعالى ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ۝﴾ (١).

وما دامت سبيل الملكية حلالاً فلا غصب، ولا غش، ولا تزوير.

قال تعالى:

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝﴾ (٢).

وقال - صلى الله عليه وسلم -: «كل المسلم على المسلم حرام دمه، وماله، وعرضه» (٣). وقال: «لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه» (٤).

مصادر التملك:

حدد الإسلام الطرق المباحة للتملك والتي من أهمها ما يأتي:

١ - العمل والتكسب.

٢ - الميراث.

٣ - الوصية.

٤ - الزكاة والصدقات.

٥ - الهبة.

٦ - الهدية.

كفالة غير القادرين على العمل:

على الدولة أن تعطي من أموالها للأفراد العاجزين عن الكسب لسد حاجاتهم، أو للانتفاع من جهودهم أو لإيجاد التوازن الاقتصادي في المجتمع في حالة ما إذا كان المال متداولاً بين الأغنياء فقط. وهذا ثابت في النصوص الشرعية. فقد ثبت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه أعطى أراضي لبعض الأفراد وملكهم إياها ليعمروها، فقد أقطع - عليه السلام - بلال بن الحارث (العقيق أجمع) (٥) وثبت أنه - صلى الله عليه وسلم - أعطى غنائم بني النضير إلى المهاجرين دون الأنصار إلا

---

(١) سورة البقرة الآية: (٢٧٩).

(٢) سورة البقرة الآية: (١٨٨).

(٣) رواه مسلم في كتاب البر، باب (كل المسلم حرام على المسلم) حديث ٢٥٦٤.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) رواه أبو عبيد في «الأموال على بلال بن الحارث» (ص ٢٧٣ - ٢٨٢).

رجلين من الأنصار كانا فقيرين هما أبو دجانة، وسهل بن حنيف (١) وذلك تحقيقاً التوازن، كما يدل عليه قول الله تعالى: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾ (٢).

فقد كان المهاجرون فقراء وكان الأنصار أهل يسار

٦ - الرعاية الصحية:

اهتم الإسلام بصحة الإنسان عامة، وحرص في توجيهاته الكثيرة على الأمر بالمداومة على المداواة والمسارعة إليها لأن الجسم أمانة عند الإنسان. لذا وجبت المحافظة عليه.

روى الإمام مسلم عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «لكل داء دواء، فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل» (٣).

وروى الترمذي بسنده عن أسامة بن شريك، قال: كنت عند النبي - صلى الله عليه وسلم - وجاءت الأعراب فقالوا: يا رسول الله ألا نتداوى؟ قال: نعم يا عباد الله تداووا فإن الله لم يضع داءً إلا وضع له شفاء إلا داءً واحداً. قالوا: يا رسول الله وما هو؟ قال: الهرم (٤).

والرعاية الصحية أركان عدة، إذا اهتم بها الإنسان المسلم تجنب كثيراً من الأمراض. وهذه الأركان هي:

١ - رياضة السباحة، والرماية، وركوب الخيل، والمصارعة.

٢ - التعود على سنة السواك.

٣ - الاهتمام بالنظافة وتقليم الأظافر.

٤ - اتباع السنة النبوية في الأكل والشرب.

٥ - النوم على الشق الأيمن.

٦ - النوم بعد العشاء والاستيقاظ المبكر لصلاة الفجر.

٧ - الابتعاد عن أصحاب الأمراض المعدية.

٨ - الرقية من العين الحاسدة والجن.

فإن التزم المسلم بذلك حافظ على صحته وجسده وعاش بإذن الله - عزّ وجلّ - سليماً معافى من الأمراض.

---

(١) «الثروة في ظل الإسلام» - (ص ١١٨).

(٢) سورة الحشر: الآية (٧).

(٣) رواه مسلم في كتاب «السلام» باب (لكل داء دواء واستحباب التداوي) حديث ٤٠٨٤.

(٤) رواه الترمذي في كتاب «الطب» باب (ما جاء في الدواء والحث عليه) ح ٢٠٤٥.

أما إذا أصابه المرض ابتلاءً من الله - عزّ وجلّ - وجب عليه علاج نفسه، وإذا عجز عن ذلك فعلى الدولة مساعدته حتى يشفى ويتعافى بإذن الله تعالى.

٧ - توفير العمل للرعية:

العمل في الإسلام هو كل جهد مشروع يبذله الإنسان ويعود عليه أو على غيره بالخير والفائدة في الدنيا والآخرة سواء أكان هذا الجهد جسيماً كالحرف اليدوية أم فكرياً كالتعليم والقضاء وغير ذلك، وعليه فالعمل في الإسلام شامل لكل فعالية مشروعة، سواء أكانت اقتصادية أم سياسية أو غير ذلك من الأعمال المختلفة.

قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ (١)

وهذه النظرة الإسلامية للعمل مهمة جداً لأن الإسلام عدّ جميع أفراد المجتمع الذين يبذلون الجهد في جميع الحقول عُمّالاً.

حث الإسلام على العمل المشروع:

يتجه التشريع الإسلامي دائماً إلى تحقيق اليسر المادي والعيش الهنيء لكل فرد من أفراد المجتمع فضلاً عن سد حاجاتهم الفطرية. ومن هنا فقد حثّ القرآن الكريم الناس على العمل وبيّن أنه ذو قيمة عظيمة في حياة الإنسان، حيث يقول تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ۝﴾ (٢).

ويقول عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ﴾ (٣)

ويقول عزّ وجلّ: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ (٤)

ويقول عزّ وجلّ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ (٥)

كما حثّت السنة النبوية على العمل أيضاً فيقول - صلى الله عليه وسلم -: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده» (٦). وعن رافع بن خديج قال: قيل يا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أي الكسب أطيب؟ قال: عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور» (٧) إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الحاثة على العمل وطلب الرزق وبذل الوسع في طلب القوت لنفسه ولمن يعوله حتى لا يكون عالة على غيره يتجرع آلام الذل والمهانة

---

(١) سورة التوبة الآية: (١٠٥).

(٢) سورة الملك الآية: (١٥).

(٣) سورة الأعراف الآية: (١٠).

(٤) سورة التوبة الآية: (١٠٥).

(٥) سورة الجمعة الآية: (١٠).

(٦) رواه البخاري في صحيحه «البيوع» باب (كسب الرجل وعمله بيده) حديث ١٩٣٠.

(٧) رواه الحاكم في المستدرك ٢/١٠ واللفظ له. وأحمد في مسند الشاميين ح ١٦٦٢٨.

النهي عن البطالة:

أبغض الإسلام التبطل ومقته، وذم من يقعد عن العمل، ولم يبحه إلا في حالات العجز، كالمرض الذي يجوز لأنه تعطيل للقوى والمواهب عن تأدية دورها في الحياة، ولأنه سبيل إلى الفقر الذي يحول بين المسلم وبين أعمال البر والخير والإحسان التي تقربه إلى الله سبحانه وتعالى.

والبطالة تجعل صاحبها عالة على غيره، وعبئاً على مجتمعه، وهذا يؤدي حتماً إلى ركود الحياة وجمودها، والله -سبحانه وتعالى- ما خلق الحياة لتكون راكدة جامدة، والتبطل بإرادته عصي لله عز وجل.

ولقد حمّل الإسلام الدولة مسؤولية توفير العمل الأفراد القادرين على العمل ومساعدتهم على توفير آلات عملهم، وأعطاها كذلك الحق في حرمان الصحيح القادر المتعطل بإرادته من أن يعال على غيره (١).

يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم: «ولا حظ فيها لغني ولا لقوي مكتسب» (٢) وقال - صلى الله عليه وسلم: «لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي» (٣).

ومن هنا فإن الإسلام يحمل الأفراد القادرين على العمل حملاً.

قال عمر - رضي الله عنه -: «إن الله خلق الأيدي لتعمل، فإذا لم تجد في الطاعة عملاً التمست في المعصية أعمالاً».

* * *

---

(١) «نظرات في الخلافة الإسلامية» - ص: (١٩٩).

(٢) رواه أبو داود في كتاب «الزكاة» باب (من يعطى من الصدقة وحدّ الغنى) حديث ١٣٩١.

(٣) رواه ابن ماجه في كتاب «الزكاة» باب (من سأل عن ظهر غنى) حديث ١٨٣٩.

التقـــــويم

أجب عن الأسئلة التالية:

س ١: بيّن مكانة الحاكم في الدولة الإسلامية.

س ٢: للحاكم المسلم حقوق من قبل رعيته، اذكرها واشرح احداها.

س ٣: بيّن دلالة الآيات الكريمة التالية في ضوء دراستك لموضوع مسؤولية الحاكم.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾

دلالة الآية .....

قال تعالى: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ ﴾

دلالة الآية .....

قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴾

دلالة الآية .....

س ٤: من أهداف الحكم في الإسلام تطبيق شرع الله عز وجل.

بين أهمية تحكيم شريعة الله - عز وجل - على الأفراد والمجتمع وشروط تطبيقها.

س ٥: تنفيذ شرع الله - عز وجل - وإقامته ليس على الحاكم فحسب، بل لابد من تحمل الأفراد المكلفين بها المسؤولية. وضح ذلك.

س ٦: كيف يوفر الحاكم المسلم الحماية للدين؟

س ٧: الأمن والأمان من مقومات المجتمع المسلم. وضح ذلك.

س ٨: اذكر دليل مشروعية التملك.

س ٩: بيّن مصادر التملك في الإسلام.

س ١٠: كفل الإسلام حق العمل لأفراد المجتمع. وضح ما الذي شرعه الإسلام لتحقيق هذا الحق.

س ١١: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم في يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا".

اشرح هذا الحديث الشريف في ضوء دراستك لمسؤوليات الحاكم المسلم.

س ١٢ - في ظل الواقع الاجتماعي ما رأيك فيمن يتقاعدون في سن مبكرة عن العمل وهم قادرون على العطاء؟

س ١٣ - ضع علامة (√) مقابل العبارات الصحيحة، وعلامة (×) مقابل العبارات غير الصحيحة.

١ - للحاكم أن يرفع عقوبات على الزنا سواء جاءت في الشرع أم لا ( )

٢ - القاذف بالزنى تقبل شهادته حتى ولو لم يتب ( )

٣ - عقوبة الزاني البكر الجلد ثمانين جلدة ( )

٤ - من فعل عمل قوم لوط يجلد مائة جلدة ( )

٥ - عقوبة القاذف أخرس ثمانون جلدة. ( )

٦ - لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي. ( )

٧ - توفير العدل المناسب للرعية من واجبات الحاكم المسلم. ( )

٨ - أطيب الكسب عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور. ( )

مسؤولية الفرد المسلم

التمهيد:

من الواجب على المسلم الالتزام بكل ما كُلف به من قبل الله - عزّ وجلّ - تجاه ربه، وتجاه نفسه، وتجاه أسرته، وتجاه مجتمعه حتى تتحقق له كل وجوه الخير والنفع والنجاح والفلاح في الدنيا والآخرة

وإليك - أيها المتعلم - بعضاً من الأمور التي ألزم الله - عزّ وجلّ - بها الفرد المسلم تجاه ربه وأسرته ومجتمعه حتى تكون على بينة من أمرك

أولاً: مسؤولية المسلم تجاه ربه:

على المسلم مسؤوليات عدة تجاه ربه - عزّ وجلّ - نكتفي بالحديث عن أهمها وهي:

الطاعة:

الطاعة هي الالتزام بكل ما أمر الله - عزّ وجلّ - بتأديته على أكمل وجه سواء أكان ذلك قولاً أم عملاً، وإفراد الله - عزّ وجلّ - بالسيادة، والتلقي منه في كل أمر. فلا إسلام بلا طاعة لأمر الله - عزّ وجلّ - وإنفاذ منهجه في الحياة، ولا تستقيم حال حين يعرض الناس عن أمر الله في الكبيرة والصغيرة من شؤون حياتهم، أو حيث لا ينفذون شريعته، أو حيث يتلقون تصوراتهم عن شؤون حياتهم المختلفة من مصدر غير مصدره. فالإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل، ومع طاعة العبد لربه يشعر بالتقصير والعجز عن توفية آلاء الله - عزّ وجلّ - حق شكرها، وفرائض الله حق أدائها، والالتجاء إلى رحمة الله تعالى ليتدارك تقصيره وعجزه بسماحتها، وعن الأمر بطاعة الله - عزّ وجلّ - يقول سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ (١).

ويقول تعالى: ﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ ﴾ (٢).

---

(١) سورة النساء الآية: (٥٩).

(٢) سورة النور الآية: (٥٤).

وطاعة الله - عزّ وجلّ - تستلزم طاعة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما ورد في قوله تعالى:

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ (١)

ثانياً: مسؤولية الفرد تجاه نفسه:

يفترض في المسلم القوي أن يكبح جماح أهواء نفسه التي بين جنبيه ويضبط قدرته عن الجنوح في مراتع العصيان ويرفض الصداقة السيئة والمشبوهة التي تبعده عن طريق الهداية. ويعمل على درء شبهات شياطين الإنس والجن ويبتعد عن وساوسهم مهما بلغت إغراءاتهم. وينتصر بإيمانه وعزيمته وإخلاصه على أهواء نفسه.

قال تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ (٢).

كما يفترض فيه أيضاً أن يتبع منهج الله - عزّ وجلّ - ويلتزم به لأنه منهج يرفع الإنسان إلى عليين، في كل جوانبه العقدية والروحية والخلقية أمام مداخل الشيطان ولأنه منهج يجعل صاحبه يوم القيامة من السعداء الفائزين من النار، المستحقين الجنة. أما من يحاول هجر هذا المنهج ويتخذ إلهه هواه ويتجبر ويؤثر الدنيا على الآخرة فقد انحدر إلى أسفل سافلين وأصبح من التعساء في الدنيا والآخرة. وفي كل ما سبق يقول سبحانه وتعالى:

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ (٣).

فهذه الآيات تبين أن في الإنسان قوة إرادية ترقى بنفسه إلى العلا والهداية والتكريم. قال - صلى الله عليه وسلم -: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به». (٤)

ثالثاً: مسؤولية الفرد تجاه أسرته

من الواجب على المسلم أن يعامل أسرته بالمعاملة الكريمة التي تليق بهم، وترضي الله - عزّ وجلّ - وتتمثل هذه المعاملة الكريمة فيما يلي:

---

(١) سورة الحشر الآية (٧).

(٢) سورة الشمس الآيتان (٩ - ١٠).

(٣) سورة النازعات الآيات من (٢٧ - ٤١).

(٤) أورده النووي في شرح السنة (٢١٣/ ١) وابن عاصم في السنة (٢١٣/ ١) وابن عاصم في السنة (١٢/ ١) وابن حجر في فتح الباري (٢٨٩/ ١٣).

بر الوالدين من أجلّ الأمور التي حض عليها الإسلام، وأكدتها نصوصه الكريمة، لذا فمن الواجب على المسلم أن يكون باراً بهما، محسناً إليهما، مطيعاً لهما في كل شيء إلا الشرك، لأن الإحسان بالوالدين والبر بهما جعله الله - عزّ وجلّ - فضيلة تلي فضيلة الإيمان به، قال تعالى:

﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ (١)

وقال عزّ وجلّ:

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ (٢)

والرسول - صلى الله عليه وسلم - جعل بر الوالدين بين أعظم الأعمال في الإسلام فقد جعلها بين الصلاة على وقتها والجهاد في سبيل الله، فعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: سألت النبي - صلى الله عليه وسلم - أي العمل أحب إلى الله - عزّ وجلّ - قال: الصلاة على وقتها، قال: ثم أي؟ قال: ثم بر الوالدين، قال ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله» (٣).

منهج التعامل مع الوالدين:

إحاطة الابن لوالديه بأجمل مظاهر الاحترام والتقدير، والقيام لهما إذا قدما على مجلسه، وتقبيل أيديهما، وخفض الصوت أمامهما تأدباً وإجلالاً وخفضه لهما من جناحه، وانتقاؤه العبارات المهذبة اللطيفة في حديثه معهما، فلا يكلمهما بلفظ نابٍ أو عبارة خشنة جارحة، ولا يبدو منه في تعامله معهما فعل عارٍ عن أدب التوقير والتكريم والإجلال مهما تكن الظروف والأحوال.

بر الوالدين ولو كانا عاصيين أو مشركين:

من الواجب على المسلم إذا كان والداه عاصيين أو مشركين أن يعاملهما برفق ولباقة وسماحة ليزحزحهما عن الباطل الذي يتمسكان به، فلا يشتد ولا يغلظ، ولا يقسو، ولا يثور بل يحاول إقناعهما بذكاء وتلطف حتى يلفتهما إلى الحق الذي يؤمن به، وسلاحه في هذا كله الحجة القوية والمنطق السليم والأسلوب المهذب الحكيم لقوله تعالى:

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ (٤).

---

(١) سورة النساء الآية (٣٦).

(٢) سورة الإسراء الآيتان (٢٣-٢٤).

(٣) رواه البخاري في كتاب «الأدب» باب (البر والصلة) ح ٥٩١٣.

(٤) سورة لقمان الآيتان: (١٤ - ١٥).

بر الوالدين بعد موتهما:

يتمثل بر المسلم بوالديه بعد وفاتهما بالتصدق عنهما، والإكثار من الدعاء لهما وبر صديقهما وإنفاذ عهدهما لقوله – صلى الله عليه وسلم – حينما سأله رجل قائلاً: «يا رسول الله: ابقى من بر أبويّ شيء أبرهما به من بعد موتهما؟ قال: نعم. الصلاة عليهما، والاستغفار لهما وإيفاءٌ بعهودهما من بعد موتهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما» (١).

صلة الرحم:

صلة الرحم من أجلّ الأعمال الصالحة التي تضمن لصاحبها بسط الرزق وطول العمر والذكر الحسن، كما تكون سبباً في دخوله الجنة، وبعده عن النار.

لقول الرسول – صلى الله عليه وسلم – «من سره أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه» (٢).

وتتحقق صلة الرحم بالدعاء للأقارب والتصدق عليهم، ومبادرتهم بالزيارة في حال الصحة والمرض والقرب منهم في المناسبات، بمشاركتهم أفراحهم وأحزانهم، بأمرهم بالمعروف وبنهيهم عن المنكر، وبنصحهم بما يعود عليهم بالخير والنفع.

المسلم يصل رحمه ولو لم يصلوه:

فالمسلم الحق يصل رحمه حتى ولو لم يصلوه لأنه يبتغي بصلته هذه رضوان الله – عزّ وجلّ – فقط فلا ينتظر أن يكافأ بمثل فعله من أقاربه بل يجعل هذه الصلة خالصة لوجه الله الكريم وذلك تحقيقاً لقول الرسول – صلى الله عليه وسلم – «ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها» (٣).

المسلم يصل رحمه ولو كانوا غير مسلمين:

من سمو الإسلام وسماحته وإنسانيته أنه أوصى بصلة الرحم ولو كانت الأرحام من غير المسلمين، ففي الحديث الذي رواه عمرو بن العاص – رضي الله عنه – قال: «سمعت النبي – صلى الله عليه وسلم – جهاراً غير سر يقول: إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء إنما ولي الله وصالح المؤمنين ولكن لهم رحم أبلها ببلالها» (٤)

---

(١) رواه ابن ماجه في كتاب «الأدب» باب (صل من كان أبوك يصل) ح ٣٦٥٤.

(٢) رواه البخاري في كتاب «الأدب» باب (من بسط له في الرزق بصلة الرحم) ح ٥٩٨٥.

(٣) رواه البخاري في كتاب «الأدب» باب (ليس الواصل بالمكافئ) ح ٥٩٩١.

(٤) أبلها ببلالها: أي أصلها بالمعروف اللائق بها وبلالها. الحث فيه صلة الأرحام بالتعاون والتراحم. والحديث أخرجه البخاري (انظر فتح الباري جزء ١٠ ص ٤١٩) طبعة دار الفكر ٨/٧ والإمام أحمد في «المسند» ٢٠٣/٤ - ٢٠٤.

ولهذا لم يجد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حرجاً من أن يهدي هُلةً بعث بها إليه الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى أخ له من أمه مشرك.

رابعاً: مسؤولية الفرد تجاه مجتمعه

يجب على الفرد تجاه مجتمعه أن يتحلى معهم بكل خلق كريم وأن يبتعد عن كل خلق ذميم مرذول حتى يعم الأمن والأمان والاستقرار والحب بين الأفراد والمجتمعات، ومن بين الأخلاق الكريمة التي أمر الإسلام المسلمين الالتزام بها في حياتهم تجاه مجتمعهم ما يلي:

١ - الإخلاص

الإخلاص هو إفراد الحق - سبحانه وتعالى - في الطاعة والقصد، وقيل: هو حسن النية في الأقوال والأفعال وفق شرع الله، وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - بمعنى أن يقوم المخلص بعمله بواقع من القيام بالواجب إرضاءً لله - تعالى - دون طمع في ثواب، ولا خوف من عقاب.

والإخلاص نقيض الرياء والرياء أو الشرك الاجتماعي هو أن يقصد المرء بعمله مصلحة شخصية إلى جانب المصلحة العامة. شتان بين من يتظاهر بالصلاح ويخفي وراءه منافع شخصية، وبين من تأصل الصلاح في نفسه إرضاءً لله تعالى.

والإخلاص مطلوب في كل الأعمال المشروعة التي يقدم عليها المسلم. فعلى الموظف في ديوانه أن يكون مخلصاً فيما يكتبه، وما يحسبه، وما يكتُبُ فيه عقله، ويثبت فيه يده وأن يقصد بعمله رضا الله ثم مصلحة البلاد. وعلى العلماء والمثقفين أن يخلصوا في عملهم وثقافاتهم ويسفِّرون كل الأعمال لخير البلاد والعباد.

٢ - الأمانة:

الأمانة في الإسلام واسعة الدلالة ويمكن تعريفها بأنها: شعور المسلم بمسؤوليته أمام الله - تعالى - عن كل ما يوكل إليه من تبعات مادية أو معنوية، واجتهاده للقيام بواجبه تجاهها.

والأمانة من الصفات الحميدة التي أمر الإسلام المسلمين بالالتزام بها. قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ (١). وقال - صلى الله عليه وسلم -:

«أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك» (٢).

---

(١) سورة النساء الآية: (٥٨).

(٢) رواه الترمذي في كتاب «البيوع» - حديث ١١٨٥.

٣ - التضحية والإيثار:

من أخلاق المسلم التي اكتسبها من تعاليم دينه ومحاسن إسلامه إيثار الغير على النفس، وحبه الخير. فالمسلم متى رأى محلاً للإيثار آثر غيره على نفسه، وفضّله عليها، فقد يجوع ليشبع غيره، ويعطش ليروي سواه، بل قد يموت في سبيل حياة آخرين، وما ذلك ببديع ولا غريب على مسلم تشبعت روحه بمعاني الكمال، وانطبعت نفسه بطابع الخير وحب الفضيلة والجميل. تلك هي صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة

والمسلم في إيثاره وحبه الخير للغير نافح نهج الصالحين السابقين وضارب في درب الأولين الفائزين الذين أثنى الله - عز وجل - عليهم بقوله:

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (١)

وروي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: جاء رجل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: إني مجهود، فأرسل إلى بعض نسائه، فقالت: والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك، حتى قلن كلهن مثل ذلك: لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «من يضيف هذا الليلة؟ فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى رحله، فقال لامرأته: أكرمي ضيف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفي رواية قال لامرأته: هل عندك شيء؟ قالت: لا، إلا قوت صبياني، قال: فعللیهم بشيء، وإذا أرادوا العشاء فنوميهم، وإذا دخل ضيفنا فأطفئي السراج وأريه أنا نأكل فقعدوا وأكل الضيف، وباتا طاويين، فلما أصبح غدا على النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة» (٢).

ثانيا: أخلاقيات وسلوكيات المسلم تجاه إخوانه

حرص الدين الإسلامي على أن تكون العلاقة بين أبنائه علاقة أخوة ومودة على أساس العقيدة الإسلامية. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (٣).

والأخوة الإسلامية تتمثل في التآخي والتحاب والتواد في الله -تعالى- عن طريق تعميق معاني الجماعة في نفوس المسلمين، وتأصيلها في قلوبهم، وتنميتها وتوسيع دائرتها

روى البخاري عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «لا

---

(١) سورة الحشر الآية (٩).

(٢) متفق عليه، رواه البخاري في كتاب «الإيمان» - حديث ١٢.

(٣) سورة الحجرات الآية (١٠).

يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» (١).

كما تتمثل في اجتماع المسلم مع إخوانه المسلمين تحت راية التوحيد، حتى يكونوا قوة واحدة كأنهم بنيان مرصوص، يشد بعضهم بعضاً إذا اشتكى منهم عضو تداعى له الجميع بالسهر حتى يرفع الله عنهم البلاء، وإذا اعتدى على بعضهم معتد أو اضطهدهم مضطهدٌ هب الجميع لنصرة المعتدى عليه والمضطهد حتى يردوا العدوان عن إخوانهم المسلمين، ويدافعوا عن المضطهدين فيؤدبوا من يضطهدونهم. ولعل هذه الأخوة يحتاجها المسلمون في عصرنا الحاضر لأنه قد كثرت فيه الاعتداءات على المسلمين، وانتشر اضطهادهم. ولعل أوضح الأمثلة الدالة على ذلك ما يحدث في فلسطين المحتلة، وفي الشيشان وبوسنا وغيرها من الدول التي يُعتدى فيها على المسلمين فيضطهدون مما يجعلهم يحتاجون للنصرة بكل ما يملكه المسلمون من قوة كما يحتاجون إلى دعاء إخوانهم المسلمين في أوقات استجابة الله الدعاء.

أسباب الأخوة في الله تعالى:

١ - إيمان المسلمين برب واحد هو الله - عز وجل - وحده لا شريك له.

٢ - إيمانهم بنبي واحد هو الرسول - صلى الله عليه وسلم.

٣ - احتكامهم جميعاً إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

٤ - العمل على تحقيق غاية واحدة وهدف واحد هو نشر الإسلام بين ربوع العالم حتى تكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى.

أهمية الأخوة في الله تعالى:

إذا كانت الأخوة في الله أمر مهم في الإسلام بل وعلى جانب عظيم من الأهمية لأنه يجعل المجتمع كله مترابطاً متراصاً متعاوناً، متحاباً ينتشر فيه الأمن والأمان والاستقرار؛ لذا فإن الإسلام أمر بتحقيق هذه الأخوة بين المسلمين، ومن أجل ذلك فإن الرسول - صلى الله عليه وسلم - إذ هاجر هو وصحابته من مكة إلى المدينة وضع الأسس التي عليها أقيمت الدولة الإسلامية. وكان من بين هذه الأسس المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، فآخى مثلاً بين عمه حمزة و زيد بن حارثة، وبين عمر بن الخطاب وعتبان بن مالك، وغيرهم حتى عمت المؤاخاة كل المهاجرين والأنصار. وكان من نتائج هذه المؤاخاة أن أصبح الأخ يعين أخاه، ويقاسمه عيشه، ويبادله المزيد من المحبة والمودة، ويسعى

---

(١) سبق تخريجه.

اجلب الخير الأوفر له، وأصبح المهاجرون والأنصار أسرة واحدة كل فرد مسؤول عن أخيه ويفضله على نفسه، ويضحي من أجله بأغلى ما عنده، فوجد المهاجرون بذلك الراحة والطمأنينة والعون على مواجهة الفقر والشدة والمرض، وبذلك استطاعوا أن يواجهوا مطالب العيش إلى أن تيسر لهم العمل، وكان بين المهاجرين تجار ومزارعون وأصحاب حرف، فوجدوا القدرة على تأمين مطالبهم بأنفسهم بفضل الله - عزّ وجلّ - ثم بهذه المؤاخاة الرائعة.

جوانب من نصرة المسلم لأخيه المسلم:

١ - أن يسلم عليه إذا لقيه قبل أن يكلمه فيقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ويصافحه، ويرد المسلم عليه السلام وهو مبتسم.

٢ - أن يشمته إذا عطس بأن يقول له إذا حمد الله تعالى: يرحمك الله، ويرد العاطس عليه قائلاً: يهديكم الله ويصلح بالكم.

٣ - أن يعوده إذا مرض، ويدعو له بالشفاء، لحديث «حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس» (١).

٤ - أن ينصح له إذا طلب منه النصيحة، ويأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر لحديث: «إذا استنصح أحدكم أخاه فلينصح له» (٢).

٥ - أن يحب لأخيه ما يحبه لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه، لقوله - صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» (٣).

٦ - أن ينصره ولا يخذله في أي موطن احتاج فيه إلى نصرته وتأييده، سواء كان ظالماً أو مظلوماً، فقد سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن كيفية نصره وهو ظالم فقال: «تأخذ فوق يديه (بمعنى تحجزه عن الظلم وتحول بينه وبين فعله)، فذلك نصرك له».

٧ - ألا يغتابه، ولا يحقره، ولا يعيبه، ولا يسخر منه، ولا يلمزه بلقب سوء، أو يتم عنه حديثاً للإفساد لقوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ (٤)

---

(١) متفق عليه رواه البخاري في كتاب «الجنائز» باب «الأمر باتباع الجنائز» ح ١١٦٤.

(٢) رواه البخاري في كتاب «البيوع» باب «هل يبيع حاضر لباد بغير أجر وهل يعينه أو ينصحه».

(٣) رواه البخاري في كتاب «الإيمان» ح ٣١.

(٤) سورة الحجرات الآية: (١٢).

٨- الا يسبه أو يذله بمكروه يبدو لولد آدم. لحديث: «كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه (١). ومن ذلك عدم السباب لحديث «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» (٢).

٩- الا يحسده أو يظن به سوءاً أو يبغضه أو يتجسس عليه.

١٠- الا يغشه أو يخدعه. والا يغدر به. أو يخونه. أو يكذبه. أو يماطله في أداء دينه لقوله - صلى الله عليه وسلم -: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر» (٣).

وهذه الاعمال السيئة وغيرها هي التي تضعف الصلات في المجتمع وتشيع فيه الفرقة والكراهية وشر الناس من سعى إلى زرع الفرقة وكان سيء الخلق كما قال - صلى الله عليه وسلم -: «إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فحشه» (٤).

مظاهر الأخوة الإسلامية:

إذا تبع المسلمون هدي الدين في تأكيد الأخوة بينهم رأيت في المجتمع مظاهر واقعية لهذه الأخوة منها:

- العطف على الضعفاء، وتفريج كرب المكروبين، وحسن المعاملة مع الجميع.

- الإسراع إلى نجدة المسلمين في الكوارث والفيضانات والمجاعات وغيرها. وقد وصل الأشعريون رضي الله عنهم - إلى ذروة التكافل حينما طبقوا هذه الأخوة وتقاسموا بينهم أموالهم في الأزمات فأثنى عليهم النبي - صلى الله عليه وسلم - بقوله: «إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية فهم مني وأنا منهم» (٥).

الآثار المترتبة على التعصب العنصري والمذهبي والقبلي:

التعصب عموماً يحجب بصيرة الشخص عن رؤية نور الحق، ويضعف الثقة بالنفس ويصبح الشخص تابعاً ودافعه غير ديني إنما هو الهوى، ويولد الحقد والكراهية والبغضاء والانتقام بين الناس على أساس جاهلي ويوقع الإنسان فريسة عدم التمييز بين الحق والباطل.

---

(١) رواه الترمذي في كتاب «البر والصلة» ح ١٨٥٠.

(٢) رواه البخاري في كتاب «الأدب» باب (ما ينهى من السباب واللعن) ح ٦٠٤٤.

(٣) رواه البخاري في كتاب «الإيمان» باب (علامات المنافق) ح ٣٤.

(٤) رواه البخاري في كتاب «الأدب» باب (لم يكن النبي فاحشاً ولا متفحشاً) ح ٦٠٣٢.

(٥) رواه البخاري في كتاب «الشركة» ح ٢٣٠٦.

أما التعصب العنصري فهو ما وقع فيه بنو اسرائيل إذ قالوا:

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ﴾ (١)

فاعتقدوا أنهم من جنس آخر وباقي البشر من جنس دوني فتولدت عندهم العصبية العنصرية على أساس الدين.

وأما التعصب المذهبي: فإن صاحبه يقلد غيره على غير بصيرة ولا دليل من كتاب الله - تعالى - أو من سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - ويلتزم بفكر يحتمل الصواب و الخطأ .وهكذا يعيش في أجواء مظلمة من الجهل والتخلف وصدق الله - عز وجل - إذ يقول:

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۙ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ (٢).

وأما التعصب القبلي فإن صاحبه يقاد ويلتزم بما وصلت إليه القبيلة وقد يحتمل رأيها الصواب ،أو قد تجتمع على خطأ واتباع الهوى ووساوس الشياطين ففي تقليدهم الخطأ هلاك ودمار، كما قال الله -تعالى- المشركين حينما قالوا لرسول - صلى الله عليه وسلم - بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا، فأبان الله -تعالى- لهم فساد هذا المذهب التقليدي الأعمى بقوله:

﴿ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ (٣)، وبقوله:

﴿ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (٤)

أي: إن هذا الأمر عجيب ومستنكر أن يصدر من العقلاء الذين ينتبهون إلى عواقب الأمور. فالتقليد لا يعفي المقلد من المسؤولية الشخصية. ومن مذام التقليد بالإضافة إلى سبق أنه يجعل المقلد يكذب على الله -تعالى- فيفتري عليه احكاماً ما أنزل الله بها من سلطان قال تعالى:

﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٥).

والعصبية الجاهلية مذمومة في الإسلام لأنها تجعل قلب المؤمن متعلقاً بالجاهلية ويحب وينصر

---

(١) سورة المائدة الآية (١٨).

(٢) سورة لقمان الآية: (٢٠ - ٢١).

(٣) سورة لقمان الآية (٢١).

(٤) سورة البقرة الآية: (١٧٠).

(٥) سورة الأعراف الآية: (٢٨).

ويقف مع غير المسلم ومع الباطل ويقاتل من أجل الجاهلية والعصبية المقيتة لأن الإسلام جاء ليؤلف بين المسلمين، حتى يستظلوا تحت مظلته متحابين ومتناصرين متعاونين في كل المجالات مجاهدين من أجل رفعة هذا الدين وليس بسبب العصبية العمياء حتى لا ينطبق عليهم قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - «من قاتل تحت راية عمية يقاتل عصبية ويغضب لعصبية فقتلته جاهلية» (١).

من مظاهر العصبية الجاهلية :

١ - الطعن بالأحساب والأنساب وهو من الجاهلية.

٢ - التعيير بأم الشخص.

٣ - الدفاع المستميت عن خطأ العائلة أو الأسرة.

٤ - كراهية الشخص من أجل لونه أو جنسيته.

فعلينا جميعاً أن ننبذ كل هذه الأمور وغيرها، ونستظل بمظلة الإسلام التي تجمع ولا تفرق، وتنشر المحبة، وتبعدنا عن الكراهية، وتؤلف بين القلوب.

---

(١) رواه النسائي في كتاب تحريم الدم باب (التغليظ فيمن قاتل تحت راية عُمّية)

أجب عن الأسئلة التالية:

س ١: قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ بيّن مسؤولية المسلم تجاه ربه.

س ٢: علل ما يلي: حرص الإسلام على تقوية المسلم لجسمه بالنظافة والرياضة.

س ٣: اهتم الإسلام بالنفس الانسانية فاتجه اليها بالرعاية والتربية والتوجيه. وضح هذه الرعاية للصحة النفسية.

س ٤: قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾.

بيّن الله - عز وجل - في هذه الآية أهمية العبادة والبر بالوالدين، بم يحقق المسلم هذا البر في حياتهما وبعد مماتهما؟

س ٥: إذا تعارضت مصلحتك مع رغبة والديك فأيهما تقدم؟ ولماذا؟

س ٦: صلة الأرحام فيها بركة في عمر المسلم وتوثق صلته بمجتمعه. بيّن أهمية صلة الأرحام.

س ٧: اذكر سبب نزول قوله تعالى: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾.

س ٨: قدم نصيحة إلى هؤلاء.

١ - صديق لك لا يحافظ على الصلاة.

٢ - شاب يتأفف من والديه.

٣ - صديق هجر صديقه لأنه لم يساعده في الامتحان.

٤ - أراد صديقك إيداع أبيه دار المسنين.

س ٩: يعتبر الالتزام بالسرعة المرورية المقررة محافظة على النفس. وضح ذلك.

س ١٠: اكتب رسالة فيما لا يزيد عن خمسة أسطر تنصح فيها الشباب المتهور في القيادة.

س ١١: بيّن مظاهر المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار في المدينة المنورة.

س ١٢: بم يقوي المسلم علاقته بإخوانه المسلمين؟

س ١٣: حرم الإسلام كل ما يسيء الى علاقة الأخوة في الله تعالى. وضح ذلك.

س ١٤: ما مظاهر الأخوة الإسلامية؟

المفهوم السابع

توثيق الحقوق في الإسلام وواجبات المسلمين نحوها

الدرس السابع والعشرون: توثيق الحقوق في الإسلام

الدرس الثامن والعشرون: أولاً: توثيق الدَّين (القرض) بالكتابة والإشهاد

الدرس التاسع والعشرون: ثانياً: عقد الرهن

الدرس الثلاثون: ثالثاً: عقد الإجارة

الدرس الحادي و الثلاثون: رابعاً: الوصية

توثيق الحقوق في الإسلام

التمهيد:

«الإسلام يدعونا إلى احترام العهود والمواثيق وتجنب الغدر»

قال تعالى في سورة «النحل»:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ۝﴾ (١)

إن حياة الإنسان وعلاقته مع خالقه ونفسه وغيره من عامة الناس تحتاج إلى ضوابط وتنظيمات سلوكية توجهها نحو المستوى الخلقي المثالي الذي يحفظه من المزالق والشبهات.

وإن كانت القوانين الاجتماعية التي تسنها السلطات على اختلاف أنواعها لتنظيم العلاقات العامة بين الناس تدعو إلى احترام القوانين، وتحديد حقوق الأفراد وواجباتهم، فإن ضمير الفرد الديني ووجدانه الواعي يعتبر ضابطاً ذاتياً ورقيباً أميناً يفوق التشريعات والقوانين الصادرة عن السلطات الخارجية، ويكون له الأثر النافذ في احترام العهود والمواثيق والالتزام بمقتضاها، وفي ذلك ما يصقل حس الإنسان الخلقي ويرقى به إلى مستوى السلوك المثالي.

وقد أقام الإسلام مع وجود الضمير الديني والوجدان الواعي لدى كل فرد ضوابط أخرى تضبط حياة الناس وتنظمها وتحفظها من الأهواء والشهوات، وجعل المصلحة العامة للأفراد والجماعات والأمم هي المعيار الحقيقي لهذه الضوابط التي أقامها الله -تعالى- وحددها وسماها «العقود» وأمر الذين آمنوا أن يوفوا بها في قوله تعالى:

﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ۝﴾ (١)

---

(١) سورة النحل الآيتان (٩٠ - ٩١).

(١) سورة الإسراء الآية (٣٤).

تعريف العقد:

العقد: هو العهد الالتزامي الذي يعقده المرء مع خالقه أو مع أخيه الإنسان على سبيل الاستيثاق والإحكام.

والعقد لغة: هو الجمع بين شيئين، والربط بينهما، سواء أكان حسياً أم معنوياً، ومثاله:

القول: «عقد طرفي الحبل» أي وصل أحدهما بالآخر بعقدة تمسكهما فأحكم وصلهما. (١)

ومثاله في قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ (٢).

وفي الاصطلاح: هو الاتفاق بين طرفين يلتزم بمقتضاه كلٌ منهما تنفيذ ما اتفقا عليه.كعقد البيع والزواج وغير ذلك.

وقد أطلق الفقهاء العقود على التصرف الذي يتم باتفاق إرادتين. كعقود المعاملات التجارية، والمضاربة والوكالة، والوديعة. أما التصرف بإرادة مفردة فلا يسمى عقداً .بل يسمى تصرفاً أو التزاماً مثل الوصية والطلاق (٣).

الدليل على وجوب الالتزام بالعقود:

أمر الله – عز وجل – المؤمنين بوجوب الالتزام بالعقود. وذلك في قوله – تعالى – في سورة «المائدة»:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ (٤).

أي أنه يجب على كل مؤمن أن يفي بما عقده وارتبط به من قول أو فعل كما أمر الله –تعالى– بموجب اتفاق وتراض، ما لم يحرم حلالاً أو يحل حراماً كالعقد على أكل أموال الناس بالباطل مثل الربا والميسر والرشوة ونحو ذلك.

أنواع العقود:

العقود أنواع ثلاثة:

١ – عقد بين الله وبين العبد. كعقد الإيمان بالله والاعتراف بألوهيته حيث تنبثق عنه وتقوم عليه سائر العقود وجميع الضوابط في الحياة. ولقد تكرر هذا العقد في كثير من سور القرآن الكريم، قال تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ (٥).

---

(١) المعجم الوجيز.

(٢) سورة النساء الآية (٣٣).

(٣) كتاب نظرية العقد في الفقه الإسلامي (د. محمود محمد حسن).

(٤) سورة المائدة الآية (١).

(٥) سورة الأعراف الآية (١٧٢).

وهذا عقد أوجبه العقل الذي أودعه الله في الإنسان، ويتم التوصل إليه ببديهة العقل، وقد حرص عليه كل من آمن بالله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - وذلك بالحرص على تطبيق كل ما يتفق مع التشريعات الإلهية وتجنب ما يناقضها.

٢ - عقد بين العبد ونفسه، فلا يرخي العبد لنفسه العنان، فيستجيب لشهواتها واندفاعاتها الجامحة خلف ما حرمته الشريعة وبينت مضاره ومفاسده، إذ النفس البشرية كثيرة الأمر بعمل السوء لما فيها من دواعي الشهوات والأهواء. قال تعالى:

﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ﴾ (١).

وقال تعالى:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ (٢).

وإذا كان الإسلام لا يمنع الإسراف في اللذات والشهوات فإنه لم يحرم التمتع بالطيبات، بل أباح الإنسان المؤمن المتعة واللذة الحلال والكسب النقي، إظهاراً لآياته ونعمائه على خلقه.

قال تعالى:

﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾ (٣).

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لرجل أتاه سيء الهيئة: «ألك مال؟ قال: نعم، من كل أنواع المال، قال: فليُرَ عليك، فإن الله يحب أن يرى أثر نعمه على عبده حسناً ولا يحب البؤس ولا التباؤس» (٤).

٣ - عقد بين العبد وبين غيره من بني جنسه وهو مثل عقود البيع، والإجارة، والوكالة، والرهن، والنكاح، ومثل العقود والمواثيق والمعاهدات بين الدول.

احترام العهود والمواثيق:

إن استقراء لآيات القرآن الكريم يلاحظ أن الله - تعالى - ذكر الوفاء بالعهد والميثاق في بضعة وعشرين موضعاً من الكتاب الكريم مما يدل على العناية والاهتمام بهذا الموضوع، من هذه الموضوعات قوله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾ (٥).

---

(١) سورة يوسف الآية (٥٣).

(٢) سورة الشمس الآيتان (٩ - ١٠).

(٣) سورة الأعراف الآية (٣٢).

(٤) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» - حديث ٥٣٠٨.

(٥) سورة المؤمنون الآية (٨).

وقوله سبحانه وتعالى:

﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (١)

إذا فمن الواجب على المؤمن الالتزام بعهودهم ومواثيقهم التي عقدوها على أنفسهم مثل عقود البيع والشراء والأمانات وسائر المعاملات. والوفاء بها والعمل بمقتضاها.

بل إن الإسلام شدد في مسألة الوفاء بالعهود فلم يتسامح فيها أبداً لأنها قاعدة الثقة التي بها تقوم الجماعة وتقوى، وتنفسخ بزوالها روابط الإخاء والوفاء. وحذر من نكث العهد ونقض المواثيق لخطورته، واعتبر ذلك غدراً أو خيانة وهذه خصال المنافق التي يحذرنا منها الله -سبحانه وتعالى- ورسوله الكريم - صلى الله عليه وسلم.

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «أربع من كن فيه، كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر» (٢).

ولو نظرت - أيها المتعلم - في تاريخ الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - لوجدت أن القرآن الكريم وسنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد تركا في نفوسهم أثراً قوياً جعلهم يوفون بالعهود ويتقيدون بمستلزمات المواثيق وكان حرصهم على الوفاء بالعهود وأداء الأمانات والبعد عن الغش والخداع في معاملاتهم الاجتماعية والاقتصادية من أقوى العوامل التي ساعدت على انتشار الإسلام في بلاد كثيرة دون إعلان لقتال أو رفع لسلاح.

ولو وجدت أن الأمر قد وصل في الإسلام إلى حد أن الحاكم العام إذا كان بينه وبين عدوه عهد وخان عدوه هذا العهد بإمارات تدل على ذلك، فإن الحاكم بأمر الإسلام يخبر عدوه بأن العهد الذي بينهما صار منقوضاً، وأنه أصبح له الحق في أن يفعل ما يتفق مع الموقف. ولا يحل له أن يحارب هذا العدو قبل أن يخبره بذلك حتى لا يكون هو ناقضاً للعهد ولا خائناً. وفي ذلك يقول تعالى:

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ (٣)

ويقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخُن من خانك» (٤).

---

(١) سورة الإسراء الآية (٣٤).

(٢) رواه البخاري في كتاب «الإيمان» باب (علامات المنافق) حديث ٣٣.

(٣) سورة الأنفال الآية (٥٨).

(٤) رواه أبو داود في كتاب «البيوع» حديث ٣٥٣٤ وهو حديث صحيح.

عدم الوفاء بالعهد -العقد- وخطورته:

عرفنا فيما سبق أن المحافظة على العهود والوفاء بالمواثيق أمر إلهي، يخلق إنساني، ومطلب اجتماعي يبعث في النفس الطمأنينة ويرفع من قدر الإنسان ويحقق الأمن والأمان في المجتمع، وأن الخيانة والغدر في العهود وتقصير الأمة بواجبها في هذا المجال يؤدي إلى إساءة أحوال الفرد والجماعة، وانتشار الغدر والخيانة، وتقلص ظل الوفاء والخير.

أي أن خير أمتي وصلاح حالها قائم مستمر فيها، ما لم تعتبر الأمانة التي تؤتمن عليها غنيمة حلالاً لها فتخون صاحبها وتغدر به، وما لم تر الصدقة الواجب عليها أداؤها للفقير بمثابة غرامة تؤخذ منها بغير حق.

فإذا انتهى الأمر بأمة إلى هذا النوع الوضيع من التعامل، فإن بدرها لا محال سيصير عسراً ومعروفها منكراً، وتلك آفة الأخلاق، وبداية السقوط.

صور من نقض العهد:

صور نقض العهد والعقد بين الناس كثيرة منها:

- من الأزواج من يهمل حق زوجته عليه، أو يظلمها مستغلاً العقد الذي بينهما والذي لا يُنْقض إلا بكلمة الطلاق التي تصدر منه، أو بكلمة التفريق التي يصدرها القاضي منهياً الظلم.
- ومن أصحاب الأعمال من يسوف في عطه من العامل، ولا يوفيه أجره حسب المتفق عليه.
- ومن الأصحاب من يعاهد أخاه ثم يخون عهده.
- ومن المدينين من هو غني ولكنه يماطل دائنه ظلماً وعدواناً.

وأمثال الغدر والخروج على حكم العقد كثيرة، وكل ذلك ينطبق عليه الحديث القدسي الذي رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «قال الله تعالى: **ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى (١) بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره (٢).**

ولهذا نهى الإسلام عن اتخاذ الأيمان ذريعة للغش والخديعة للحصول على المنافع الدنيوية الفانية، وتوعد الله تعالى الذين ينقضون العهود بالعذاب العظيم في قوله سبحانه:

---

(١) معنى أعطى بي: أي حلف باسم الله وعاهد على الذي حلف عليه.

(٢) رواه البخاري في كتاب «الإجارة» باب (إثم من منع أجر أجير) حديث ٢١٠٩.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌۢ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ (١).

توثيق العقود وأمينه:

حرص الإسلام على إحاطة المعاملات المالية بين الأفراد بالعديد من الضمانات التي تجعل منها عقوداً سليمة ثابتة محققة الغرض وموصلة الحقوق، رادعة لكل أسباب الخلاف والشقاق والنزاع والشحناء.. ومن ذلك كتابة الديون، والإشهاد عليها، وتشريع عقد الرهن، وغيرها من تشريعات يعبر عنها بعقود التوثيق والضمان، لتوثيقها الحقوق وصيانتها من الضياع.

المراد بتوثيق العقد:

إحكامه وتثبيته، من وثق الشيء إذا أحكمه وثبته، فالوثيقة ما يحكم ويثبت به الأمر (٢).

طرق توثيق العقود:

لتوثيق العقود طرق متعددة شرعها وبينها الإسلام منها ما قد يكون بغير عقد كالكتابة والإشهاد، ومنها ما قد يكون بعقد، وهي ما تسمى بعقود التوثيقات، كالرهن والكفالة، وإليك تفصيل ذلك:

أولاً: ما كان بغير عقد «الكتابة والإشهاد»:

- أما كتابة المعاملات التي تجري بين الناس فهي بلا شك وسيلة من وسائل التوثيق التي أمر الله - تعالى - بها في قوله سبحانه وتعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾ (٣).

ولذلك فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد وثق بالكتابة في معاملاته، فقد ورد في حديث صحيح «أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أمر بالكتابة في الصلح» (٤)، وكذلك ورد عنه - صلى الله عليه وسلم - «أنه أمر بالكتابة فيما قاد فيه عماله من الأمانة» (٥).

---

(١) سورة النحل الآيتان (٩٤ - ٩٥).

(٢) الموسوعة الفقهية ج١٤ (عالم نصر)، «المعجم الوجيز» الوثيقة ص ٦٦٠.

(٣) سورة البقرة الآية (٢٨٢).

(٤) رواه البخاري في (الفتح ٥٥٧ : ٧) من حديث مروان بن الحكم.

(٥) ذكره ابن حجر في الإصابة (١ - ٢٥٥ ط السعادة ٩) في كتاب «النبي صلى الله عليه وسلم» أن عمرو والزبير كانا يكتبان أموال الصدقة.

- والمقصود بكتابة العقود الشرعية هو إحكامها باستيفاء شروطها (شروط انعقاد، وصحة، ونفاذ ولزوم) (١).

- وفي إشهاد الشهود على التصرفات توثيق كذلك، واحتياط المتعاملين عند التجاحد. وقد أمر بها الله -تعالى- في نصوص قرآنية من ذلك قوله تعالى:

﴿ وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾ (٢).

وقد سمى النبي - صلى الله عليه وسلم - الشهود (بيّنة) لوقوع البيان بقولهم وزوال الإشكال، فقال - صلى الله عليه وسلم - «البيِّنة على من ادعى واليمين على من أنكر» (٣).

ثانياً: ما كان بعقد «الرهن والضمان والكفالة»

- أما الرهن فيعد وسيلة من وسائل التوثيق، إذ هو المال الذي يجعل وثيقة بالدين ليستوفي الدائن (صاحب الحق) منه ثمنه، إذا تعذر استيفاؤه، وهو عقد مشروع له أركان و شروط وأحكام خاصة به، سوف يأتي الحديث عنها لاحقاً بالتفصيل.

- أما الضمان والكفالة فهما مشروعان للتوثيق أيضاً، قد يستعملان بمعنى واحد وقد يستعمل الضمان للدَّين، والكفالة للنفس، إذ فيهما ضم ذمة الكفيل (أو الضامن) إلى ذمة المدين حتى يتم سداد الدين.

وقد شرعت الكفالة في القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴾ (٤).

وفي السنة النبوية فعن سلمة بن الأكوع أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أُتي بجنازة ليصلي عليها، فقال: أعليه دين؟ قالوا: نعم، ديناران. قال: أترك لهما وفاءً؟ قالوا: لا. فقال: صلوا على صاحبكم، فقام أبو قتادة فقال هما علي (٥) يا رسول الله، فصلى عليه النبي - صلى الله عليه وسلم» (٦).

---

(١) الفقه السنة لسيد سابق (ج ٣/ ١١٠).

(٢) سورة البقرة الآية (٢٨٢).

(٣) السنن الكبرى للبيهقي كتاب الشهادة (ج ١٠/ ٢٥٢) طبعة دار الفكر.

(٤) سورة يوسف آية (٧٢) وفي تفسير الآية: نادى المنادي: أن الكفيل بإعطاء حمل بعير من يوسف سارق، وأنا الملك.

(٥) أي أنا أتكفل بسداد دينه.

(٦) رواه الإمام أحمد في باقي مسند الأنصار، حديث ٢١٥٠٣.

حكم التوثيق:

توثيق العقود أمر مشروع حمله بعض الفقهاء والمفسرين على سبيل الوجوب (١)، وحمله بعض آخر على سبيل الاستحباب لاحتياج الناس إليه في معاملاتهم خشية جحد الحقوق أو ضياعها ولاسيما في الوقت الحاضر الذي ساد فيه فساد الذمم وخراب الضمائر بالطمع وحب المادة، وقلة التقوى وعدم مراقبة الله -تعالى-.. إلا من رحم ربي.

الدليل على مشروعية التوثيق:

الأصل في مشروعية التوثيق ما ورد في قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ (٢)

إلى قوله تعالى:

﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (٣)

وسوف نتحدث عن هذا الموضوع بالتفصيل في درس لاحق إن شاء الله تعالى.

حكمة مشروعيته:

في التوثيق منافع جليلة تتمثل في عدة أمور من أهمها ما يلي:

أولاً: فيها صيانة الأموال وقد أمرنا بصيانتها ونُهينا عن إضاعتها.

ثانياً: وفيها قطع المنازعات بين المتعاقدين حيث إن الوثيقة تصير حكماً بين المتعاقدين، يسدُّ باب النزاع، ويسكن الفتنة؛ فلا يجحد أحدهما حق صاحبه مخافة أن تخرج الوثيقة ويشهد الشهود عليه بذلك فيفتضحُ أمره بين الناس.

ثالثاً: وفيها رفع الارتياب والشك، فقد يشتبه على المتعاقدين إذا طال الزمان مقدار مال الدَّين ومقدار الأجل فالرجوع إلى الوثيقة يقطع الشك ويوضح الحقائق.

* * *

---

(١) «جامع البيان في تفسير القرآن» للطبري ج٣ (ص ٧٩).

(٢) سورة البقرة الآية (٢٨٢).

(٣) سورة البقرة الآية (٢٨٣).

التقـــــويم

أجب عن الأسئلة التالية

س ١:

أ - قال تعالى في سورة النحل:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ۝٩١﴾ (سورة النحل/ الآيتان ٩٠-٩١).

اقرأ تفسير الآيتين في أحد كتب التفسير ولخص ما فهمته موضحاً معنى العهد وأهمية الوفاء به.

ب - الإسلام يتصف بالصدق والأمانة والوفاء في تعامله مع الآخرين، فما أثر ذلك على الفرد والمجتمع؟

س ٢: علل ما يلي:

أ - تأكيد الإسلام في مسألة الوفاء بالعهود.

ب - نهي الإسلام عن أحد الأيمان ذريعة للغش.

س ٣: ما المستنبط من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التالية:

- قوله تعالى ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ۝٣٤﴾ (الإسراء/ آية ٣٤).

- قوله - صلى الله عليه وسلم -: «أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك» رواه أبو داود.

- قوله - صلى الله عليه وسلم -: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له» رواه أحمد في مسنده.

- قوله تعالى ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ۝١١٠﴾ (سورة الكهف/ آية ١١٠).

س ٤: بين أضرار عدم الالتزام بالعهود والوفاء بها على الفرد والمجتمع.

س ٥: بين المقصود من التوثيق وحكمه في الإسلام.

س ٦: التوثيق منافع جليلة تتمثل في عدة أمور، اذكرها مع التمثيل لا تقول.

س ٧: علل ما يلي:

أ - تعدد طرق التوثيق في الإسلام.

ب - تسمية الرسول - صلى الله عليه وسلم - الشهود (بينة).

س ٨، ضع علامة (√) مقابل العبارة الصحيحة وعلامة (×) مقابل العبارة غير الصحيحة،

١ - طلب التوثيق على العقود والمعاملات دليل على انعدام الثقة بين الناس. ( )

٢ - يجب على الفرد المسلم أن يحرص على توثيق معاملاته مع الأحباب فقط. ( )

٣ - التوثيق يساعد على معرفة العقود الفاسدة لتجنبها. ( )

٤ - توثيق العقود أمر مشروع لاحتياج الناس له. ( )

٥ - يعتبر الرهن والكفالة من عقود التوثيق بعقد مشروع. ( )

٦ - لم يأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بكتابة العقود لأنه لا يقرأ ولا يكتب ( )

س ٩، الضمان والكفالة يعتبران مشروعين للتوثيق قد يستعملان بمعنى واحد. دلل على مشروعيتهما في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

س ١٠، حدد نوع التوثيق في الآيات والأحاديث النبوية التالية،

أ - قوله تعالى: ﴿ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾ (البقرة/ آية ٢٨٢).

ب - قوله - صلى الله عليه وسلم - «البينة على من ادعى، واليمين على من أنكر» رواه الترمذي.

ج - قوله تعالى ﴿ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ﴾ (البقرة/ آية ٢٨٢)

س ١١، أكمل الفراغ التالي،

- الوثيقة الشرعية تصير ..... بين المتعاقدين يسد باب النزاع ويمكن ..... ويرفع الارتياب والشك إذا طال الزمان.

أولاً: توثيق الدَّيْن (القرض) بالكتابة والإشهاد

التمهيد:

يعد الدَّيْن ويسمى «القرض» أحد منافذ الرحمة التي أباحها الإسلام ليتم بها الترابط والتكافل بين المسلمين، وليظهر فيه بجلاء شكر العبد لربه على نعمه.

تعريف القرض:

القرض هو المال الذي يعطيه المقرض المقترض ليرد مثله إليه، عند قدرته عليه، وهو في أصل اللغة: القطع، لأن القرض يقطعه من ماله ليسد حاجة أخيه المقترض.

والقرض: هو السلف أو يسمى سلفاً، لقوله - عليه الصلاة والسلام -: «إن السلف يجري مجرى شطر الصدقة» (١).

مشروعية الدَّيْن «القرض» وحكمه في الإسلام:

القرض قربة يتقرب بها المقرض إلى الله -سبحانه وتعالى- لما فيه من إحسان ورفق بالناس، ورحمة بهم، وتيسير لأمورهم، وتفريج لكربهم ولهذا فقد ندب الإسلام إليه، ورغب فيه بالنسبة للمقرض المستطيع، وأباحه المقترض، ولم يجعله من باب المسألة المكروهة، لأنه يأخذ المال ينتفع به في قضاء حوائجه ثم يرد مثله.

وقد وردت هذه الإباحة في الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة

ففي الكتاب الكريم قوله تعالى:

﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ (٢).

فوجه الدلالة في الآية السابقة أن المولى سبحانه وتعالى شبَّه الأعمال الصالحة والإنفاق في سبيل الله تعالى بالمال المقروض، وشبه الجزاء المضاعف على ذلك ببدل القرض، وفي ذلك دعوة إلى تقدير الخير بمساعدة الآخرين وتفريج كروبهم

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسند المكثرين من الصحابة ٣٧١٦ وهو حديث صحيح

(٢) سورة البقرة الآية (٢٤٥)

وفي السنة النبوية الشريفة:

ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة. ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه...» (١).

وعن أنس - رضي الله عنه - قال: «قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأيت ليلة أسري بي على باب الجنة مكتوباً: الصدقة بعشر أمثالها، والقرض بثمانية عشر، فقلت يا جبريل، ما بال القرض أفضل من الصدقة؟ قال: لأن السائل يسأل وعنده، والمستقرض لا يستقرض إلا من حاجة» (٢).

وعن أبي رافع مولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «استسلف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بكراً (٣) فجاءته إبل من الصدقة قال أبو رافع فأمرني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن أقضي الرجل بكرة فقلت: لا أجد في الإبل إلا جملاً خياراً (٤) رباعياً (٥) فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أعطه إياه فإن خيار الناس أحسنهم قضاء» (٦).

وفي هذا الحديث دليل على وجوب الوفاء بالدين بمثله أو بأحسن منه.

عقد القرض:

عقد القرض عقد تمليك، فلا يتم إلا ممن يجوز له التصرف، ولا يتحقق إلا بالإيجاب والقبول كعقد البيع والهبة.

«ويعقد بلفظ القرض والسلف، وبكل لفظ يؤدي إلى معناه، ولا يجوز أن يشترط المُقْرِضُ لنفسه أيَّ شرط فيه مصلحة، فكل قرض جرَّ منفعة فهو رباه (٧).

حيث إن عقد القرض يقصد به الرفق بالناس ومعاونتهم على شؤون العيش وتيسير وسائل الحياة. وليس وسيلة من وسائل الكسب، ولا أسلوباً من أساليب الاستغلال، في حين أنه يجوز للمُقْرِض أن يشترط رهناً أو كفيلاً، يضمن حقه فهذه الأمور توثيقاتٌ لا منافع.

---

(١) رواه الإمام مسلم في كتاب «الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار» حديث ٢٨٦٧.

(٢) رواه ابن ماجه في كتاب «الأحكام» باب «القرض» ح ٢٤٢٢.

(٣) بكراً: الفتي من الإبل.

(٤) خياراً: أي جيداً، وخيار الشيء أفضله.

(٥) الرباعي: الذي استكمل من سنه وطعن في السابعة، وسقطت رباعيته وهو أجود الإبل ويكون أحسن من الثني.

(٦) رواه الترمذي في كتاب «البيوع» برقم الحديث ١٢٣٩.

(٧) هذه القاعدة الفقهية صحيحة شرعاً وإن كان لم يثبت فيها حديث، والحديث الذي جاء فيها عن علي - رضي الله عنه - إسناده ساقط (حديث ضعيف) قال الحافظ: وله شاهد ضعيف عن فضالة بن عبيد - رضي الله عنه - عند البيهقي، وآخر موقوف عن عبد الله بن سلام - رضي الله عنه - عند الحارثي في كتاب «مناقب الأنصار» ج ٢/٢٧٨ ح ٤.

ويشترط في القرض معرفة قدره بكيل، أو وزن، أو عدّ، ومعرفة وصفه، وأن يكون مما يصح تبرعه (١).

مجالات القرض (الدّين):

مجالات القرض كثيرة بين الأفراد، فتجوز في الثياب، والمتاع، والحيوانات. كما يجوز قرض ما كان مكيلاً، أو موزوناً، أو كان من عروض التجارة، وغيرها مما أباح الله التعامل والتبادل به بين الناس.

توثيق الدّين بالكتابة والإشهاد:

توثيق الدّين بالكتابة أو بالإشهاد أو بأي طرق التوثيق الأخرى من الأمور المهمة ندب إليها الإسلام وحث عليها لما فيها من صيانة للحقوق، وحفظ للأموال وحرص من الشرع الحكيم على قطع أسباب الخصومة والنزاع في المجتمع الناتجة عن إنكار ضعاف النفوس - أصحاب الضمائر الحربة والنفوس المريضة - حقوق الغير إذا لم توثق وتكتب وتسجّل ويُشهد عليها.

وهذه آية الدّين أطول آية في كتاب الله تعالى، نزلت لترشد الناس كيف يستوثقون لحقوقهم حتى لا تضيع، ولأموالهم حتى لا تتلف، ولمعتقداتهم حتى لا يفقد أمنه وسعادته واستقراره. وفيها يقول المولى عز وجل:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكْتُبُوهُۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبُۢ بِٱلْعَدْلِۖ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلْيَكْتُبْۚ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِي عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِۚ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٞ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَاۗ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمْۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٞ﴾ (٩).

---

(١) منار السبيل في شرح الدليل لابن ضويان ج٢/٣٤٧.

(٢) يأب: لا يمتنع.

(٣) يملل: المراد وليملّ على الكاتب ما يكتبه والإملال هو الإملاء.

(٤) يبخس: لا ينقص.

(٥) سفيها: ضعيف الرأي في المال الذي لا يحسن التصرف فيه.

(٦) أقسط عند الله: أعدل في شرعه، وأصوب على إقامتها على وجهها الحق.

(٧) الجناح: المؤاخذة (الحرج).

(٨) لا يضار: لا يضر المتعاملان أو أحدهما الكاتب أو الشاهد. (٩) سورة البقرة الآية (٢٨٢).

احكام الإسلام في كتابة الدَّيْن والإشهاد عليه:

من خلال قراءتك الآية السابقة - آية الدين - وقراءتك تفسيرها في أحد كتب التفسير يمكنك استنتاج الأحكام التالية:

١ - يكتب الدين في وثيقة ويحدد الأجل المعين للوفاء به. فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قدم النبي - صلى الله عليه وسلم - المدينة، وهم يسلفون بالتمر السنتين والثلاث، فقال: «من أسلف في شيء ففي كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم» (١).

٢ - أن يكتب الدين كاتب عدل ثقة يرضى عنه المتعاقدان ولا يميل إلى أحد منهما.

٣ - أن يملي المدين (الذي عليه حق) على الكاتب ما في ذمته من دين ليكون ذلك إقراراً منه به.

٤ - أن يملي عن الدين (الذي عليه الحق) وليه إذا كان غير أهل الإملاء كأن يكون كبيراً ناقص عقل سيء التصرف، أو صبياً، أو شيخاً ضعيفاً مريضاً، أو عاجزاً عن الإملاء لعلة أو جهل.

٥ - أن يشهد على الوثيقة شاهدان مسلمان موثوق بهما. فإن لم يكن رجلان جازت شهادة رجل وامرأتين.

٦ - أن يؤدي الشهادة من طلب إليه أداؤها، فالشهادة أمانة يجب على الشاهد أن يبادر بأدائها حين تطلب منه.

قليل الدَّيْن و كثيره يكتب:

يوجه الله - تعالى - المؤمنين ألا ينكاسلوا عن كتابة الدَّيْن قليلاً كان أو كثيراً، مبينين بذلك موعد أدائه، لأن من عادة الناس أن يتهاونوا بكتابة المبالغ الصغيرة. قال تعالى:

﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ﴾ (٢)

وفي هذا رفع الحرج عن المتداينين وصيانة للحقوق

ومن الجدير بالذكر أن هذا التوجه القرآني بكتابة الديون قلت أو كثرت أصبح قاعدة من أهم القواعد الاقتصادية في العصر الحديث فكل المعاملات لها دفاتر خاصة تذكر فيها مواقيتها، وتفصيلاتها، والمحاكم تعتبرها أدلة في إثبات الحقوق لأصحابها.

---

(١) رواه البخاري، في كتاب «السلم» باب «السلم في وزن معلوم» حديث ٢٠٨٦.

(٢) سورة البقرة الآية (٢٨٢).

ضرورة وفاء الدَّيْن:

أوجب الإسلام على المؤتمن أن يؤدي ما عليه من أمانة. وعلى من عليه دين أن يبادر بسداده وفي ذلك يقول الله تعالى:

﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ﴾ (١).

فالدين أمانة وقد سمي كذلك لائتمان الدين عليه بترك الكتابة والشهادة والرهن. وفي هذا استثارة لإيمان المؤمنين، حتى يحافظوا على أداء الديون لأصحابها، كما يحافظون على أداء الأمانات لأهلها.

وكان - عليه الصلاة والسلام - كما مر - لا يصلي على ميت إذا عرف أنه مات وعليه ديون لم يترك ما يعين على سدادها. وذلك تخويفاً للناس من هذه العاقبة. حتى أفاء الله عليه من الغنائم والأنفال. فكان يقوم هو بسدادها وفي ذلك يقول - صلى الله عليه وسلم - «فأيما مؤمن مات وترك مالاً فليرثه عصبته من كانوا، ومن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتني فأنا مولاه» (٢).

وفي ذلك دعوة إلى ضرورة التعجيل بقضاء الدين قبل الموت، حتى لا تحبس روح المؤمن بدينه. وعلى المسلم أن يدرك أنه لا يلجأ إلى الدين إلا للحاجة الشديدة. كما أنه من الواجب ألا تفارقه نية الوفاء أبداً. لأن الدَّيْن في نظر الرجل الحر همٌّ بالليل ومذلةٌ في النهار. ولذلك كان - عليه الصلاة والسلام - يستعيذ منه لنفسه فيقول: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والجبن والبخل، وضلع الدين وغلبة الرجال» (٣).

وعليك - أيها المتعامل - أن تحذر من صور الدين الحديثة مثل «الشيك المؤجل» الذي يخوض فيه البعض دون تقدير للتبعات الاجتماعية والقانونية في حالة تعذر الوفاء به وأدائه لأصحابه.

حكم المماطلة في سداد الدَّيْن:

نهى الإسلام عن المماطلة في أداء الأمانات وسداد الديون والحقوق لأصحابها وحذر الذين يقترضون من الآخرين بنية عدم السداد بالسخط من الله في نفسه وماله وأهله. والتلف لحياته وآخرته. ومن أوضح الأدلة على ذلك ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه. ومن أخذ يريد إتلافها أتلفه الله» (٤).

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٨٣).

(٢) رواه البخاري في كتاب «الاستقراض وأداء الديون» باب (الصلاة على من ترك ديناً) ح ٢٢٢٤.

(٣) رواه البخاري في كتاب «الدعوات» باب (التعوذ من غلبة الرجال) (٧/ ٢٠٣).

(٤) رواه البخاري في كتاب «الاستقراض وأداء الديون» باب (من أخذ أموال الناس يريد أداءها أو إتلافها) ح ٢٢١٢.

ففي هذا الحديث حث على حسن النية في السلف والدين والسداد والترهيب من خلافها.

وما روي عن أبي صُرَمَة (١) - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: «من ضارّ أضر الله به ومن شاقّ شاقّ الله عليه» (٢).

استحباب إنظار المعسر:

حثّ الله تعالى على إنظار المدين والمقترض المعسر فقال سبحانه وتعالى:

﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾﴾ (٣).

كما حثّ رسوله - صلى الله عليه وسلم - على ذلك أيضاً فقد روى الطبراني عن أبي أمامة أسعد بن زرارة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: «من أحب أن يظله الله في ظله فلينظر معسراً وليضع له» (٤).

فإنه يمال المعسر حتى تتيسر أحواله وتنفرج كربته يعتبر من أجلّ الأخلاق الإسلامية التي بها تقوى الجماعة وتتجلى سماحة هذا الدين وعظم تشريعاته.

فالحمد لله على نعمة الإسلام

* * *

---

(١) صحابي مازني اسمه مالك بن قيس، شهد بدراً والمشاهد وله أحاديث.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب «الأقضية» - حديث: ٣١٥٠.

(٣) سورة البقرة الآية (٢٨٠).

(٤) رواه ابن ماجه في كتاب «الأحكام» حديث: ٢٤١٠.

التقـــــويم

اجب عن الأسئلة التالية :

س ١: عرف القرض لغة واصطلاحا. ثم سجل في كراستك دليلاً من القرآن الكريم وآخر من السنة النبوية الشريفة على مشروعيته في الإسلام.

س ٢: يعد القرض أحد هذه الأفراد التي دعا إليها الإسلام ليتم بها الترابط والتكافل بين المسلمين.. اشرح هذه العبارة موضحاً الحكمة من إباحة الإقراض في الإسلام، واذكر الدليل على ذلك.

س ٣: قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ ﴾ (الآية ٢٨٢).

- ارجع إلى التفسير الواضح د. حجازي واقرأ شرح الآية
- سجل في كراستك ما فهمته من أحكام، واقرأه على زملائك.

س ٤: ضع علامة (√) مقابل العبارة الصحيحة وعلامة (×) مقابل العبارة غير الصحيحة.

- لا يعتبر الإسلام القرض صدقة. ( )
- لا يجوز قرض الشاب في الإسلام. ( )
- يجوز قرض الحيوان. ( )
- لم يقترض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأنه كان ذا مال كثير. ( )
- يستحب إمهال المعسر حتى تيسر أحواله. ( )
- لا يشترط الفقهاء أمور التوثيق في حالة الإقراض. ( )
- لا يُوثَّق الدين إلا إذا كان كبيراً. ( )
- لا يبارك الله لإنسان يقترض مالاً، ولا ينوي أداءه. ( )
- يجب الوفاء بالدين قبل الموت. ( )

س ٥: بيّن معاني المفردات التالية مما بين الأقواس:

١ - «توثيق الدين» المراد: .....

٢ - ﴿أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ﴾ المراد: .....

٣ - ﴿مَّقْبُوضَةٌ﴾ المراد: .....

٤ - ﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ﴾ المراد: .....

س ٦: ما الذي تستنبطه من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التالية:

١ - قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ..﴾.

٢ - قوله تعالى:

﴿وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ..﴾.

٣ - قوله - صلى الله عليه وسلم -: «من أسلف من تمر فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم».

٤ - قوله تعالى:

﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ..﴾.

٥ - قوله تعالى:

﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ..﴾.

٦ - قوله تعالى:

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾.

٧ - قوله - صلى الله عليه وسلم -: «اللهم إني أعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال».

٨ - قوله تعالى:

﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾﴾.

س٧: صل كل عبارة من المجموعة «أ» بما يناسبها من عبارات المجموعة «ب» فيما يلي:

المجموعة «أ»	المجموعة «ب»
١ - شرع الإسلام القرض وحثه	* ليستفع به ثم يرده.
٢ - المماطلة في سداد الدين	* واجباً.
٣ - جعل الله -سبحانه وتعالى- القرض مباحاً للمقترض	* ليستثمره، ثم يرده إلى صاحبه إن أراد.
٤ - الدين في نظر الرجل الحر	* تعرض المرء لسخط الله -تعالى- في نفسه وماله وأهله.
	* مندوباً للمقرض.
	* همٌّ بالليل ومذلةٌ في النهار.

س٨: قال تعالى في سورة «البقرة» (آية ٢٨٣):

﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾

من خلال قراءتك لتفسير الآية السابقة في أحد كتب التفسير:

- علل سبب تسمية الدين بالأمانة، ثم بين ما يترتب على ذلك.

- بين حكم المماطلة في سداد الديون وأداء الأمانات لأصحابها.

س٩: علل ما يلي:

أ - استحباب إمهال المعسر حتى تتيسر أحواله.

ب - ضرورة التعجيل بقضاء الدين قبل الموت.

ثانياً: عقد الرهن

التمهيد:

حثت الشريعة الإسلامية على الإقراض مساعدة المعسر في قضاء حاجاته، وعوناً في حياته. ولتشجيع المسلمين على الإقراض شرّعتْ عقوداً تُدْخل الطمأنينة على قلوب أصحاب الأموال، فلا يخشون ضياعها لإفلاس أو مماطلة، فكانت عقود التوثيقات مثل عقد الرهن، والكفالة، والحوالة ضماناً للسداد بوساطة المال المرهون أو ضمان الكفيل أو تحويل الدين على غني.

وإليك - أيها المتعلم - ما يتعلق بأبرز هذه العقود من أحكام وهو عقد الرهن:

تعريف الرهن:

يطلق «الرهن» في اللغة على الثبات والدوام، مثل القول: نعمة راهنة، أي ثابتة ودائمة، كما يطلق على الحبس ومثاله قوله تعالى:

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (١)

أي محبوسة وعملها.

وفي الشرع: حبْسُ عين (٢) لها قيمة مالية لتكون وثيقة تضمن سداد الدين حيث يمكن أخذه أو أخذ بعضه منها، ومن ثمنها عند تعذر الاستيفاء (٣).

مثال توضيحي عن الرهن:

إذا استدان (علي) ألفي دينار من (عثمان) وجعل له في نظير ذلك الدين عقاراً أو حيواناً محبوساً تحت يده حتى يقضي دينه، كان ذلك هو الرهن شرعاً.

---

(١) سورة المدثر الآية (٣٨).

(٢) العين: هي عين الشيء وذات الشيء، ويقال بعينه أي بنفسه «المعجم الوسيط» (ج ٢/ ٦٤١).

(٣) «منار السبيل في شرح الدليل» للشيخ إبراهيم بن ضويان (ج ١/ ٣٥٢).

أركان عقد الرهن:

١ - الراهن: وهو المدين الذي يسلم الشيء المرهون للدائن (علي).

٢ - المرتهن: وهو الدائن الذي يحفظ الشيء المرهون للاطمئنان على سداد دينه (عثمان).

٣ - الشيء المرهون: وهو المال المحفوظ في يد الدائن كضمان (عقاراً أو حيواناً أو ذهباً).

٤ - الدين: وهو المال المتعلق في ذمة الراهن ويقدم الرهن كضمان لسداده (ألفي دينار).

مشروعية الرهن:

ثبتت مشروعية الرهن بالقرآن الكريم والسنة النبوية والإجماع. ففي القرآن الكريم قول الله تعالى:

﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾ (١).

فالآية الكريمة تبيح الرهن في السفر. وفي السنة النبوية الشريفة ثبت الرهن في الحضر فيما رواه أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - قالت: «اشترى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من يهودي طعاماً ورهنه درعه» (٢).

وأما الإجماع:

فقد أجمع العلماء على مشروعيته. لأنه يدخل الاطمئنان على قلب الدائن، ويلزم المدين بالسداد.

شروط صحة عقد الرهن:

١ - رضا المتعاقدين أو ما يقوم مقامهما في التصرف، وأن يكونا عاقلين، بالغين؛ ذلك لأن الرهن تصرف شرعي.

٢ - ويشترط في الرهن: أن يكون من مال يجوز بيعه، فكل شيء جاز بيعه جاز رهنه. لأن مقصود الرهن هو الاطمئنان إلى سداد الدين واستيفاء ثمن الرهن عند تعذر الوفاء به. وهذا لا يتحقق إلا في عين يجوز بيعها. فلا يجوز رهن «الوقف» (٣).

٣ - يتم عقد الرهن بقبض المرتهن للمتاع، أو من ينوب عنه. وبقبض الراهن الدين المالي من المرتهن.

٤ - يبقى الرهن أمانة في يد المرتهن حتى يؤدي الراهن ما عليه من دين. فإن عجز عن أدائه فيجوز في هذه الحالة للمرتهن أن يبيع الرهن، أو يأذن ببيعه وإلا أجبره على وفاء الدين أو بيع الرهن. وفي هذه الحالة يستوفي المرتهن حقه من الراهن. وما زاد يعود للمالك وهو الراهن.

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٨٣).

(٢) رواه البخاري في كتاب «الرهن» باب الرهن عند اليهود وغيرهم) حديث (٣/ ١٥٨).

(٣) الوقف: هو منع التصرف في العين وقطع المنفعة.

فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «لا يغلق (١) الرهن لصاحبه غُنمه وعليه غُرمه» (٢).

الرهن عند العرب قبل الإسلام:

كان من عادة العرب أن الراهن إذا عجز عن أداء ما عليه من دين خرج الرهن من ملكه واستولى عليه المرتهن. فأبطل الإسلام ذلك ونهى عنه وأبقى للراهن حق ملكية الرهن والتصرف فيه. فله غنمه إذا ما باعه وسدد ما عليه من ديون وتكون الزيادة له، وعليه غرمه – أي خسارته – إذا ما عجز بيعه عن سداد الديون وذلك لكثرتها.

أما المرتهن فهو أول الأشخاص الذين يحق لهم استيفاء أموالهم إذا ما بيع الرهن لأنه كان يحبس لديه وثيقة الضمان وهي «الرهن».

حكم الانتفاع بالرهن «الشيء المرهون»:

شرع الإسلام الرهن من أجل توثيق الحق النفسي للمرتهن على ماله، وهذا يعني أن عقد الرهن عقد استيثاق وضمان وليس القصد منه الاستثمار والاستغلال والربح. وهو بهذا يأخذ حكم الأمانة حتى يرد لصاحبه بعد سداد الدين، ولذلك فإنه لا يحل للمرتهن أن ينتفع بالعين المرهونة ولو أذن له الراهن، لأنه قرض جرّ نفعاً، وكل قرض جر نفعاً فهو ربا.

ويستثنى من هذا، ما لو كان المرهون دابة تُركب أو بهيمة تُحلب، فللمرتهن الانتفاع بها نظير النفقة عليها، فله شرب لبنها، واستعماله في الركوب والحمولة، على وجه الاستعمال العادي وحدود العرف، وهذا من قبيل التيسير في التعامل وإن كان استئجار الدواب أصبح شيء متعدم الآن وحل محله السيارات فتأخذ الحكم نفسه.

وقد دلّت الأحاديث النبوية على ذلك، فقد روى أبو هريرة – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يقول: «الرهن يركب بنفقته إذا كان مرهوناً، ولبن الدرّ يشرب بنفقته إذا كان مرهوناً، وعلى الذي يركب ويشرب النفقة» (٣).

---

(١) الغلق في الرهن عند الفقهاء: إذا فك الراهن فقد أطلقه من وثاقه عند مرتهنه.

(٢) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٦/٣٩).

(٣) رواه البخاري في كتاب «الرهن» باب (الرهن مركوب ومحلوب) ح ٢٣٢٩.

التقـــــويم

أجب عن الأسئلة التالية:

س ١: قال تعالى في سورة: البقرة:

﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾﴾

اقرأ تفسير الآية الكريمة في زبدة التفسير، ثم أجب عن الأسئلة التالية:

أ - ما الحكم الشرعي المستنبط من الآية الكريمة؟

ب - ما السر في اشتمال الآية على قوله سبحانه ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾؟

ج - عرّف الرهن المقبوضة.

س ٢: علل ما يلي:

أ - تشريع الإسلام للرهن.

ب - يشترط في الرهن ذاته أن يكون مالاً يجوز بيعه.

س ٣: أكمل ما يلي من الفراغات بما يناسبها من بين الأقواس: (يجب، المرتهن، عيناً، الدين، سداده).

الرهن عقد شرعي يدفع بموجبه ..... إلى الراهن متاعاً .....

مقابل ..... المالي الذي ..... على المدين .....

س ٤: عدّد أركان الرهن؟ ثم بيّن أهم شروط صحة هذا العقد في الإسلام.

س ٥: بم تحكم في القضايا التالية وفقاً لدراستك الإسلامية:

- رهن عمي عقاراً له، وأخذ ألف دينار.

- رهن رجل في دولة الكويت بيتاً له في أسبانيا.

- قال رجل لصاحبه: أعطني ألفي دينار، وأرهن لك هذه الحديقة دون أن يسلمها له.

- رهن مدين أثاث محل سيارته للدائن دون موافقة الأخير.

- رهنت امرأة بيتاً لها لكه نظير مائتي دينار.

س ٦: متى يجوز الانتفاع بالعين المرهونة؟ دلّل على ما تجيب به من السنة النبوية الشريفة.

س ٧: إذا كانت العين المرهونة سيارة فهل يجوز الانتفاع بها؟ ومتى؟

س ٨: بيّن حكم الإسلام في بيع الرهن أو إجارته بعد رجوعك إلى الموسوعة الفقهية ج/٣.

ثالثاً: عقد الإجارة

التمهيد:

من حكمة الله – عزّ وجلّ – أن وزع نعمه على الناس توزيعاً نسبياً فقد جعل عند هذا ما ليس عند ذاك فأعطى بعضاً منهم المال، وآخرون القدرة على العمل، وهكذا حتى يكون كلاهما محتاجاً للآخر، فيتبادلون المنافع بينهما، وتقضى المصالح فلا تتوقف مسيرة الحياة. ومن بين هذه المصالح استئجار من ليس عنده ممن عنده كاستئجار الأرض أو العقار أو أي شيء يصح استئجاره. إذاً فقد شرع الله – عزّ وجلّ – الإجارة استجابة لفطرة الإنسان وتحقيقاً لتعمير الكون، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ (١).

مفهوم الإجارة:

الإجارة في اللغة: اسم للأجرة، وهي كراء الأجير وهي عوض عن العمل.

والإجارة عند الفقهاء هي: عقد شرعي بين طرفين، على تمليك منفعة مقابل عوض مالي. والمنفعة قد تكون منفعة عين، كسكنى الدار، أو ركوب سيارة. وقد تكون منفعة عمل مثل عمل المهندس والبناء والخياط والكواء.

دليل مشروعيتها:

عقد الإجارة مشروع في الإسلام على سبيل الجواز، والدليل على ذلك ما يلي:

١-: من الكتاب قوله سبحانه:

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ (١).

---

(١) سورة الزخرف (الآية: ٣٢)

وقد ورد ذكر الإجارة كما في قوله تعالى:

﴿ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ ﴾ (١)

وقوله تعالى:

﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ (٢).

٢- من السنة الشريفة ما ترويه لنا السيدة عائشة - رضي الله عنها - في حديث الهجرة قالت: «واستأجر النبي - صلى الله عليه وسلم - وأبو بكر رجلاً من بني الديل هادياً خرِّيتا (٣) وهو على دين كفار قريش، فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال، فأتاهما براحلتيهما صبح ثلاث» (٤).

وفي الحديث السابق دليل على جواز استئجار المسلم للكافر على هداية الطريق إذا أمن إليه وعليه أجاز الفقهاء استئجار المشركين عند الضرورة، في حين أنه من المحذور أن يؤجر المسلم نفسه للمشرك لما فيه من الإذلال.

وعن ابن عمر - رضي الله تعالى عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: «أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه» (٥).

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «احتجم (٦) النبي - صلى الله عليه وسلم - وأعطى الحجام أجره» (٧).

٣- من الإجماع:

أجمعت الأمة على مشروعية الإجارة منذ عصر الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - إلى الوقت الحاضر، وذلك لحاجة الناس إليها في الدور السكنى، وحاجة بعضهم لخدمة بعض، وحاجتهم إلى الدواب والآلات والسيارات لقضاء المصالح والأعمال، وحاجتهم إلى الأرض للزراعة وغير ذلك.

والإجارة: عقد ينعقد بلفظ الإجارة والكراء وما اشتق منهما وبكل لفظ يدل عليه.

---

(١) سورة الكهف الآية (٧٧).

(٢) سورة القصص الآية (٢٦).

(٣) الخريت: الماهر بالهداية.

(٤) رواه البخاري في كتاب «الإجارة» باب (استئجار المشركين عند الضرورة) - حديث ٢٢٦٣.

(٥) رواه ابن ماجه في كتاب «الأحكام» باب (الرهون) ح ٢٤٣٤.

(٦) الحجامة: أخذ الدم من الرأس.

(٧) رواه البخاري في كتاب «الإجارة» باب (خراج الحجام) - حديث ٢١١٨.

حكمة مشروعية الإجارة:

الإجارة وسيلة التيسير على الناس في الحصول على ما يحتاجونه من المنافع التي لا ملك لهم في أعيانها. فالفقير محتاج إلى مال الغني، والغني محتاج إلى عمل الفقير، ومراعاة حاجة الناس أصل في تشريع العقود في الإسلام.

أركان الإجارة:

١ - المؤجر: هو المالك الذي يؤجر المنفعة.

٢ - المستأجر: هو الطرف الآخر الذي يبذل الأجر.

٣ - الشيء المؤجر: هو الشيء المعقود عليه المنفعة.

٤ - الأجرة أو الأجر: هو المال المبذول في مقابل المنفعة.

شروط صحة عقد الإجارة:

١ - رضا المتعاقدين، لقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ (١).

٢ - العقل والبلوغ فلا ينعقد من صبي ولا من مجنون.

٣ - معرفة المنفعة المعقود عليها معرفة تامة تمنع من المنازعة وتتم هذه المعرفة بمشاهدة العين التي يراد استئجارها أو بوصفها الوصف المنضبط كوصف موقع الدار وعدد غرفها ومرافقها ومحتوياتها. وكذلك بيان مدة الإجارة مثال: سكن الدار إن كان شهراً أو سنة، وخدمة آدمي شهراً أو سنة مثلاً. وكذلك بيان العمل المطلوب بياناً وافياً مثل: بناء حائط فيبين طوله وعرضه ووصفه المطلوب.

٤ - معرفة الأجر المتفق عليه بين الطرفين ولا خلاف في ذلك.

٥ - إذا كان المعقود عليه (محل العقد) منفعة عين فكل عين تبقى بعد الانتفاع بها انتفاعاً مشروعاً يجوز إجارتها. لأن الإجارة عقد على منافع فقط كما قلنا، فلا يجوز استئجار الطعام للأكل لأنه يهلك بالانتفاع به، ولا يبقى بعده وكذلك الشمع فإنه ينفد بعد استخدامه فلا تصح إجارته.

٦ - أن تكون المنفعة مباحة لا محرمة، فلا تصح الإجارة على المعاصي، لأن المعصية يجب اجتنابها فمن استأجر رجلاً ليقتل رجلاً ظلماً، أو رجلاً ليحمل له الخمر، أو آجر داره لمن يبيع بها الخمر، أو ليلعب فيها القمار، أو ليجعلها كنيسة، أو آجر أشخاصاً وأسلحة لتخريب بلد معين فإنها تكون إجارة فاسدة.

---

(١) سورة النساء الآية (٢٩).

وكذلك لا يحل إعطاء الأموال لأعوان الكاهن (١)، ولا العراف (٢)، وهو ما يعطاه على كهانته وعرافته إذ إنه عوض عن محرم وأكل أموال الناس بالباطل.

فسخ الإجارة وانتهاؤها:

يتفسخ عقد الإجارة بهلاك العين أو بانقضاء المدة أو بأداء العمل المطلوب أو بظهور عيب أو ضرر يمنع استيفاءه، أو انتفاء أي شرط من الشروط السابقة المتفق عليها بين المتعاقدين

أنواع الإجارة:

١ - إجارة منفعة العين كالدور للسكنى، والأرض للزراعة، والسيارات والدواب للانتفاع بها وغير ذلك من المنافع.

٢ - إجارة منفعة شخص أو عمله ويكون الأجير هذا نوعين:

أ - أجير خاص: وهو الشخص الذي يستأجر مدة معلومة ليعمل فيها، فإن لم تكن المدة معلومة كانت الإجارة فاسدة ويجوز لكل واحد منهما فسخها متى أراد ولا يجوز له في أثناء هذه المدة المتعاقد عليها أن يعمل لغير مستأجره، فإن عمل لغيره في المدة نقص من أجره بقدر عمله ومثاله (الخادم الخاص في المنزل)

ب - أجير عام أو مشترك: هو الذي يعمل لأكثر من واحد فيشتركون جميعاً في نفعه كالصباغ، والخياط، والحداد، والنجار، والمهم انه يعمل بأجرة متفق عليها مع كل جهة، ويسلم المتفق عليها في المدة المطلوبة.

استحقاق الأجرة:

إذا كان عقد الإجارة عقداً على عمل، فإن الأجرة تملك بالعقد ويستحق الأجير أجرته عند إيفاء العمل؛ لأن الأجرة عوض عنه.

فعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه» (٣).

---

(١) الكاهن: هو الذي يدعي معرفة الأسرار بالغيب من أخبار الكائنات في المستقبل.

(٢) العراف: هو الذي يدعي معرفة الأشياء المسروقة ومكان الضالة.

(٣) رواه ابن ماجه في كتاب «الأحكام» باب (أجر الأجراء) - حديث ٢٤٣٣.

وإذا كان المعقود عليه منفعة، فإذا استوفى المستأجر المنفعة استقر الأجر. فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - «أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عامل خيبر بشطر ما يخرج منها من ثمر أو زرع» (١).

وبذلك نجد أن الإسلام قد كفل حقوق كل من المؤجر والمستأجر بما سنه من تشريعات ونظم وأحكام تقوم على أساس القيم الإسلامية من الإخلاص في العمل وحسن المعاملة والأمانة والصدق. وهذه القيم هي أساس التعامل بين الناس، فضلاً عن توثيق العقود وأهميته، وما لكل عقد من شروط وأحكام تتحقق من خلالها مصالح العباد في كل زمان ومكان.

* * *

(١) رواه البخاري في كتاب «المزارعة» باب (المزارعة بالشطر) حديث رقم ٢٣٢٨.

التقـــــويم

اجب عن الأسئلة التالية :

س١: عرف الاجارة لغة. واصطلاحا. واذكر الدليل على مشروعيتها من القران الكريم والسنة المطهرة والاجماع.

س٢: قال تعالى في سورة. الزخرف. (أية ٣٢).

﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾

- اقرأ شرح الآية في تفسير أيسر التفاسير وانقل ما فهمته إلى كراستك

ثم أجب عما يلي:

- ما الحكمة من خلق الله - تعالى - الناس أغنياء وفقراء؟

- ما الحكمة من تشريع عقد الإجارة؟

س٣: عدد شروط صحة عقد الإجارة في الاسلام مع التمثيل لذلك.

س٤: وضح متى تجب الأجرة لصاحبها؟ مع التمثيل.

وما حكم المماطلة في إعطائها لصاحبها اذا وجبت؟

س٥: ضع علامة (√) مقابل العبارة الصحيحة. وعلامة (×) مقابل العبارة غير الصحيحة.

- يستطيع الأغنياء أن يحققوا مطالبهم دون مساعدة من أحد . ( )

- لم تعرف الإنسانية تشريع الإجارة إلا بعد ظهور الإسلام . ( )

- يجوز للأجير الخاص أن يعمل لغير مستأجره بدون إذنه ( )

- لا يجوز استئجار المشركين في منفعة المسلمين . ( )

س ٦: ماذا تستنتج مما يلي من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التالية :

١ - قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ ﴾

٢ - قوله - صلى الله عليه وسلم: «اعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه».

٣ - قول ابن عباس - رضي الله عنهما: «احتجم النبي - صلى الله عليه وسلم - وأعطى الحجام أجره».

س ٧: أكمل الفراغ التالي:

١ - تعريف إجارة منفعة ..... كالدور للسكنى والأرض للزراعة والدواب لـ .....

ويكون إجارة متلفة ..... أو .....

ويكون الأجير هنا نوعين هما أجير ..... ومثاله .....

وأجير ..... ومثاله الخياط.

س ٨: عدد الأحوال التي بها ينفسخ عقد الإجارة. وماذا تستنتج من ذلك؟

س ٩: ما الفرق بين الأجير الخاص والأجير المشترك مع التمثيل؟

س ١٠: بيّن نوع الإجارة فيما يلي ثم اذكر متى تستحق الأجرة:

- طلبت من الخياط تفصيل ملابسك في مدة معينة.

- استحضرت حلاقاً في بيتك مدة ثلاثة أيام ليتم بعض الأعمال.

- استأجرت منزلاً بأجر معلوم لمدة شهر.

س ١١: قدم نصيحة إلى من يأكلون أجور عمالهم.

س ١٢: بيّن حكم الإسلام فيما يلي مع بيان السبب:

- استأجر شخص بيتاً للسكن ثم استخدمه متجراً.

- استأجر شخص سيارة خاصة واستخدمها لنقل الركاب.

- تلفت السيارة المستأجرة بسبب حادث كان سببه السرعة.

رابعاً: الوصية

التمهيد:

إن ما شرعه الله - تعالى- وفرضه لينظم به حياة الناس و ما يتعلق بأخص شؤونهم وهو قسمة أموالهم وتركاتهم بين ذرياتهم وأولادهم لهو أبر بالناس وأنفع لهم مما يقسمونه هم لأنفسهم ويختارونه لذرياتهم. وفي ذلك يقول الله تعالى

﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ ﴾ (١).

بل إن عدل الله -تعالى- ورحمته تتعدى ذلك إلى فتح باب البر والتعاون والرحمة بين الناس وسد هاوية المحجوبين (٢) المحرومين منهم ومشاركتهم آلامهم. وإلى توثيق العلاقات والمصالح العائلية بينهم، وإزالة أسباب الحسد والحقد والصراع قبل أن تنبت بينهم فشرع الله -تعالى- الوصية لذلك.

وبها أتاح الإسلام للمسلم أن يتدارك ما قد يرد في حياته من تقصير بالبذل والإنفاق في وجوه الخير المختلفة تجاه بعض الناس من أهله وأصدقائه ومعارفه وجيرانه، والتي تعد سبيلاً إلى التحاب والتواد بين الناس وتقوية صلاتهم الطيبة بعضهم ببعض.. ولذا حثه الإسلام على الوصية ودعاه إلى الإسراع في كتابتها.

تعريف الوصية:

الوصية في اللغة: بمعنى العهد. تقول: أوصيت لفلان بكذا، أي عهدت إليه به. والوصية مأخوذة من وصيت الشيء أو صيته إذا أوصلته.

وهي في الشرع: الأمر بالتصرف بعد الموت، أو بعبارة أخرى: هي التبرع بالمال بعد الموت (٣).

---

(١) سورة النساء، الآية (١١).

(٢) المحجوبين: الحالات التي يحجب فيها بعضهم بعضاً في الميراث.

(٣) الملخص الفقهي ج٣ كتاب "المواريث" صفحة ١٧٢.

وعرفها البعض: بأنها تمليك مضاف إلى ما بعد الموت بطريق التبرع. ومن هذا التعريف يتبين لك أيها المتعلم:

الفرق بين الهبة والوصية: فالتمليك المستفاد من الهبة يثبت في الحال. أما التمليك المستفاد من الوصية فلا يكون إلا بعد الموت.

هذا من جهة. ومن جهة أخرى: فالهبة لا تكون إلا بالعين. والوصية تكون بالعين وبالدين (١) وبالمنفعة (٢).

أما الإيصاء:

فهو التناصح بالخير وتقوى الله تعالى. ويكون في حياة المسلم وبعد مماته بوصية مكتوبة. كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (٣).

وكما في الحديث الشريف الذي رُوي عن أبي أيوب قال: «جاء رجل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله علّمني وأوجِزْ قال: إذا قُمت في صلاتك فصلِّ صلاة مودع ولا تكلم بكلام تعتذر منه واجمع الياس عما في أيدي الناس» (٤).

دليل مشروعية الوصية:

الوصية مشروعة بالكتاب الكريم والسنة المطهرة والإجماع.

فدليلها من الكتاب الكريم قول الله سبحانه:

﴿كُتِبَ (٥) عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ (٦) أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا (٧) الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ (٨) حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾﴾ (٩).

---

(١) الوصية بالدين: أي يوصي بسداد دين عليه لله أو للناس.

(٢) والوصية بالمنفعة تصح بسداد دين عليه أو له كأداء وديعة أو رجوع أمانة عنده.

(٣) سورة البقرة الآيتان (١٣١ - ١٣٢).

(٤) رواه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب (الحكمة) حديث (٤١٦٩).

(٥) أي فرض.

(٦) أي وجدت أسبابه أو علاماته.

(٧) المال.

(٨) المعروف: الذي لا ظلم فيه للورثة، أي العدل.

(٩) سورة البقرة الآية (١٨٠).

ويقول - عز وجل - في بيان وقت توزيع المال بين الورثة:

﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ﴾ (١).

ودليلها من السنة النبوية المطهرة الآتي:

١ - روى البخاري ومسلم عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه، يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده» (٢).

٢ - روى الإمام أحمد بسنده عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه حدثه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إن الرجل ليعمل والمرأة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهم الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار» ثم قرأ علي أبو هريرة: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ ۝١٢﴾ (٣) (٤).

ودليلها من الإجماع:

استنادًا لهذه النصوص وغيرها أجمع علماء المسلمين على مشروعية الوصية.

وصية الصحابة:

انتقل الرسول إلى الرفيق الأعلى ولم يوص؛ لأنه لم يترك مالاً يوصي به، وقد قال العلماء ذلك بأنه لم يترك مالاً بعده أما الأرض فقد كان سبلها. وأما السلاح والبغلة فقد أخبر أنها لا تورث أما الصحابة رضوان الله عليهم. فقد كانوا يوصون ببعض أموالهم تقربًا إلى الله تعالى وكانت لهم وصية مكتوبة لمن بعدهم من الورثة.

صيغة الوصية:

لا تكون الوصية صحيحة إلا بصيغة واضحة تدل عليها، وتكون باللفظ (كأوصيت وعهدت بعد مماتي) أو بالكتابة أو بالإشارة المفهمة لمن كان عاجزًا عن النطق أو الكتابة.

ويحكي لنا أنس بن مالك - رضي الله عنه - صيغة الوصية التي كان الصحابة - رضوان الله عليهم - يكتبونها فيقول:

كانوا -أي الصحابة- يكتبون في صدور وصاياهم:

هذا ما أوصى به فلان بن فلان أن يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ويشهد أن محمدًا عبده

---

(١) سورة النساء الآية (١٢).

(٢) رواه البخاري في كتاب «الوصايا» - حديث ٢٥٣٣.

(٣) سورة النساء الآية (١٢).

(٤) رواه الترمذي في كتاب «الوصايا» باب (ما جاء في الضرار في الوصية) ح ٢٠١٣.

ورسوله وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأوصى من ترك من أهله أن يتقوا الله ويصلحوا ذات بينهم ويطيعوا الله ورسوله إن كانوا مؤمنين، وأوصاهم بما أوصى به إبراهيم بنيه ويعقوب:

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (١)

ثم يدخل في الوصية.....) (٢)

حكمة مشروعية الوصية:

شرعت الوصية في الإسلام لما فيها من مصالح ومنافع تعود على الموصي وأقربائه ومجتمعه وهي من محاسن الإسلام، إذ جعل لصاحب المال جزءاً من ماله، يعود عليه ثوابه وأجره بعد موته.

وهي من لطف الله -تعالى- بعباده ورحمته بهم، حيثما أباح لهم من أموالهم عند خروجهم من الدنيا أن يتزودوا لآخرتهم بنصيب منها. ولهذا جاء في بعض الأحاديث القدسية قول الله تعالى: «يابن آدم اثنتان لم تكن لك واحدة منهما: جعلت لك نصيباً من مالك حين أخذت بكظمك(٣) لأطهرك به وأزكيك، وصلاة عبادي عليك بعد انقضاء أجلك». (٤)

أحكام الوصية في الإسلام:

للوصية أحكام متعددة بتعدد الأحوال واختلافها، فقد تكون واجبة، أو مندوبة، أو محرمة، أو مكروهة، أو مباحة، وإليك تفصيل ذلك:

الوصية الواجبة:

تجب الوصية في حالة ما إذا كان على الإنسان حق شرعي يخشى أن يضيع إذا لم يوص به كوديعة ودين لله أو لآدمي، مثل أن يكون عليه زكاة لم يؤدها أو حج لم يقم به، أو تكون عنده أمانة يجب عليه أن يردها لصاحبها، أو يكون عليه دين لا يعلمه غيره أو يكون عنده وديعة بغير إشهاد.

الوصية المستحبة:

تكون للفقراء من الأقارب وللصالحين من الناس، أو في الأعمال الخيرية في سبيل الدعوة والتعليم والإصلاح وغيرها

---

(١) سورة البقرة الآية (١٣٢)

(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٢١٠).

(٣) الكظم: مخرج النفس من الحلق ويريد عند خروج نفسه وانقطاع نفسه. تيسير العلام (٢/ ٢٧٤)

(٤) رواه ابن ماجه في كتاب الوصايا - حديث ٢٧٠١

الوصية المحرمة:

تحرم الوصية إذا كان فيها إضرار بالورثة، فعن ابن عباس - رضي الله عنه- أنه قال: «الإضرار في الوصية من الكبائر» (١) وتحرم كذلك إذا أوصى بخمر أو ببناء كنيسة أو بدار لسهو.

الوصية المكروهة:

تكره الوصية إذا كان الموصي قليل المال وله ورثة يحتاجون إليه، كما تكره لأهل الفسق متى علم أو غلب على ظنه أن الموصى له سيستعين بها على الفسق والفجور.

الوصية المباحة:

تباح الوصية إذا كانت لغني سواء كان الموصى له قريباً أم بعيداً.

أركان الوصية والشروط المتعلقة بها:

الوصية تقتضي موصياً وموصى له، ولكل شروط نذكرها فيما يلي:

شروط الموصي:

يشترط في الموصي أن يكون أهلاً للتبرع، بأن يكون كامل الأهلية وكمال الأهلية بالعقل، والبلوغ، والحرية، والاختيار، وعدم الحجر لسفه أو غفلة، فإن كان الموصي ناقص الأهلية بأن كان صغيراً أو مجنوناً أو عبداً أو مكرهاً أو محجوراً عليه فإن وصيته لا تصح.

شروط الموصى له:

١- أن لا يكون وارثاً للموصي، فقد ورد عنه أنه قال: «إن الله أعطى كل ذي حق حقه، ولا وصية لوارث» (٢).

٢- إذا كان الموصى له معيناً أو غير معين» (٣)، يشترط لصحة الوصية له أن يكون موجوداً وقت الوصية تحقيقاً أو تقديراً، أي يكون موجوداً بالفعل وقت الوصية أو يكون مقدراً وجوده في أثنائها، الوصية لحمل فلانة وكان الحمل موجوداً وقت الوصية، فإذا قال الموصي: أوصي بدار لأولاد فلان ولم يعين ثم مات ولم يرجع عن الوصية، فإن الدار تكون مملوكة للأولاد الموجودين وقت موت الموصي سواء منهم الموجود حقيقة أو تقديراً كالحمل.

---

(١) رواه سعيد بن منصور موقوفاً بإسناد صحيح ورواه النسائي مرفوعاً ورجاله ثقات وابن حجر في «فتح الباري» ٥/ ٤٥٢.

(٢) رواه الترمذي في كتاب «الوصايا» حديث ٢٠٤٧.

(٣) غير الشخص: تعريفه أو تحديده.

٣- ويشترط في الموصى له أن لا يقتل الموصي قتلاً محرماً مباشراً لأن القتل يمنع الميراث فمن باب أولى يمنع الوصية

شروط الموصى به:

١- يشترط في الموصى به أن يكون بعد موت الموصي. فابلاً للتملك بأي سبب من أسباب التملك. فتصح الوصية بكل مال مُتقوّم من الأعيان. ومن المنافع وتصح الوصية بما يثمره الزرع وغيره لأنه يملك بالإرث، فما دام وجوده محققاً وقت موت الموصي استحقه الموصى له.

٢- تصح الوصية بالدين وبالمنافع كالسكنى ونحوها.

٣- لا تصح بما ليس بمال كالميتة، ولا بمحرم كالمسروق مثلاً أو كالخمر للمسلمين.

الوصية بالثلث:

يجوز الوصية بالثلث ولا تجوز الزيادة عليه. والأولى أن ينقص عنه. وقد استقر الإجماع على ذلك.

روى البخاري والترمذي وغيرهما عن سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- قال: جاء النبي يعودني، وأنا بمكة وهو يكره أن يموت بالأرض التي هاجر منها قال: يرحم الله ابن عفراء. قلت: يا رسول الله أوصي بمالي كله؟ قال: لا. قلت: فالشطر (١)؟ قال: لا. قلت: الثلث؟ قال: فالثلث والثلث كثير. إنك إن تدع (٢) ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون (٣) الناس في أيديهم، ولم يكن له يومئذ إلا ابنة (٤).

بطلان الوصية:

وتبطل الوصية بفقد شرط من الشروط المتقدمة كما تبطل بما يأتي:

١- إذا جن الموصي جنوناً مطبقاً واتصل الجنون بالموت (٥).

٢- إذا مات الموصى له قبل موت الموصي.

٣- رد الموصى له الوصية بعد موت الموصي.

٤- تلف العين الموصى بها كانهدام مبنى قديم أو حريق مزرعة أو سيارة ونحو ذلك مما قد يوصى به.

---

(١) الشطر: النصف.

(٢) تدع: تترك.

(٣) عالة يتكففون: فقراء يمدون أكفهم.

(٤) رواه البخاري في كتاب "الوصايا" باب (أن يترك ورثته أغنياء) حديث ٢٥٣٧، ٣٧

(٥) الجنون المطبق هو الجنون الذي يستمر سنة أو هو الذي يستمر شهراً وعليه الفتوى.

توثيق الوصية:

أمر الإسلام بتوثيق الوصية شأنها في ذلك شأن كل العقود والمعاملات الشرعية، حفاظاً على حق أصحابها وضماناً لعدم إنكار الورثة لها، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ (١).

سواء كان ذلك التوثيق بالكتابة أو بالإشهاد أو بأي أسلوب من أساليب التوثيق المشروعة، والتي وردت عن رسولنا الكريم ولهذا فقد حرص الصحابة -رضوان الله عليهم- أجمعين على كتابة وصاياهم، وفي ذلك يقول عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: «ما مرّت عليّ ليلة منذ سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه، يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده» (٢) إلا وعندي وصيتي، وذلك حتى تزداد الرابطة الأسرية وتوثق العلاقات، وتؤدى الحقوق وتحفظ الواجبات، والوصية بتقوى الله والاستمساك بالدين توجد مجتمعاً صالحاً محباً الخير مبتعداً عن الشر ولا سيما الوصية محل التنفيذ.

* * * *

(١) سورة المائدة الآية (١٠٦).

(٢) رواه البخاري في كتاب «الوصايا» حديث ٢٥٣٣ / ٣٧.

التقـــويم

أجب عن الأسئلة التالية:

س١: ما المقصود بالوصية في اللغة والشرع؟

وما الفرق بينها وبين الإيصاء؟

س٢: اذكر أدلة مشروعية الوصية في الإسلام. ثم بين الحكمة من تشريعها.

س٣: علل ما يلي:

- تشريع الإسلام للوصية.

- توثيق الوصية.

- قيدت الوصية بالثلث فأقل.

س٤: اذكر الدلالة التي اتفق العلماء على وجوب الوصية فيها.

س٥: صل بين المجموعة (أ) وما يناسبها من المجموعة (ب) فيما يلي:

(أ)	(ب)
الوصية هي	- المال الذي يقدمه صاحبه لمن يقترضه، ليرده عند قدرته.
الإعارة هي	- الاتفاق على المنفعة لغير معين يحتاجه المجتمع.
الدين هو	- تمليك مضاف إلى ما بعد الموت بطريق التبرع.

س٦: ما الفرق بين الوصية والهبة؟

س٧: أكمل الفراغ التالي:

١- الوصية الواجبة هي: .....

٢- الوديعة المكروهة هي: .....

٣- الوصية المستحبة هي: .....

٤- الوصية المحرمة هي: .....

س٨: ما الشروط الواجب توافرها في كل من الموصي والموصى له والموصى به لتصح الوصية؟

س٩: بين كيف تتحقق بالوصية مصلحة الموصي ومصلحة أقربائه ومجتمعه.

س١٠: بين حكم ما يلي:

١- أوصى رجل بألف دينار من ماله لجهات البر.

٢- أوصى رجل بنصف ماله لأحد أصدقائه.

٣- أوصى شخص بثلث ماله لبناء مسجد.

٤- أوصت امرأة بثلث مالها لزوجها.

٥- أوصى رجل بمال، عصره أو سرقه لأحد أصدقائه.

٦- أوصت امرأة بما دون الثلث من مالها لأحد جمعيات النفع العام.

٧- رجع رجل عن وصية كان قد أوصى بها لأحد خدمه في حياته.

س١١: ارجع إلى تفسير "أيسر التفاسير".

وبين الأحكام المستنبطة من الآيتين التاليتين:

- قوله تعالى في سورة النساء:

﴿ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ ﴾ آية (١١).

- قوله تعالى في سورة المائدة:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ ﴾

آية (١٠٦)

المراجع

- الآداب الشرعية والمنح المرعية – للشيخ محمد بن مفلح المقدسي – مؤسسة الرسالة – بيروت.
- الإتقان في علوم القرآن - السيوطي – ط٣ – دار ابن كثير – دمشق.
- أثر تطبيق الحدود في المجتمع – بحوث مؤتمر الفقه الإسلامي ١٩٨١ – جامعة الإمام محمد بن سعود.
- الأحكام السلطانية – للماوردي – ط٢ – مصطفى الحلبي – القاهرة ١٣٦٨هـ ١٩٦٦م.
- إحياء علوم الدين – لأبي حامد الغزالي – الدار المصرية اللبنانية.
- الأخلاق الإسلامية وأسسها – عبدالرحمن حسن حبنكة.
- الاستيعاب – ابن عبدالبر.
- الإصابة في تمييز الصحابة – ابن حجر العسقلاني.
- إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد – د. صالح بن فوزان الفوزان – مؤسسة الرسالة.
- إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية – مصطفى صادق الرافعي – دار الكتاب العربي – بيروت والمكتبة التجارية الكبرى ١٩٦٥م.
- أيسر التفاسير – الشيخ أبو بكر الجزائري.
- بحوث في تاريخ السنة – د. أكرم ضياء العمري.
- البداية والنهاية – لابن كثير – دار الفكر العربي.
- تاريخ الخلفاء الراشدين – جلال الدين السيوطي.
- تدريس التربية الإسلامية – أسسه وتطبيقاته التربوية – د. محمد صلاح الدين مجاور – دار القلم – الكويت.
- تذكرة الحفاظ – الإمام الذهبي.
- تربية الأولاد في الإسلام – عبدالله ناصح علوان – دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.
- الترغيب والترهيب – للمنذري ط ١٩٦٠م – المكتبة التجارية، جمهورية مصر العربية.
- تفسير القرآن الكريم – لابن كثير طبع دار إحياء التراث العربي ودار التراث بجمهورية مصر العربية.

- تفسير الوسيط - للواحدي النيسابوري تحقيق د. احمد عبدالغني الجمل وآخرون - دار الكتب العلمية - بيروت.
- تهذيب الآثار - الطبري تحقيق ناصر سعد الرشيد - دار الصياد - بيروت.
- تهذيب التهذيب - الحافظ ابن حجر - دار الصياد - بيروت.
- توثيق السنة في القرن الثاني الهجري د. رفعت فوزي طلب.
- تيسير مصطلح الحديث - د. محمود الطحان - مكتبة المعارف بالرياض - طبعة ١٩٨٧م.
- الثمرات الزكية في العقائد السلفية - د. احمد فريد - مكتبة التوعية الإسلامية.
- الجامع لاحكام القرآن - القرطبي - دار الشعب - جمهورية مصر العربية.
- حجية السنة - د. عبدالغني عبدالخالق.
- الحديث والمحدثون - الشيخ محمد محمد أبو زهو.
- حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية وقواعد القانون الدولي - د. محمد عبدالعزيز ابو سخيلة - طبع مطابع عمان ١٩٨٥م.
- الحلال والحرام في الإسلام - الشيخ احمد عساف - دار إحياء العلوم - بيروت.
- سبل السلام شرح بلوغ المرام - للصنعاني - تحقيق إبراهيم عصر - دار الحديث بمصر ١٩٧٩م.
- سنن ابي داود - لأبي داود السجستاني - تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد - دار إحياء التراث العربي بلبنان - الناشر دار إحياء السنة النبوية.
- سنن ابن ماجة - الحافظ ابي عبدالله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة - طبع عيسى الحلبي بمصر ١٣٧٢م.
- سنن الدار قطني - نشر عبدالله هاشم يماني المدني - المدينة المنورة - والطباعة الفنية المتحدة - جمهورية مصر العربية.
- سنن الترمذي - مطبعة المدني بالقاهرة.
- سنن الدارمي - تحقيق مصطفى البغا - دار القلم - دمشق ١٩٦٣م، ١٩٦٦م.
- السنة قبل التدوين - د. محمد عجاج الخطيب.
- السنة المفترى عليها - للمستشار سالم البهنساوي - دار الوفاء - مصر ودار البحوث العلمية الكويت.

- سنن النسائي - ط مصطفى الحلبي مصر ١٩٦٤م ودار الحديث ١٩٨٧م.
- سير اعلام النبلاء - الإمام الذهبي.
- شرح العقيدة الواسطية - لشيخ الإسلام ابن تيمية د. محمد خليل هراس - دار الهجرة.
- الشريعة - للإمام ابي بكر محمد بن حسن الأجري - تحقيق محمد حامد الفقي - دار السلام - الرياض.
- صحيح ابن حبان - تحقيق شعيب الارناؤوط - مؤسسة الرسالة - بيروت ط٢ - ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.
- صحيح البخاري - ابو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري - دار إحياء التراث، ودار الفكر، ودار القلم بدمشق.
- صحيح مسلم - لمسلم بن الحجاج بن مسلم. دار الشعب بمصر - والطبعة المصرية.
- الطبقات الكبرى - لأبي عبدالله محمد بن سعد. طبع لجنة نشر الثقافة الإسلامية بالقاهرة.
- العبادة احكام واسرار - د. عبدالحليم محمود - دار الكتاب اللبناني - بيروت ط٢ - ١٩٨٠م.
- عبادات الإسلام فقهها واسرارها - محيي الدين مستو - دار ابن كثير دمشق - دار الكلم الطيب.
- عبادات في الإسلام - د. محمد إسماعيل عبده - مكتبة الفلاح - الكويت.
- العقيدة الصافية للفرقة الناجية - سيد سعيد عبدالغني - دار ابن تيمية - القاهرة - العلاقات الخارجية في دولة الخلافة.
- علوم القرآن - د. محمد احمد القاسم و د. منيع عبدالحليم محمد - ط الاولى - طبع دار الطباعة المحمدية - مصر ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني - دار المعرفة - بيروت.
- قالوا عن الإسلام - لعماد الدين خليل.
- قصص الأنبياء - الحافظ ابن كثير.
- قواعد الاحكام - العز بن عبدالسلام
- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان احمدفؤاد عبدالباقي.
- اللآلىء الحسان - د. موسى شاهين لاشين - مطبعة الفجر الجديد - مصر.
- لمحات في اصول الحديث - د. محمد اديب الصالح - ط٥ - الكتب الإسلامي
- مباحث في علوم القرآن - لمناع القطان - مؤسسة الرسالة - بيروت

- مجالس رمضان الإسلامية- الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين- مكتبة الهدى.
- المجتمع الإسلامي وحقوق الإنسان- د. محمد صادق الرافعي - سلسلة صادرة عن إدارة الصحافة برابطة العالم الإسلامي بالسعودية - العدد ٦٢- السنة السادسة.
- المدخل إلى التفسير الموضوعي -د. عبدالستار فتح الله سعيد- دار الطباعة والنشر الإسلامية ط١.
- المدخل إلى توثيق السنّة - د. رفعت فوزي.
- مدخل إلى دراسة العقيدة الإسلامية- عثمان جمعة ضميرية- مكتبة الوادي - جدة.
- مدخل إلى القرآن - د. محمد دراز.
- مسند الإمام أحمد- الإمام أحمد بن حنبل - ط٢- المكتب الإسلامي- بيروت ودار الفكر (١٣٩٨هـ - ١٩٨٧م) الناشر مكتبة الجمهورية العربية مصر.
- المغني - لابن قدامة المقدسي.
- مفتاح السنّة- د. عبدالله شحاتة.
- منار السبيل في شرح الدليل- لابن ضويان.
- الموسوعة الفقهية- وزارة الأوقاف- الكويت.
- نظام الحكم في الإسلام- د. عارف خليل أبو عيد- ط١ ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م- دار النفائس- الأردن.
- نظرية العقد في الفقه الإسلامي- د. محمود محمد حسن.
- نيل الأوطار - لأحمد بن علي بن محمد الشوكاني - دار الجيل - بيروت- لبنان- ١٩٧٣م

أودع بمكتبة الوزارة تحت رقم ١٢٩ بتاريخ ٢٠/ ٥/ ٢٠٠٦م

مطبوع في

مطابع الخط

تلك دعوة الرسل ونداءاتهم إلى أقوامهم رسولاً بعد رسول ونبياً إثر نبي، حتى جاء خاتمهم محمد - صلى الله عليه وسلم - فقال له ربه:

﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (١).

● التوحيد أساس الإسلام وشعاره

لا يمكن أن يتحقق الإسلام من غير توحيد. فقد أرسل الله - عز وجل - به الرسل والأنبياء وبه تميزت دعواتهم. وبه نزلت آيات القرآن الكريم على قلب النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - قال تعالى:

﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (٢).

وبه دعا الرسول - صلى الله عليه وسلم - وكان يوصي رسله إلى القبائل وغيرها بالدعوة إليه تم يتبعونه بالدعوة إلى أمور الدين الأخرى. لما بعث الرسول - صلى الله عليه وسلم - معاذاً إلى اليمن قال له:

«إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله تعالى فإذا عرفوا ذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا صلوا فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة في أموالهم تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم فإذا أقروا بذلك فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس» (٣).

وقد مكث النبي - صلى الله عليه وسلم - في مكة ثلاث عشرة سنة بعد البعثة يدعو الناس إلى تصحيح العقيدة بعبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام.

● التوحيد حق الله - سبحانه وتعالى - على العباد

الله - سبحانه وتعالى - صاحب الفضل على الإنسان فأمده بنعم كثيرة لا تعد ولا تحصى. منها نعم الخير والهدى والرشاد. ولذلك فإنه - سبحانه وتعالى - أمر الناس أن يوحدوه ويعبدوه لأن في ذلك حق الله عليهم. قال تعالى:

﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ (٤).

وعن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - قال: كنت ردف النبي - صلى الله عليه وسلم - على حمار فقال لي: «يا معاذ تدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟» قال قلت: الله ورسوله أعلم قال: فإن حق الله على العباد أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً. وحق العباد على الله - عز وجل - أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً. قال قلت: يا رسول الله: أفلا أبشر

---

(١) سورة القصص: آية (٨٨).

(٢) سورة الزمر: الآيتان (١١ - ١٢).

(٣) رواه البخاري في كتاب التوحيد: باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لتوحيد الله، حديث رقم ٦٨١٤.

(٤) سورة النساء: آية (٣٦).

الناس، قال: لا تبشرهم فيتكلوا» (١).

● التوحيد رسالة الإسلام:

إذا كانت رسالة الطبيب في الحياة أن يعالج المرضى، ورسالة الحاكم أن يقيم الحق والعدل فيمن يرعاهم فرسالة الإسلام إقامة التوحيد وبذل الجهد في الدعوة إليه والعمل له. لأن الله - عز وجل - أرسل الأنبياء والرسلين - عليهم السلام - لدعوة الناس إلى عبادة الله وحده وترك ما هم عليه من عبادة خلقه، من بشر وحجر وشجر ونجوم وكواكب وجمال وأنهار.

ولو نظرنا إلى آيات القرآن الكريم لتبين لنا كيف دعا الأنبياء - عليهم السلام - الناس إلى التوحيد وترك ما هم عليه من شرك. وإليك أيها المتعلم أمثلة من دعوات الأنبياء والمرسلين تدل على ذلك:

أ - دعوة نوح عليه السلام:

عبد قوم نوح الأوثان، فعبدت قبيلة كلب بدومة الجندل الصنم (ودًا)، وقبيلة هذيل عبدت (سواعًا)، أما بنو غطيف فعبدت صنم (يغوث)، وأما (يعوق) فكانت لهمدان، وأما (نسر) فكانت لحمير لآل ذي كلاع (٢)، فأرسل الله - سبحانه وتعالى - نوحًا - عليه السلام - ليرد قومه إلى عبادة الله وحده، فلم يسمعوا له ولم يطيعوه فنالهم عقاب الله تعالى، وفي ذلك يقول سبحانه حكاية عن نوح عليه السلام:

﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾﴾ (٣).

ب - دعوة إبراهيم عليه السلام: كان إبراهيم - عليه السلام - قويًا في دعوة قومه إلى توحيد الله وذلك بالحجة والبرهان، إذ كان يعرضها بوضوح تام وحسن بيان، فما كان منهم إلا أن تآمروا عليه ودبروا له مكيدة وذلك بإحراقه في النار، قال تعالى ﴿قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ (٤).

---

(١) رواه البخاري ومسلم والرواية لمسلم في كتاب «الإيمان، باب حق الله على العباد» - حديث (٤٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٢٦).

(٣) سورة نوح: الآيات من (٢١ - ٢٥).

(٤) سورة الأنبياء: الآيات من (٥٩ - ٧٠).

والتوحيد لا يتم بالمعنى الصحيح حتى يخلص الإنسان في عبادته لله تعالى، ويتبرأ من كل ما سواه.

ثالثاً: البعد عن الشرك

الشرك: هو أن يجعل الإنسان لله – عزّ وجلّ – شريكاً في ربوبيته والوهيته وفي أسمائه وصفاته. وغالب الإشراك في الألوهية بأن يدعو المشرك مع الله غيره أو يصرف له شيئاً من أنواع العبادة كالذبح والنذر والخوف والرجاء والمحبة والشرك ضد التوحيد، كما أن الكفر ضد الإيمان. ولذلك يجب على المسلم الابتعاد عنه بكل وسيلة حتى يتحقق توحيده الخالص لرب العالمين.

* * * * * *

اجب عن الأسئلة التالية :

س١:

أ - ما دور الرسل - عليهم السلام - في الحياة ؟

ب - كم بلغ عدد الأنبياء الذين أرسلهم الله -تعالى - إلى البشرية ؟

س٢: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: «إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله تعالى» إلخ.

١ - لمن وجه النبي - صلى الله عليه وسلم - هذا القول ؟

٢ - وما المناسبة التي قيل فيها ؟

٣ - من خلال قراءتك للحديث السابق كاملاً.. بين كيفية التدرج في الدعوة إلى الإسلام

س٣: أكمل الفراغ التالي:

مكث النبي - صلى الله عليه وسلم - في مكة..... بعد البعثة يدعو الناس إلى تصحيح العقيدة ودعاهم لعبادة الله وترك عبادة .....

س٤: علل ما يلي:

١ - إلقاء قوم إبرهيم - عليه السلام - له في النار وعدم مجاملته في دعوته.

٢ - يستطيع المسلم أن يكون في توحيد مستمر لله عز وجل

س٥: اجب عما يلي:

١ - الصيام مظهر من مظاهر التوحيد.. وضح ذلك

٢ - لا يتحقق التوحيد إلا بتحقيق ثلاثة أمور.. بيّن هذه الأمور.

العبادة في الإسلام

التمهيد:

العبادة هي الجانب العملي الإسلام وهي التي تثبت العقيدة، وتزيد الإيمان في قلب المسلم، فالتقصير فيها ينقص الإيمان ويضعفه، والمداومة عليها يزيد الإيمان ويقويه؛ لأن الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي.

قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾(١).

ولكي تكون العبادة مقبولة عند الله -عز وجل- ينبغي المؤمن أن يعرف شروط قبول العبادة وهي:

١ - استحضار النية عند تأديتها وأن يقصد بها وجه الله -تعالى- ويتحرى مرضاته وفي ذلك يقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى» (٢)

وبذلك يستطيع المسلم أن يكون في عبادة دائمة شريطة أن يخلص النية لله تعالى.

٢ - صدق العزيمة وهو ترك التكاسل والتواني عن امتثال الأمر والنهي وأن يكون فعله مصدقاً لقوله.

٣ - موافقة الشرع بأن تكون الأعمال والأفعال موافقة لما أمر الله -تعالى- به.

المفهوم الشامل للعبادة:

العبادة في اللغة: هي الخضوع والتذلل.

وفي الاصطلاح: هي كل ما يحب الله من الأفعال والأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة التي يراد بها تعظيم الله بأمره، وهي شاملة لجميع أوجه النشاط البشري.

---

(١) سورة الذاريات: آية (٥٦).

(٢) رواه البخاري في كتاب «بدء الوحي» باب «كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم» حديث رقم (١)

﴿ وَمَا أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ... ﴾ (١).

الحكمة من مشروعية العبادة:

شرع الله العبادة لتكون صلة بين الإنسان وخالقه. ومحطات يتزود فيها بالتقوى والاستقامة والخير، ومكفرات الذنوب، وصلة بين الفرد ونفسه وبينه وبين مجتمعه تربيه وتعينه على جهاد نفسه وشيطانه وتردعه عن التمادي في شهواته.

يقول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى» (٢).

ويقول الله تعالى:

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ ..... ﴾ (٣)

والعبادة في الإسلام ليست أعمالاً ظاهرية فقط بل هي شعور بالحب والتعظيم والخشية لله -تعالى- وهي تقرب المؤمن منه سبحانه وتعالى. لذلك يجب أن تقترن هذه العبادة بالإخلاص لأنه لا يتقبل سبحانه وتعالى إلا ما كان خالصاً لوجهه.

أقسام العبادة:

تنقسم العبادة إلى قسمين:

الأول: ما يعرف عن طريق الشرع مثل: (الصلاة، والصيام، والزكاة، والحج)

الثاني: ما يتعلق بأحوال الإنسان ونشاطه وشؤون حياته المختلفة.

أنواع العبادة:

تتنوع العبادة بحسب طريقة ممارستها إلى ما يلي:

١ - **عبادة بدنية مثل:** الصلاة والصوم والغسل وتحتاج من الإنسان بذل الجهد فقط.

٢ - **عبادة مالية مثل:** الصدقة، و الكفارات، و النذر، و الأضحية، وتحتاج من الإنسان إلى بذل المال فقط.

٣ - **عبادة بدنية مالية مثل:** الحج ويبذل فيها الإنسان الجهد والمال.

---

(١) سورة البينة: الآية (٥).

(٢) رواه البخاري في كتاب «بدء الوحي» حديث رقم (١).

(٣) سورة الزمر: الآيتان (٢ - ٣).